Agatha Christie

أجاثا كريستي

ثلاثة فئران عمياء

وقصص أخرى

ثلاثة فئران عمياء
وقصص أخرى

أجاثا كريستي



Agatha Christie™

Three Blind Mice &Other Stories





للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarirbookstore.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى ٢٠١٠

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ - فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

ثلاثة فئران عمياء، وقصص أخرى

تُعرف أجاثا كريستي في كل أنحاء العالم باسم "ملكة الغموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية، وهي تعد أكثر كاتبة نشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات، ولم يفقها في المبيعات إلا كتب شكسبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتابا، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة في الجريمة، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية، وست روايات تحت اسم ماري ويستماكوت.

ولقد كتبت أجاثا كريستي روايتها الأولى "السر الغامض في ستايلز" قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتي كانت تعمل خلالها في الجيش كممرضة. وقد قامت في هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكي ضئيل الجسم الذي صار أشهر محقق في روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز - وقد نشرت الرواية أخيرًا بواسطة دار نشر Bodley Head في عام ١٩٢٠.

وفي عام ١٩٢٦، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام، قامت أجاثا كريستي بتأليف روايتها العظيمة "من الذي قتل السيد روجر أكرويد؟"، تلك الرواية التي كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر "Collins" والتي

أسست علاقة ربطت بين الكاتب والناشر دامت لخمسين عامًا ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية، كما كانت رواية "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟" هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحيًا ـــ تحت عنوان "Alibi" ـ واستمر عرضها بنجاح على مسرح "ويست إند" فى "لندن" لمدة طويلة. وقد تم افتتاح مسرحية ـــ "مصيدة الفئران" ـ أشهر مسرحياتها على الإطلاق فى عام ١٩٥٢ وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض في التاريخ.

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع" فى عام ١٩٧١، وتوفيت فى عام ١٩٧٦. ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات "Sleeping Murder" وظهرت لاحقًا فى نفس عام وفاتها. بعد ذلك نُشِرَت السيرة الذاتية لها، ثم مجموعة القصص القصيرة Miss Marple's " "Final Cases و "Problem at Pollensa Bay" و "While the Light Lasts" وفى عام ١٩٩٨ تم تحويل أول مسرحية لها وهى "Black Coffee" إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو "تشارلز أوزبورن".

المحتويات

ثلاثة فئران عمياء

كـان الطقـس قـارس البـرودة، والـسماء مظلمـة وملبدة بالغيوم.

وعبر شارع كيلفر ستريت ظهـر رجـل يرتـدى معطفًا أسود اللون، متوشحًا بلفاعته حول وجهه، وقبعته متدلية على عينيه، ثـم صـعد إلى الـشقة رقـم٧٤، ولم يكـد يـضع إصبعه علـى الجـرس حتـى سمـع صـوته مجلجـلاً بالـدور التحتي.

وبانفعال شديد قالت السيدة كاسي التي كانت مشغولة للغاية: "يا له من جرس لعين؛ فدائمًا ما يثير الإزعاج".

وبينمـا كـان الجـرس يـرن قلـيلاً صـعدت درج الـدور التحتي بصعوبة، وفتحت الباب.

فهمس الرجل الواقف في ظل السماء المكفهرة بالخـارج متسائلاً: "هل أنت السيدة لايون؟".

فـردت الـسيدة كاسـي قائلـة: "إنهـا بالطـابق الثـاني. يمكنك أن تصعد، هل هي بانتظارك؟"، فهز الرجل رأسـه ببطء. فقالت: "آه، حسنًا، اصعد واطرق الباب".

راقبتـه وهـو يرتقـى الـدرج المفـروش بـسجاد بـالٍ، ثـم قالت: "لقد منحهـا شـعورًا غريبًـا"، ولكـن كـل مـا جـال

بخاطرها في واقع الأمر هو أنه كان يعاني من برد شديد لم يستطع بسببه إلا أن يهمس على هذا النحو ـ ولا عجب، فقد كان الطقس قارس البرودة.

وعندما انعطف الرجل عند منحنى الدرج أخذ يصفّر برفق. كان يصفّر بلحن "ثلاثة فئران عمياء".

رجعت مولى ديفيز خطاها إلى الوراء ونظرت لأعلى نحو اللوحة المطلية حديثًا فوق البوابة ـ والتي كان مكتوبا عليها:

نُزُل

مونكسويل مانور

وأومأت برأسها في استحسان؛ فقد كانت اللوحة مكتوبة بشكل احترافي ـــ أو كانت كذلك *تقريبًا*. فقد كُتِب حرف *اللام* من كلمة *نزل* متجهًا لأعلى قليلاً، أما نهاية كلمة *مانور*، فقد كُتِبَت على نحو مائل بعض الشيء. ولكن بصفة عامة يمكن القول إن جيلز قد أتقن كتابتها؛ لقد كان جيلز في واقع الأمر ماهرًا للغاية، وكان بمقدوره القيام بأشياء عديدة، ودائمًا ما كانت مولى تستكشف أشياء جديدة في زوجها هذا، ولأنه لم يكن يتحدث كثيرًا عن نفسه فقد كانت تكتشف تدريجيًا ذلك الكم الهائل من المواهب التي يتمتع بها، وكما يقال؛

فالرجل ذو الخبرة السابقة في المجال البحري يمكنه القيام بأعمال متنوعة.

إن جيلز بحاجة إلى كل مواهبه في مغامرتهما الجديدة؛ فلم يكن هناك أحد على استعداد لإدارة نزل كما كانت هي وجيلز، على أية حال سيكون الأمر ممتعًا للغاية وسيسهم في حل مشكلة الإسكان.

كانت تلك هي فكرة مولى منذ البداية، فعندما ماتت العمة كاثرين وراسلها المحامون ليعلموها بأن عمتها قد تركت لها نزل مونكسويل مانور، كان رد الفعل الطبيعي للزوجين الشابين يتمثل في عرضه للبيع، وقد تساءل جيلز: "كيف يبدو هذا النزل؟"، فردت عليه مولى قائلة: "إنه نزل كبير قديم معوج، ومكتظ بأثاث ذي طراز فيكتوري عتيق، رديء التهوية، وبه حديقة جميلة بعض الشيء غير أنها كثيفة العشب على نحو بغيض منذ الحرب؛ لأنه لم يتبقَ سوى بستاني عجوز فقط".

ومن ثم فقد قررا عرض النزل للبيع مع الاحتفاظ فقط ببعض من الأثاث يكفي لتجهيز كوخ صغير أو شقة لهما.

ولكن واجهتهما على الفور مشكلتان. أولاً: *لم يكن* هناك أي أكواخ صغيرة أو وحدات سكنية يمكن العثور عليها. ثانيًا: كان الأثاث في حالة سيئة للغاية.

قالت مولى: "سيتحتم علينا أن نبيعه *كله*، وأعتقد أنه *سوف* يحقق عائدًا!".

وأكد لها المحامى أن بيع *أى شىء* فى الوقت الراهن يمكن أن يدر ربحًا.

وقال: "هناك احتمال كبير أن يقوم شخص ما بشرائه بغرض اتخاذه فندقًا أو نزلاً. وعلى أية حال فربما سيروق لمن يشتريه أن يبيعه بالأثاث كاملاً، ولحسن الحظ فإن المنزل لا يزال بحالة جيدة؛ فقد قامت الآنسة إيمورى الراحلة بعمل إصلاحات وتحديثات شاملة قبل الحرب، ولا يوجد به سوى قليل من التلفيات".

وآنذاك واتت مولى تلك الفكرة.

وقالت لـ "جيلز": "لماذا لا نقوم نحن الاثنين بإدارته كنزل؟".

سخر زوجها من الفكرة فى البداية، غير أن مولى أصرت عليها.

وقالت: "لن نكون بحاجة ـ على الأقل فى البداية ـ إلى أناس كثيرين، فضلاً عن أن النزل تسهل إدارته ـ ففيه ماء ساخن وبارد بغرف النوم، وتدفئة مركزية، وموقد يعمل بالغاز. كذلك يمكننا الحصول بسهولة على الدجاج والبط وما نحتاج إليه من بيض وخضراوات".

"ومن سيقوم بكل هذه الأعمال؟ أليس من الصعب تدبير الخدم؟".

"سنقوم نحن بهذه الأعمال. فحيثما عشنا سيكون علينا القيام بها. بالإضافة إلى أن استضافة قليل من الزائرين لن يعنى القيام بأعمال كثيرة، وعندما نبدأ على

نحو جيد فربما نأتى بامرأة لتساعدنا، وإذا ما كان لدينا فقط خمسة أشخاص يدفع كل واحد منهم سبعة جنيهات أسبوعيًا ـ" وغرقت مولى فى ذلك العالم الذى يمكن أن يطلق عليه عالم الحسابات العقلية التفاؤلية.

وأنهت حديثها قائلة: "ولتأخذ فى اعتبارك يا جيلز بأن النزل سيكون *منزلنا* بما فيه من أشياء نملكها، وبحالتنا هذه يبدو لى أننا كنا سنقضى سنوات كثيرة قبل أن نتمكن من العثور على مكان نعيش فيه".

ووافقها جيلز فى ذلك؛ فمنذ زواجهما السريع لم يتسن لهما سوى قضاء وقت قليل معًا؛ الأمر الذى جعلهما يتطلعان إلى الاستقرار فى منزل واحد معًا.

وتم الإعداد للتجربة العظيمة بنشر إعلانات بالجريدة المحلية، وجريدة *التايمز* وتوالت عليهما الردود المتنوعة.

واليوم ها هو موعد قدوم أول نزيل؛ فانطلق جيلز بالسيارة مبكرًا محاولاً الحصول على بعض الشبك السلكى من مخلفات الجيش والتى قد أعلن عن بيعها من قبل على الجانب الآخر من المقاطعة. أما مولى فقد رأت أنه من الضرورى أن تذهب إلى القرية من أجل بعض المشتريات المهمة.

ولم يكن ثمة منغصات سوى الطقس، فقد كان قارس البرودة على مدار اليومين الماضيين، وها هو الجليد بدأ يتساقط الآن؛ فأسرعت مولى فى الطريق بينما حبيبات الثلج السميكة خفيفة الوزن تتساقط فوق المعطف الواقى من

المطر الذى يغطى كتفيها وشعرها المجعد المتألق. لقد حذرت النشرة الجوية من الطقس السيئ، وحتى الآن لا تزال التوقعات قائمة بتساقط شديد للثلج.

كانت تأمل فى ترقب وقلق ألا تتجمد كل المواسير؛ كيلا يتفاقم الأمر إذا ما استمر ذلك الطقس السيئ فى بداية عملهم. ألقت نظرة خاطفة على ساعة يدها التى كانت تشير إلى وقت ما بعد الشاى وأخذت تتساءل: هل عاد جيلز بعد؟ ترى هل يتساءل عن مكانها الآن؟

كانت ستقول له: "لقد اضطررت إلى العودة مرة ثانية إلى القرية لأحضر شيئًا ما نسيته"، وسوف يضحك قائلاً: "المزيد من العلب؟".

كانت العلب عبارة عن مزحة فيما بينهما؟ فدائمًا ما كانا على حذر فيما يتعلق بعلب الطعام، ولكن لا داعى للقلق فقد امتلأت الثلاجة عن آخرها الآن تحسبًا للظروف الطارئة.

أخذت مولى تفكر مقطبةً جبينها وهى تنظر إلى السماء التى كانت تنذر بوقوع حالات من الطوارئ الآن.

كان المنزل خاليًا؛ فلم يكن جيلز قد عاد بعد، فذهبت مولى نحو المطبخ أولاً، ثم إلى الطابق الثانى وهى تلقى بنظرة حول غرف النوم التى تم إعدادها مؤخرًا، سوف تسكن السيدة بويل بالحجرة الجنوبية المفروشة بخشب الماهوجنى وسريرها ذى القوائم الأربعة، أما الرائد ميتكالف فسوف يسكن بالحجرة الزرقاء المفروشة بخشب

البلوط، والسيد رين سيقطن الغرفة الشرقية ذات النافذة البارزة، لقد كانت كل الغرف تبدو جميلة للغاية. ولحسن الحظ، فإن العمة كاثرين كان لديها ذلك المخزون الرائع من الأغطية والبياضات الفخمة للأسرّة. سوّت مولى أحد الألحفة فى مكانه ثم نزلت لأسفل مرة ثانية. كان الجو مظلمًا إلى حد ما فساد المنزل جو من الهدوء والفراغ. لقد كان منزلاً منعزلاً يقع على مسافة ميلين لأقرب قرية له، وعلى مسافة ميلين - فى رأى مولى - من *أى مكان* آخر.

وعلى الرغم من أنها فيما مضى كانت تبقى وحيدة بالمنزل فإنها لم تكترث يومًا لوحدتها فيه.

بدأ الثلج يتساقط بخفة على الألواح الزجاجية بالنوافذ محدثًا صوتًا هامسًا على نحو مزعج. ولنفترض أن جيلز لم يتمكن من العودة، لنفترض أن الثلج بكثافته حال بين وصول السيارة؟ لنفترض أنها اضطرت إلى البقاء هنا بمفردها، وربما لأيام.

نظرت فى أرجاء المطبخ - ذلك المطبخ الكبير الذى يبعث على الراحة، والذى يبدو كأنه يستلزم وجود أحد الطهاة بينما يتحرك فكاها على نحو إيقاعى متناغم وهى تتناول الكعك المحلىّ بالكراميل وتحتسى الشاى الأسود وبجوارها خادمة طاعنة فى السن طويلة القوام، بينما على الجانب الآخر تقف خادمة أخرى بوجه مشرق، وهناك عند الناحية الأخرى من المائدة تقف إحدى الخادمات وهى تراقب رؤساءها والخوف يملأ عينيها. ولكن بدلاً من

ذلك لم يكن هناك سواها؛ مولى ديفيز تلعب دورًا لم يبدُ طبيعيًا، لقد بدت حياتها برمتها فى هذه اللحظة غير واقعية، وكذلك جيلز بدا شخصًا ليس له وجود بالواقع. لقد كانت تلعب دورًا ما ـ بل مجرد جزء من دور.

ومن خلال النافذة مر ظل رجل فقفزت من مكانها؛ كان يبدو رجلاً غريبًا قادمًا عبر الثلج. سمعت صوت الباب الجانبى، وهناك كان يقف ذلك الغريب عند ردهة الباب المفتوح ينفض الثلج عن نفسه فى طريقه إلى داخل المنزل غير المأهول.

وعندئذ فجأة اتضح الأمر.

فصاحت: "أوه، جيلز لقد سعدت كثيراً بعودتك!".

"مرحى حبيبتى! يا له من طقس سيئ. أكاد *أتجمد*".

وبحركة تلقائية التقطت مولى ذلك المعطف الذى رماه وعلقته على حمالة من خشب البلوط وأخرجت من جيوبه المتلئة عن آخرها لفاعة، وجريدة، وبكرة من الخيط، ورسائل الصباح التى دسها بشكل غير مرتب. وهى فى طريقها إلى المطبخ وضعت الرسالة على خزانة الأطباق، ثم وضعت غلاية الشاى على الموقد.

سألته قائلة: "هل أحضرت الشبك السلكى؟ لقد تأخرت كثيرًا".

"لم أجد نوعًا جيدًا، فضلاً عن أنه لن يفيدنا بشىء فذهبت إلى مستودع آخر ولكن دون جدوى. ماذا كنت تفعلين وأنت بمفردك؟ أعتقد أن أحدًا لم يأت بعد".

"إن السيدة بويل لن تأتى قبل الغد على أية حال".

"ولكن من المفترض أن يصل الرائد ميتكالف والسيد رين اليوم".

"لقد أرسل الرائد ميتكالف رسالة يقول فيها إنه لن يصل قبل الغد".

"بذلك نبقى نحن والسيد رين على الغداء. ترى ما وظيفته؟ أعتقد أنه موظف مدنى متقاعد".

"كلا، أعتقد أنه فنان".

فقال جيلز: "فى هذه الحالة سيتوجب علينا أن نُحصل منه إيجار أسبوع مقدمًا".

"كلا يا جيلز، فالنزلاء عادة ما يصطحبون معهم أمتعة، وإذا لم يدفعوا لنا فسنقوم باحتجازها".

فرد جيلز قائلاً: "ولكن ماذا لو لم تكن هذه الأمتعة سوى حجارة ملفوفة فى صحيفة؟ وفى حقيقة الأمر يا مولى فنحن لا نعرف ما الذى سيواجهنا فى هذا العمل على أقل تقدير. إننى أتمنى ألا يكتشفوا أننا حديثو عهد بهذا العمل".

فردت مولى قائلة: "من المؤكد أن تكتشف السيدة بويل ذلك، فشخصيتها توحى بهذا".

"وكيف عرفت ذلك وأنت لم تريها بعد؟".

استدارت مولى، وبسطت إحدى الجرائد على المائدة ثم أحضرت بعضًا من الجبن وجلست تفرده.

فتساءل زوجها: "ما هذا؟".

فأجابته مولى قائلة: "سيصبح جبنًا مذابًا فوق خبز محمص، إن هذا النوع من الطعام يتكون من كسرة خبز وبطاطس مهروسة بالإضافة إلى *قليل* من الجبن لتبرير تسميته بهذا الاسم فقط".

فرد زوجها بإعجاب قائلاً: "إنك طاهية ماهرة، أليس كذلك؟".

"ولكننى لا أستطيع القيام بأكثر من عمل فى وقت واحد، بالإضافة إلى أن تجميع وإعداد المكونات هى التى تتطلب مزيدًا من الممارسة والتدريب، فضلاً عن أن وجبة الإفطار تُعَدُّ هى الأصعب".

"لماذا؟".

"لأن جميع المكونات من البيض، واللحم المملح، واللبن الساخن، والقهوة والخبز المحمص يتم إعدادها جميعًا فى وقت واحد. وإما أن يغلى اللبن، أو يحترق الخبز المحمص، أو يتلف اللحم المقدد، أو يتصلب البيض؛ ومن ثَمَّ فإنه يتعين على المرء أن يبقى نشيطًا يقظًا كالهرة التى تراقب كل شيء في وقت واحد".

فرد جيلز قائلاً: "سوف أتسلل صباح الغد دون أن يلحظنى أحد كى أراقبك وأنت تتقمصين شخصية تلك الهرة اليقظة".

فردت مولى قائلة: "إن غلاية الشاى تغلى، فهيا لنأخذ الصينية إلى المكتب لنستمع إلى المذياع؛ فقد حان وقت نشرة الأخبار تقريبًا".

فقال جيلز: "ونظرًا لأننا سنقضى معظم وقتنا تقريبًا بالمطبخ فإنه يتعين علينا أن نضع مذياعًا هناك أيضًا".

"نعم، إن المطبخ جميل للغاية. إننى أحبه وأعتقد أنه أكثر غرف هذا المنزل جمالاً، وتروقنى أيضًا تلك الأطباق وخزانته، إننى ببساطة أحب ذلك الشعور بالوفرة الذى يمنحك إياه ذلك الموقد *الضخم*، وهذا بالطبع رغم امتنانى لعدم الاضطرار إلى استعماله".

"أعتقد أن وقود عام كامل لن يكفى لاستعماله ليوم واحد".

"تقريبًا. ولكن لتتخيل معى القطع الكبيرة من اللحم البقرى وشرائح لحم الضأن المعَدّة للشواء فيه، بالإضافة إلى ما يحويه هذا الموقد من أوانى الحفظ النحاسية الضخمة المملوءة بمربى الفراولة منزلية الصنع، والتى تحتوى على أرطال من السكر، يا له من عصر جميل يبعث على الارتياح ذلك العصر الفيكتوري. انظر إلى ذلك الأثاث بأعلى. كم هو ضخم ومتين! فضلاً عما به من زخارف، ويا له أيضًا من مكان متسع يحوى تلك الملابس التى اعتاد المرء على ارتدائها مع سهولة فتح الأدراج، أتذكر تلك الشقة الجميلة الحديثة التى استأجرتها؟ أتذكر أبوابها التى لم تكن لتبقى مغلقة أبدًا؟ وإذا ما أغلقت لا تفتح".

"نعم، وهذا هو أسوأ ما فى الاختراعات الصغيرة، إنها إذا لم تعمل بشكل جيد يجد المرء نفسه مرتبكاً على الفور".

"حسنًا. هيا لنستمع إلى الأخبار".

كانت الأخبار تدور بشكل أساسى حول التحذيرات المروعة من الطقس والإخفاقات المعتادة فيما يتعلق بالشئون الخارجية، والتشاحنات فى البرلمان، ووقوع جريمة فى شارع كيلفر بمنطقة بادينجتون.

أغلقت مولى المذياع باشمئزاز وهى تقول: "إن كل ما بالأخبار يبعث على البؤس، ولن أظل هكذا أستمع إلى توسلات لترشيد الوقود. ما الذى يتوقعونه منا؟ أن نبقى هكذا إلى أن نتجمد؟ أعتقد أنه ما كان ينبغى علينا أن نشرع فى إدارة نزل فى فصل الشتاء. كان علينا أن ننتظر حتى حلول الربيع". ثم استطردت بنبرة صوت مختلفة وهى تقول: "إننى لأتساءل عن تلك المرأة التى قتلت".

"السيدة لايون؟".

"هل كانت تسمى هكذا؟ إننى أتساءل عمن قتلها. ولماذا؟".

"ربما كانت تحتفظ بثروة تحت أرضية شقتها".

فردت قائلة: "حينما يقال إن الشرطة تتطلع إلى استجواب رجل شوهد بالقرب من مسرح الجريمة، فهل هذا يعنى أنه هو القاتل؟".

فرد جيلز قائلاً: "أعتقد أن هذا هو ما يحدث فى العادة؛ فهى مجرد طريقة مهذبة لإلصاق التهمة به".

وحينئذ قفز كلاهما من مكانه إثر صوت الجرس الصاخب.

قال جيلز: "إنه جرس الباب الأمامى". ثم أردف مازحًا: "ادخل أيها القاتل".

فقالت: "وسيكون بالفعل كذلك لو أننا فى مسرحية ما. هيا أسرع فمن المؤكد أنه السيد رين، وسنرى الآن من منا محق بشأنه: أنا أم أنت".

دخل السيد رين مندفعًا وقد صاحبته هبة ريح ثلجية، ولم تستطع مولى التى كانت واقفة بجوار باب المكتبة أن ترى من الوافد الجديد شيئًا سوى صورة جانبية له حاجبة بياض الثلج بالخارج.

وأخذت مولى تفكر فى مدى التشابه الذى تضفيه الملابس الحديثة على الرجال من معطف أسود، وقبعة رمادية اللون، ولفاعة حول العنق.

فى تلك الأثناء كان جيلز قد أغلق الباب الأمامى للاحتماء من الطقس القارس البرودة بينما كان السيد رين يحل لفاعته ووضع حقيبته على الأرض، ثم خلع قبعته. بدا كأنه قد قام بكل هذا فى وقت واحد، وكان أيضاً يتحدث. كانت نبرة صوته تنم عن الضجر والشكوى، ثم وقف فى ضوء الردهة، وهو يبدو كشاب ذى شعر حرقته حرارة الشمس وعينَين زائغتين.

كان يقول: "إنه لأمر مخيف للغاية ذلك الشتاء الإنجليزى، فهذا الشتاء فى أسوأ حالاته يمثل انعكاسًا لرواية ديكنز ـ البخيل وتيم الصغير. إن المرء بحاجة إلى قوة خارقة كى يتمكن من مواجهة هذه الظروف الجوية

القاسية، لقد قمت برحلة شاقة من ويلز عبر أرجاء القطر". ثم اعتصر يد مولى بقبضة قوية سريعة بيديه كثيرة العظم قائلاً: "هل أنت السيدة مولى؟ يالك من امرأة جميلة! إنى لم أتخيلك جميلة هكذا، بل تخيلتك وكأنك أرملة لجنرال بالجيش الهندى ومثيرة للاشمئزاز، أو كأنك مزيج حقيقى من العصر الفيكتورى أو شيء من هذا القبيل، ولكنك رائعة للغاية، ويبدو أن المكان سيروق لى كثيرًا. لقد كنت أخشى أن يكون نزل مانور هاوس منتميًا إلى ذلك الطراز العتيق. ولكنه ليس كذلك فهو رائع للغاية ويعكس ذلك النمط المهذب الحقيقى للعصر الفيكتورى. والآن أخبرينى: هل لديك واحد من تلك البوفيهات الجميلة المصنوعة من خشب الماهوجنى ذى اللون الأرجوانى والمزخرف بنقوش من ثمار الفاكهة؟".

ردت مولى لاهثة إزاء هذا السيل الجارف من الكلمات المتتالية قائلة: "نعم لدينا ذلك".

"كلا! أيمكننى أن أراه هنا؟ وفى الحال؟".

كانت سرعته تبعث على القلق والضجر، فقد قام بتحريك مقبض باب غرفة الطعام ثم ضغط على زر الضوء وتبعته مولى نحو الداخل وهى تشعر باستهجان جيلز الذى بدا على صورته الجانبية وهو يسير على يسارها.

وبإعجاب أخذ السيد رين يمرر أصابعه الطويلة كثيرة العظم على النقش الثمين فوق البوفيه الضخم، ثم نظر إلى مضيفته نظرة سريعة وكأنه يوبخها قائلاً:

"ألا توجد مائدة طعام كبيرة مصنوعة من خشب الماهوجني؟ لماذا وضعت هذه الموائد الصغيرة بدلاً منها؟".

فردت مولى قائلة: "لقد اعتقدنا أن الناس سيفضلون الموائد الصغيرة".

فقال: "بالطبع أنت محقة *تماماً* يا عزيزتى. معذرة فقد كنت منجرفًا وراء مشاعرى لفترة من الوقت، ولو أن لديك تلك المائدة فسوف تجدين العائلة التى يناسبها الجلوس عليها: أب صارم وسيم ذو لحية، أم شاحبة اللون، أحد عشر طفلاً، مربية مقيتة، وشخص ما يدعى "هاريت" البائس. انظرى إلى ذلك الموقد، تخيلى ألسنة اللهب وهى تتصاعد عبر المدخنة لتلسع ظهر هاريت المسكين".

فقال جيلز: "سأحمل حقيبتك إلى الغرفة الشرقية بالطابق الثانى".

فقالت مولى : "حسنًا".

انطلق السيد رين مرة ثانية إلى داخل الردهة بينما صعد جيلز إلى الطابق العلوى.

وتساءل: "هل بالحجرة سرير رباعى القوائم بمفرشه القطنى ذى اللون الوردى؟".

فرد جيلز قائلاً: "كلا ليس بالغرفة ذلك السرير". ثم اختفى عند منحنى الدرج.

فقال السيد رين: "لا أعتقد أن زوجك سيحبنى. أين كان يعمل؟ فى البحرية؟".

"نعم".

"لقد ظننت ذلك، فرجال البحرية أقل تسامحاً من رجال الجيش والقوات الجوية. منذ متى وأنتما متزوجان؟ هل تحبينه كثيرًا؟".

"أتود الصعود لترى غرفتك؟".

"نعم بالطبع، ورغم أنها وقاحة منى إلا أننى أريد حقًا أن أعرف. إن المرء يستمتع حين يعرف كل شىء عن الآخرين. ليس فقط فيما يتعلق بشخصيتهم أو أعمالهم بل أيضًا معرفة مشاعرهم وأفكارهم، أليس كذلك؟".

فردت مولى بصوت رزين: "نعم. هل أنت السيد رين؟".

توقف الشاب الصغير لبرهة ثم تشبث بمقعده بقوة قائلاً:

"معذرة، إننى دائمًا لا أضع الأشياء فى ترتيبها المناسب. نعم أنا كريستوفر رين. والآن لا تسخرى منى. فقد كان أبى وأمى زوجين رومانسيين، وكانا يأملان أن أصبح مهندسًا معماريًا؛ ومن ثمَّ فقد ظنا أنها ستكون فكرة جيدة إذا ما سمَّيانى كريستوفر".

فسألته مولى وهى لا تستطيع إخفاء ابتسامتها: "وهل أصبحت مهندسًا معماريًا؟".

فرد السيد رين بزهو: "نعم، أو على الأقل أنا كذلك تقريبًا. فعلى الرغم من أننى لست مؤهلاً بعد بما يكفى إلا أن هذا يعتبر مثالاً واضحًا لما يعرف بالتفكير الرغبى،

ولكن الاسم سيمثل عقبة. لذا فلن أحمل اسم كريستوفر رين، ومع ذلك يبقى اسم كريس رين مشتقًا منه".

هبط جيلز الدرج ثانية وتوجهت مولى إلى السيد رين قائلة: "سأريك غرفتك يا سيد رين".

وبعد أن هبطت ببرهة قال لها جيلز: "حسنًا، هل أعجبه ذلك الأثاث الجميل المصنوع من خشب البلوط؟".

"لقد كان يريد أن يسكن بالحجرة التى بها السرير ذو القوائم الأربعة ولكنى ذهبت به بدلاً من ذلك إلى الغرفة ذات اللون الوردى".

وغمغم جيلز بشىء ما يقول فى آخره: "... إنه شاب تافه".

فتوجهت إليه مولى فى حدة قائلة: "انظر يا جيلز! فليس هذا منزلاً لترفيه الضيوف، بل هو عمل ــ بغض النظر عما إذا كان كريستوفر رين يروق لك أم لا ـ".

فقاطعها جيلز قائلاً: "لا أقصد ـ".

فقالت: "إنه سيدفع لنا سبعة جنيهات فى الأسبوع، وهذا هو كل ما نكترث له".

"إذا دفع هذا المبلغ فمرحى".

"لقد وافق على ذلك فقد تلقينا خطابه".

"هل قمت بنقل حقيبته هذه إلى الغرفة الوردية؟".

"لقد حملها هو".

فرد جيلز قائلاً: "إنه حقًا شاب لطيف، ولكنه لن يؤثر عليك. ولن أتحدث عن أمر الحجارة الملفوفة فى

الصحيفة؛ فالحقيبة خفيفة للغاية، مما يجعلها تبدو لى كأنها خاوية".

فردت مولى بنبرة تحذير: "صه! صه! إنه قادم".

تم اصطحاب كريستوفر رين إلى المكتبة التى بدت فى رأى مولى جميلة للغاية، بمقاعدها الكبيرة ومدفأتها. وأخبرته بأن الغداء سيكون جاهزًا فى غضون نصف ساعة، وردًا على سؤال له أوضحت قائلة بأنه ليس هناك نزلاء آخرون فى الوقت الحالى، وتساءل كريستوفر عما إذا كان مسموحًا له بالذهاب إلى المطبخ للمساعدة فقال وهو يسير معها:

"يمكننى أن أقوم بإعداد عجة البيض إن أردت".

وتوالت بقية الأحداث المتتابعة فى المطبخ، ثم قام بعدها كريستوفر بالمساعدة فى تنظيف الأطباق.

وشعرت مولى أن هذا التصرف لم يكن تصرفًا صائبًا بالنسبة لنزيل تقليدي، أما جيلز فلم يرق له الأمر برمته، وبينما كان النوم يراود عينيها، أخذت مولى تأمل أن يكون الغد مختلفًا عند وصول بقية النزلاء.

أشرق الصباح والسماء مظلمة ملبدة بالغيوم فبدا جيلز حزينًا، بينما ارتجف قلب مولى؛ فقد كان الطقس منذرًا بالسوء.

وصلت السيدة بويل مستقلة إحدى سيارات الأجرة المحلية وقد بدت على عجلاتها ذرات الثلج، وجاء السائق بأخبار سيئة عن حالة الطريق.

فقال: "من المتوقع أن يتساقط مزيد من الثلج قبل حلول الظلام".

لم تخف السيدة بويل هى الأخرى قلقها من منظر السماء المظلم الكئيب الذى يلوح فى الأفق؛ كانت امرأة ضخمة ذات منظر بغيض، لها صوت رنان وأسلوب متسلِّط، وقد تزايدت حدة عداوتها المتأصلة فيها من جراء حياتها المشوبة بالصدامات المتواصلة.

وقالت: "لو لم أكن على يقين من أن هذه المؤسسة لها *إدارة* جيدة لما أتيت إلى هنا، وإنما انتابنى شعور فطرى بأنه نزل يقوم على أسس علمية جيدة".

فرد جيلز قائلا: "ليس هناك ما يلزمك بالبقاء هنا إن لم تشعرى بالارتياح يا سيدة بويل".

"كلا لن أفكر فى ذلك مطلقًا".

فقال جيلز: "ربما ستودين استدعاء إحدى سيارات الأجرة، ها هو الطريق لم يسد بعد. فإذا ما كنت تشعرين باستياء فمن الأفضل أن تنتقلى إلى مكان آخر". ثم أردف قائلاً: "إن لدينا مزيدًا من الطلبات لحجز الغرف، ولن نجد أدنى صعوبة فى حجز مكانك لشخص آخر، بالإضافة إلى أننا سوف نرفع من قيمة الإيجار فى المستقبل القريب".

رمقته السيدة بويل بنظرة حادة قائلة: "إننى لن أنصرف قبل أن أجرب هذا المكان. ألا توفرين لى منشفة حمام كبيرة يا سيدة ديفيز، فلن أجفف نفسى بمنديل للجيب".

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه جيلز وهو ينظر إلى مولى التى كانت واقفة خلف السيدة بويل وهى تتراجع إلى الوراء.

ثم قالت: "لقد كنت رائعًا يا عزيزى فى مواجهتك إياها".

فرد جيلز قائلاً: "إن المستأسدين دائمًا ما تخور قواهم حينما يواجهون بما يناسبهم".

فقالت مولى : "إننى لأتساءل يا عزيزى كيف ستنجح هذه المرأة فى التفاهم مع كريستوفر رين".

فرد جيلز قائلاً: "لن تتفاهم معه".

وفى الحقيقة فقد تكلمت السيدة بويل عنه مع مولى بعد الظهر بازدراء واضح، ووصفته بأنه "شاب غريب الأطوار".

وصل الخباز وقد بدا كأنه أحد المستكشفين بالقطب الشمالى، سلم الخبز إلى مولى منوهًا بأن زيارته التالية ربما لن تتحقق على مدى يومين.

قال: "إن هناك الكثير من المعوقات، وإننى لآمل أن يكون لديك مخزون كافٍ".

فردت مولى قائلة: "نعم لدينا المزيد من المعلبات ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن أحتفظ بالمزيد من الدقيق".

وعلى نحو غامض أخذت تفكر فى ذلك الشىء الذى يصنعه الأيرلنديون والذى يسمونه بـ"خبز الصودا"، فربما تقوم بإعداده إذا ما ازداد الأمر سوءًا.

كان الخباز قد أحضر معه الصحف أيضًا، ثم بسطها على المائدة بالردهة. وتنوعت الأخبار بين الحديث عن الشئون الخارجية وفقًا لأهميتها وبين أحوال الطقس ومقتل السيدة لايون التى تصدرت الصفحة الأولى.

كانت تحدق فى ملامح الصورة غير الواضحة لجثة المرأة المقتولة؛ وحينئذ انطلق صوت كريستوفر رين من خلفها قائلاً: "إنها جريمة قتل *قذرة*. ألا تعتقدين ذلك؟ إنها تبدو امرأة *قذرة* فى شارع قذر، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بأن هناك قصة وراء هذا الحادث. أليس كذلك؟".

فردت السيدة بويل بصوت يشوبه الازدراء قائلة: "وليس لدىَّ أدنى شك فى أن المرأة لم تنل أكثر مما تستحق".

فاستدار إليها السيد رين باهتمام مشترك قائلاً: "إنك تعتقدين إذن بأنها جريمة *جنسية* بالتأكيد؟".

"إننى لم أقل شيئًا من هذا القبيل يا سيد رين".

"ولكنهم عثروا عليها مشنوقة، أليس كذلك؟ إننى أتساءل ـــــ"، ثم أشاح بيده الطويلة البيضاء مستطردًا: "إننى أتساءل كيف يشعر المرء وهو يشنق شخصًا ما؟".

"حقًا يا سيد رين!".

فاقترب منها كريستوفر خافضًا من صوته وهو يقول: "هل فهمت يا سيدة بويل، كيف يشعر المرء ريثما يشنق؟".

فردت السيدة بويل بمزيد من السخط قائلة: "حقًا يا سيد رين!".

وحينئذ أسرعت مولى فى القراءة بصوت عالٍ: "إن الرجل الذى تسعى الشرطة إلى استجوابه كان يرتدى معطفًا أسود، وقبعة خفيفة، وهو متوسط الطول يرتدى لفاعة من الصوف".

فرد كريستوفر رين ضاحكًا: "إن هذا الوصف وصف عام ينطبق على الجميع".

فقالت مولى نعم: "إنه وصف غير محدد".

فى غرفته بـ"سكوتلاند يارد"، تحدث المفتش بارمينتر إلى المحقق سيرجنت كين، قائلاً: "سأرى هذين العاملين الآن".

"سمعًا وطاعة يا سيدى".

"كيف يبدوان؟".

"إنهما عاملان لطيفان، وينتميان إلى طبقة العمال هذه التى تتسم بالبطء فى ردود الفعل".

فأومأ المفتش بارمينتر قائلاً: "حسنًا".

وفى التو ظهر بغرفته رجلان أنيقان تبدو عليهما أمارات الارتباك، وقد استطاع بارمينتر بنظرة خاطفة أن يكوِّن رأيًا عنهما. كما كان خبيرًا فى تهدئة روع من يقف أمامه.

توجه إليهما قائلاً: "إنكما تعتقدان بأن لديكما بعضًا من المعلومات التى ربما تفيدنا فى قضية السيدة لايون. فمن الأفضل إذن أن تسرعا فى حديثكما. ليجلس كلاكما. هل تدخنان؟".

وانتظر لبرهة ريثما يتناولان السجائر ويشعلانها.

ثم قال: "إن الطقس سيئ للغاية بالخارج".

"نعم. إنه كذلك يا سيدى".

"حسنًا، فلننه الموضوع الآن إذن".

وبارتباك نظر الرجلان كل إلى صاحبه؛ فقد حان وقت رواية الأحداث وهو ما يمثل صعوبة بالغة.

قال أكبرهما حجمًا: "تكلم يا جو".

ومضى جو فى حديثه قائلاً: "بدأ الأمر حينما لم يكن لدينا أعواد من الثقاب".

"وأين كان ذلك؟".

"بشارع جارمان ـ حيث نعمل فى إصلاح مواسير الغاز الرئيسية بالطريق هناك".

فأومأ المفتش برأسه، فسوف يقوم بعد برهة بالتركيز على التفاصيل الدقيقة التى تتعلق بالوقت والمكان، وكان يدرك جيدًا أن شارع جارمان يقع بجوار شارع كيلفر حيث وقعت المأساة.

وأعاد القول محفزًا إياه: "حسنا. لم يكن لديكما ثقاب".

"نعم فقد نفدت علبة الثقاب التى كانت لدىَّ، ولم تعمل ولاعة بيل فاستوقفت أحد المارة وسألته عن ثقاب. ولم يتبادر إلى ذهنى شىء بعينه ـــ على الأقل آنذاك ـــ فلم يكن الرجل سوى أحد المارة".

فأومأ برأسه مرة ثانية.

"حسناً، على أية حال فقد أعطانا الثقاب، ولم يقل شيئًا. غير أن بيل تحدث إليه قائلاً إن الطقس قارس البرودة، ورد عليه فى همس قائلاً: "نعم، إنه كذلك". فظننت أنه يعانى من نزلة برد فى صدره لاسيما أنه كان متدثرًا بثيابه كاملة. على أية حال فقد شكرته، وأرجعت له علبة ثقابه فانطلق مسرعًا. كان مسرعًا للغاية لدرجة أننى عندما اكتشفت أنه قد أوقع شيئًا ما كان الوقت قد فات ولم ألحق به. لقد أوقع مفكرة صغيرة، ومن المؤكد أنها قد سقطت من جيبه حين كان يخرج الثقاب. ناديت عليه: "سيدى، سيدى، لقد أوقعت شيئًا ما"، ولكن يبدو أنه لم يسمعنى؛ فقد كان ينطلق مسرعًا وانعطف وراء الزاوية، أليس كذلك يا بيل؟".

وافقه بيل قائلاً: "نعم هذا صحيح. لقد انطلق مسرعًا كالأرنب".

"كان مسرعًا نحو طريق هارو رود. وبدا لنا أننا لن نلحق به، فقد كان مسرعًا للغاية. وعلى أية حال فقد كان الوقت متأخرًا بعض الشىء، فضلاً عن أن الشىء الذى سقط منه لم يكن سوى كتيب صغير. فلم يكن حافظة نقود مثلاً أو شيئًا من هذا القبيل، وربما كانت هذه المفكرة غير ذات أهمية. وقلت لـ "بيل": "يا له من شخص يبدو غريبًا بقبعته المتدلية على عينيه، وملابسه ذات الأزرار المقفلة. كان يبدو مثل لصوص السينما. أليس كذلك يا بيل؟".

فوافقه بيل قائلاً: "هذا هو ما قلته".

"حسنًا. يجب علىَّ القول بأننى لم أفكر فى شىء بعينه آنذاك؛ فقد ظننت أنه ربما كان على عجلة من أمره كى يصل إلى المنزل. فهذا هو ما فكرت فيه، ولم ألق باللوم عليه لاسيما أن الطقس كان قارس البرودة".

ووافقه بيل قائلاً: "نعم، كان قارس البرودة".

"ومن ثم قلت لـ "بيل": "هيا بنا لنلق نظرة على هذا الكتيب الصغير لنرى مدى أهميته"، وألقيت نظرة على الكتيب فلم أجد سوى عنوانين فقط، وذكرتهما لـ"بيل": أربعة وسبعون شارع كيلفر ستريت، ومانور هاوس".

قال بيل باستهجان: "ياله من نزل فخم".

واستمر جو فى سرد روايته باستمتاع.

"وقلت لـ "بيل": "إن رقم أربعة وسبعين شارع كيلفر ستريت قريب من هنا"، حينئذ رأيت شيئًا مكتوبًا على الصفحة، فسألت بيل: "ما هذا؟!"، فأخذ منى المفكرة وقرأ بصوت عالٍ: "ثلاثة فئران عمياء"، وفى تلك اللحظة بعينها سمعنا صوت امرأة تصرخ على بعد شارعين! قتيلة!".

وفى ذروة حديثه توقف جو لبرهة.

ثم استأنف قائلاً: "كانت نصف صرخة. فقلت لـ"بيل": "انطلق بسرعة لنتحقق من الأمر". ثم عاد أدراجه مسرعًا قائلاً: "إن هناك حشدًا كبيرًا من الناس والشرطة تحقق فى المكان. وقد عثر على امرأة قد قطعت رقبتها أو شنقت، وأن السيدة التى عُثر عليها هى التى أطلقت تلك الصرخة لاستدعاء الشرطة"، وسألته عن المكان فأخبرنى أنه بشارع كيلفر ستريت، فسألته عن العنوان فأخبرنى أنه لم يلحظه جيدًا".

وحينئذ أخذ بيل يتنحنح ويضرب الأرض بقدميه وقد بدا خجلاً لعدم تمكنه من معرفة العنوان على وجه التحديد.

واستطرد جو قائلاً: "ومن ثَمَّ قلت له سوف ننطلق لنتحقق من الأمر، وعندما تبين لنا أنه رقم أربعة وسبعين الذى كنا بصدد الحديث عنه، قال بيل: "إن العنوان المكتوب بالمفكرة ربما ليست له علاقة بالجريمة"، فقلت له: "بما أن الأمر يتعلق بالاحتمالات فربما يكون للعنوان

علاقة بالفعل"، وبعد أن تناقشنا فى الأمر وسمعنا بأن الشرطة تريد استجواب رجل غادر المنزل فى ذلك الوقت تقريبًا جئنا إلى هنا لنستعلم عمن يتولى أمر هذه القضية. وإنى لآمل ألا نكون قد أهدرنا وقتك".

فرد بارمينتر باستحسان قائلاً: "لقد أحسنتما التصرف. ولكن هل أحضرت معك المفكرة؟ شكرًا لكما الآن ــ"

وبدأت أسئلته تأخذ طابع السرعة والاحتراف فتوصل إلى معرفة الأماكن والوقت، والتاريخ. ولكن الشيء الوحيد الذى لم يحصل عليه هو أوصاف ذلك الرجل الذى سقطت منه المفكرة، بل حصل على نفس الأوصاف التى أدلت بها تلك السيدة المذكورة: قبعة متدلية فوق العينين، معطف ذى أزرار مقفلة، لفاعة ملفوفة حول العنق، صوت هامس، ويدين بهما قفازان.

وبعدما انصرف الرجلان ظل محدقًا إلى ذلك الكتيب الصغير المفتوح فوق منضدته. فسوف يقوم بإرساله إلى قسم البصمات للتحقق من الأدلة ـ إن وجدت ـ التى سيكشف عنها رفع البصمات. كان أيضًا يفكر مليًا فى أمر العناوين، وفى الكلام المكتوب بخط يد صغير أعلى الصفحة.

دخل الرقيب كين الغرفة فاستدار برأسه إليه قائلاً:

"انظر إلى هذا".

فوقف كين من خلفه، وهو يصفر برفق ثم قرأ بصوت عالٍ: "ثلاثة فئران عمياء!"، ثم قال: "إننى محبط للغايةً!".

ففتح بارمينتر أحد الأدراج، وأخرج منه قصاصة من الورق عثر عليها مثبتة بإحكام بجثة المرأة المقتولة، ثم وضعها على مكتبه بجوار المفكرة.

كان مكتوبًا عليها: *هذه هى الأولى*، بينما وجد بأسفلها رسمًا صبيانيًا لثلاثة فئران ولحنًا موسيقيًا.

أخذ كين يتنغم باللحن وهو يصفر برفق: "*ثلاثة فئران عمياء، انظر كيف تجرى ـــ*"

فقال بارمينتر: "هذا هو لحن الجريمة".

"إنه حقًا لأمر غريب، أليس كذلك يا سيدى؟".

فقطب بارمينتر جبينه حينئذ قائلاً: "نعم، هل تم التحقق من هوية المرأة؟".

"نعم سيدى. ها هو تقرير من قسم رفع البصمات. إن السيدة لايون ـ كما كانت تطلق على نفسها ـ هى فى الحقيقة مورين جريج، وقد أفرج عنها من سجن هولوواى منذ شهرين بعد قضاء مدة عقوبتها".

فقال بارمينتر بإمعان: "لقد ذهبت إلى العنوان رقم أربعة وسبعين شارع كيلفر ستريت وأطلقت على نفسها اسم مورين لايون، وقد كانت تحتسى الخمر بين الحين والآخر، وقد عُرف عنها أنها كانت تصطحب معها رجلاً إلى بيتها لمرة أو مرتين، ولم تبد تخوفًا من شىء أو من

أحد، ومن ثَمَّ فليس هناك ما يجعلنا نعتقد بأن حياتها كانت فى خطر، وهذا الرجل هو الذى دق جرس الباب سائلاً عنها والذى أخبرته صاحبة المنزل بأن يصعد إلى الطابق الثاني. فصاحبة المنزل لا تستطيع أن تدلى بأوصافه باستثناء أنه كان متوسط الطول، وأنه كان يعانى ـ كما بدا لها ـ من نزلة برد كادت تفقده صوته تماماً. لقد عادت تلك المرأة إلى الطابق التحتى مرة ثانية ولم تسمع شيئًا مريبًا، كما أنها أيضًا لم تشعر بالرجل وهو يخرج من المنزل، وبعد مضى ما يقرب عشر دقائق أخذت الشاى إلى نزيلتها لتكتشف أنها قد شُنِقَت".

"هذه الجريمة ليست جريمة قتل عادية يا كين. فقد دُبِّرت بإحكام". سكت لبرهة ثم قال فجأة: "إننى لأتساءل: كم منزل يوجد بإنجلترا يُسمَّى مونكسويل مانور؟".

"ربما لا يوجد سوى واحد فقط يا سيدى".

"ربما يكون هذا من حسن حظنا، ولكن استمر فليس لدينا وقت لنضيعه".

فاستقرت حينئذ عينا الرقيب باهتمام على جزئيتين بالمفكرة ـــ *٧٤ كيلفر ستريت، مونكسويل مانور*.

وقال: "أتعتقد أن ـــ"

فقاطعه بارمينتر بسرعة قائلاً: "نعم. ألا تعتقد أنت ذلك أيضًا؟".

"ربما. مونكسويل مانور ـ مونكسويل مانور ـ يمكننى أن أقسم لك يا سيدى إنى قد رأيت هذا الاسم منذ وقت قريب".

"أين؟".

"هذا هو ما أحاول أن أتذكره. لحظة ـ نعم، لقد رأيته بالصحف بجريدة *التايمز* فى الصفحة الخلفية؛ فى صفحة الفنادق والمنازل التى تعمل بأجر أسبوعى؛ إنه نزل قديم، وقد رأيت الإعلان عنه حينما كنت أقوم بحل الكلمات المتقاطعة".

أسرع خارجًا من الحجرة، ثم عاد مزهوًا وهو يقول: "ها هى الصحيفة يا سيدى. لتلق نظرة عليها".

تابع المفتش القراءة حيث أشار الرقيب بإصبعه فقرأ:

"مونكسويل مانور، هاربليندن، بيركس"، ثم جذب الهاتف إليه قائلاً: "أوصلنى بشرطة مقاطعة بيركاشير".

بوصول الرائد ميتكالف أصبحت الأمور تسير بشكل معتاد فى نزل مونكسويل مانور بوصفه مؤسسة لها نشاط فعلى. لم يكن الرائد ميتكالف ذا شخصية مرعبة مثل السيدة بويل، أو شخصًا غريب الأطوار مثل كريستوفر رين، وإنما كان رجلاً متبلد الحس، فى منتصف العمر، ذا هيئة عسكرية أنيقة، وكان قد قضى معظم خدمته بالهند. وقد بدا راضيًا عن غرفته وما بها من أثاث، وبينما لم تتمكن السيدة بويل من العثور على صداقات مشتركة

حقيقية، كان هو يعرف أقارب أصدقاء لها. كما أن أمتعته الثقيلة كانت تبعث على الطمأنينة.

لم يكن لدى مولى وجيلز وقت كثير فى حقيقة الأمر كى يتأملا ضيوفهما. وبعد أن فرغا من أعمال الطهى وتقديم وتناول الغداء، قاما بأعمال التنظيف وهما يشعران بالسعادة، وأثنى الرائد ميتكالف على القهوة، ثم خلد مولى وجيلز إلى النوم. كانا يشعران بالفخر لما قاما به رغم ما كانا يشعران به من تعب، وفى نحو الساعة الثانية صباحًا أيقظهما صوت الجرس المتواصل.

فقال جيلز: "اللعنة. إنه الباب الأمامى. يا إلهى ــ"

وردت مولى : "هيا أسرع لترى مَنْ الطارق".

رماها جيلز بنظرة توبيخ والتف بعباءته ثم هبط الدرج وسمعت مولى صوت المزلاج وهمهمة أصوات بالردهة. وبوازع الفضول تسللت من مخدعها وذهبت لتختلس النظر من فوق الدرج؛ فرأت جيلز بالردهة يساعد رجلاً غريبًا ذا لحية على خلع معطفه المغطى بالثلج، والتقطت بعض أجزاء يسيرة من حديثهما.

كان صوتًا غريبًا مشوبًا بالانفعال يقول: "إن أصابعى قد تجمدت ولا أشعر بها، وقدمى كذلك ــ"، وحينئذ سمعت صوت أقدام تضرب الأرض بقوة.

فتح جيلز باب المكتبة قائلاً: "ادخل فالمكان دافئ هنا. من الأفضل أن تنتظر حتى أجهز لك غرفة".

فرد الرجل الغريب بطريقة مهذبة قائلاً: "إنى محظوظ حقًا".

ومن فوق الدرابزين أخذت مولى تحدق فى فضول فرأت رجلاً كبير السن ذا لحية صغيرة سوداء وحاجبين بارزين غليظين يتحركان فى تؤدة.

أغلق جيلز الباب عليه وعاد أدراجه مسرعًا فنهضت مولى عندئذ من مكانها.

وتساءلت: "مَنْ هذا؟".

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه جيلز قائلاً: "إنه نزيل جديد. لقد انقلبت سيارته إثر تساقط الجليد، فخرج منها وسار وسط العاصفة الثلجية التى لا تزال بالخارج حتى رأى النزل فقال فى نفسه لقد استجاب الله لى".

"أتعتقد أنه لا يمثل خطرًا؟".

"إن لصوص المنازل لا يشنون هجماتهم فى ليلة كهذه يا حبيبتى".

"إنه أجنبى، أليس كذلك؟".

"نعم واسمه بارافيشنى، وقد رأيت حافظة نقوده محشوة بالنقود، أو أعتقد أنه قد تعمد أن يرينى إياها. أى غرفة سنعطيها له؟".

"الغرفة الخضراء، فهى مرتبة وجاهزة، سنقوم فقط بإعداد السرير".

فقال جيلز: "أعتقد أننى سأقرضه واحدة من مناماتى؛ فقد ترك كل متعلقاته بالسيارة، وقال إنه اضطر إلى أن يقفز إلى الخارج عبر نافذة السيارة".

أحضرت مولى ملاءة للسرير وأكياسًا للوسادة ومنشفة، وبينما كانا يرتبان السرير على عجل، قال جيلز: "ستزداد العاصفة سوءًا، وسوف يحاصرنا الثلج، وسوف نصبح فى عزلة تامة وسيكون الأمر ممتعًا، أليس كذلك؟".

ردت مولى فى ارتياب قائلة: "لا أدرى. ترى هل سأتمكن من إعداد خبز الصودا؟".

فرد زوجها العطوف قائلاً: "بالطبع تستطيعين وبمقدورك القيام بأى شيء".

"ولكننى لم أحاول أن أصنع خبزًا من قبل، فهو من الأمور التى لا نستغنى عنها، وقد كان الخباز هو الذى يحضره إلى هنا ولكن إذا حاصرنا الثلج فلن يتمكن الخباز من الوصول إلينا".

"وكذلك الجزار، أو ساعى البريد فلن يمكنهما الوصول إلينا، ولن تصل الصحف أيضًا، وقد تقطع الحرارة عن الهاتف".

"ألن يكون لدينا أية وسيلة اتصال بالعالم الخارجى سوى المذياع؟".

"على أية حال، علينا أن نوفر ما يلزمنا من الإضاءة".

"يجب أن تعيد تشغيل المحرك غدًا، وأن تقوم بعمل صيانة للتدفئة المركزية".

"أعتقد أنه لن يصل المزيد من الفحم الآن. نحن لدينا القليل جدا منه".

"يا إلهى، يا جيلز أعتقد أننا نمر بوقت عصيب. هيا أسرع وأحضر بارا ـــ أيًا كان اسمه. سأخلد إلى النوم".

انبثق الصباح مؤكدًا ما كان يتوجس منه جيلز خيفة؛ فقد تراكم الثلج حتى ارتفاع خمس أقدام، ولا يزال يتساقط بالخارج متراكمًا على الأبواب والنوافذ، واكتسى العالم الخارجى باللون الأبيض غارقًا فى سكون قاتل.

جلست السيدة بويل لتتناول الإفطار. كانت بمفردها فى غرفة الطعام وعلى المائدة المجاورة لمائدتها بدا مكان الرائد ميتكالف خاليًا، كانت هى الوحيدة التى استيقظت مبكرًا. وبالطبع كانت السيدة بويل تعلم أن وقت تناول الطعام هو التاسعة صباحًا.

انتهت السيدة بويل من تناول طبقها المفضل من العجة وجلست تقضم الخبز المحمص بين أسنانها القوية البيضاء، كانت تشعر بالاستياء؛ فقد وجدت مونكسويل مانور على غير ما كانت تتخيله، كانت تأمل فى العثور على صحبة من النساء العانسات، واللاتى ستؤثر فيهن بالحديث عن وضعها الاجتماعى وعلاقاتها ومدى أهمية وسرية خدمتها بالجيش.

لقد أصبحت السيدة بويل بنهاية الحرب فى عزلة وكأنها على شاطئ مهجور وهى التى كانت فيما مضى

امرأة لديها الكثير من الأعمال، فكم كانت تتحدث بلباقة عن الكفاءة والتنظيم، وقد كانت حماستها المفرطة ونشاطها الملحوظ يجعلان الآخرين يحجمون عن التحقق مما إذا كانت مجرد منظمة جيدة أم أنها ذات كفاءة عالية، وقد تأثرت شخصيتها كثيرًا بالأنشطة العسكرية؛ فقد كانت تسود الآخرين وتترأسهم، وكانت أيضًا تمثل قلقًا لرؤساء المناطق العسكرية، وإحقاقًا للحق فقد كانت السيدة بويل قاسية حتى على نفسها. حتى النساء اللائى كن يعملن تحت إمرتها كن ينطلقن جيئة وذهابًا إذا ما عبست فقط بوجهها. أما الآن فقد انتهت كل هذه الحياة الحافلة، وعادت مرة ثانية إلى حياتها الخاصة، وها هو منزلها الذى قام الجيش بمصادرته يحتاج الآن إلى إصلاحات وتجديدات شاملة قبل أن تتمكن من العودة إليه، وعلى أية حال فإن المعوقات التى تقف أمام المساعدات المحلية تجعل العودة إليه أمرًا من الصعب تحقيقه، أما أصدقاؤها فقد تخلوا عنها. ولكنها الآن ستجد ـــ بلا ريب ـــ بيئتها التى تناسبها والمتمثلة فى أحد الفنادق أو ما شابه. وها هى قد اختارت المجىء إلى نزل مونكسويل مانور.

نظرت حولها بازدراء وهى تقول لنفسها:

إنهما مخادعان، فلم يخبرانى أنهما قد افتتحا هذا النزل للتو.

ودفعت بطبقها بعيدًا عنها. لم يكن هناك ما يجعلها تتبرم أو تشتكى؛ فقد تم إعداد إفطارها إعدادًا جيدًا، وقُدِّم إليها بشكل رائع مصحوبًا بالقهوة اللذيذة ومربى

الفواكه بيتية الصنع. وسريرها كذلك، فقد تم إعداده على نحو مريح، مفروشًا بالملاءات المزخرفة والوسائد الناعمة. فعلى الرغم من أن السيدة بويل كانت تحب الرفاهية إلا أنها كانت فى الوقت ذاته مولعة بتصيد الأخطاء، وكانت هذه السمة الأخيرة هى الأكثر وضوحًا فى شخصيتها.

بهيئة تعلوها المهابة والفخامة، نهضت السيدة بويل خارجة من غرفة الطعام، وفى طريقها مرت بذلك الشاب غريب الأطوار ذى الهيئة الغريبة وشعره الأحمر، وكان مرتديًا رابطة عنق مصنوعة من الصوف وذات خطوط مربعة ولون أخضر زاهٍ.

حدَّثت نفسها قائلة: *ياله من أمر مناف للطبيعة!!*

ولم تعجبها تلك النظرة الغريبة التى رمقها بها بطرف عينيه الشاحبتين، فقد كانت تحمل تلك النظرة الساخرة شيئًا غير مألوف.

فقالت لنفسها ثانية: *لا داعى للعجب فمن المؤكد أنه مختل عقليًا.*

وبإيماءة يسيرة برأسها ردت إليه التحية حينما انحنى وهو يحييها، ثم شقت طريقها نحو غرفة الاستقبال بمقاعدها الوثيرة لاسيما ذلك المقعد الكبير بلونه الوردى، والذى قررت أن تختصه لنفسها فألقت عليه مغزلها، ثم مشت نحو جهاز التدفئة واضعة يدها عليه، وكما توقعت لم تجده حارًا بل دافئًا فتوهجت حينئذ عيناها. إنها الآن لديها ما يمكنها التذمر منه.

نظرت عبر النافذة نظرة خاطفة إلى الطقس المروع البغيض، وقررت ألا تبقى بالغرفة إلى أن يأتى بعض الناس ليضفوا عليها نوعًا من التسلية.

وحينئذ انزلق بعض الجليد من فوق السقف محدثًا صوتًا انفجاريًا، فهبت السيدة بويل من مقعدها على الفور وهى تقول بصوت عالٍ: "كلا، لا يجب أن أبقى هنا كثيرًا".

وسمعت شخصًا ما يضحك ضحكة، فاستدارت برأسها لتجد كريستوفر رين واقفًا عند الباب ينظر إليها بفضول قائلاً:

"كلا. لا أعتقد أنك ستفعلين ذلك".

كان الرائد ميتكالف يقوم بمساعدة جيلز فى إزاحة الثلج بعيدًا عن الباب الخلفى، وكان يعمل بشكل جيد فعبَّر له جيلز عن امتنانه بصوتٍ عالٍ.

فرد عليه الرائد ميتكالف قائلاً: "إنه تمرين جيد، فعلى المرء ـ كما تعلم ـ أن يقوم ببعض التمارين كل يوم ليحافظ على لياقته".

إذن فقد كان الرائد منقطعاً للتمارين الرياضية. وانتاب جيلز خوف شديد، فقد كان يخشى بشدة أن يطلب منه الرائد الإفطار فى الساعة السابعة والنصف صباحاً.

فقال لـه الرائـد ميتكـالف وكأنـه يقـرأ أفكـاره: "من الأفضل كثيراً أن يكون إفطارى جـاهزاً فـى وقـت مبكـر، وسأكون ممتنا إذا قدمتم لى على الإفطار بيضًا طازجًا".

ونظرًا لمقتضيات العمـل الفنـدقى، فقـد اسـتيقظ جيلـز مبكرًا قبل الساعة السابعة، وقام مع مولى بإعـداد البـيض والشاى، ثم أعدّا غرفة انتظار الضيوف فبدا كل شىء أنيقًا وكأنه جديد تمامًا. ولم يستطع جيلـز أن يمنـع نفسـه من التفكير بأنه لو كان نزيلاً فى أحد الفنادق لما أيقظه شـىء من النوم فى صباح مثل هذا سوى فى اللحظات الأخيرة.

أما الرائد فقد استيقظ مفعمًا بالنـشاط والحيويـة وتنـاول إفطاره ثم أخذ يتجول حول النزل باحثًا عن مخرج.

وكان جيلز يفكر فى أكوام الثلج المتراكمة التـى تحتـاج إلى أن تُـزَال وألقـى نظـرة جانبيـة نحـو رفيقـه. لم يكـن الرجل من النوعية التى يـسهل فهمهـا فقـد كانـت عينـاه تبدوان كأن بهما شيئًا ما يؤرقهما على نحو غريب، وأخـذ جيلز يتساءل عما أتى به إلى مونكسويل مـانور، وظـنّ أنـه ربما يكون قد تم تسريحه من الجيش وليست لديه وظيفة.

أما الـسيد بارافيـشنى فقـد نـزل مـن غرفتـه متـأخرًا، وتناول القهوة مع كسرة من الخبز المحمص.

وعنـدما أحـضرت مـولى الإفطـار إليـه انتابهـا شـعور بالارتباك جرَّاء نهوضه وانحنائه بشكل مبـالغ فيـه سـائلاً إياها: "أنت مضيفتى الجميلة، أليس كذلك؟".

وبعد برهة يسيرة، أجابته مولى بأنه على صواب؛ فلم تكن وقتهـا فـى مـزاج يـسمح لهـا بالاسـتماع إلى إطـراءات ومجاملات.

وبينما كانـت تكـوِّم الآنيـة الفخاريـة بـسرعة، قالـت: "لماذا يتنـاول كـل فـرد إفطـاره علـى حـدة، وفـى أوقـات مختلفة عن غيره ـــ إنه لأمر شاق".

علّقت الأطبـاق علـى الحامـل المعـد لـذلك ثـم هرولـت لأعلى كى تتولى أمر الأسرة. إنهـا لـن تنتظـر مـساعدة مـن جيلز هذا الصباح؛ لأنه سيقوم بتمهيـد الطريـق المؤدى إلى كوخ الدجاج.

ورغم أن أحدًا لا ينكر أن مولى قد قامت بإعداد الأسـرة إلا أنها أعدتها على نحو سيئ، فقد كانت متعجلة للغايـة وهى تلملم الملاءات وتفرشها.

وبينما كانت تنظف الحمام سمعت صوت الهاتف.

أخذت فى بادئ الأمر تلعن الهاتف؛ لأنه قاطعها عمـا كانـت تقـوم بـه، ولكـن بعـد برهـة يـسيرة انتابهـا شـعور بالارتياح عندما أدركت أنـه لا يـزال يعمـل، ثـم أسرعـت لترد عليه.

وصلت إلى المكتبـة لاهثـة الأنفـاس تقريبًـا، ثـم رفعـت السماعة.

قالت: "مَنْ؟".

فسمعت صوتًا بلهجة محلية رقيقة سائلاً إياها: "هـل هنا نزل مونكسويل مانور؟".

"نعم. هنا نزل مونكسويل مانور".

"أيمكننى الحديث مع السيد ديفيز من فضلك؟".

"معذرة. فلن يستطيع الرد عليك الآن. أنا السيدة ديفيز. مَنْ المتحدث؟".

"أنا المراقب هوجبن من شرطة بيركشاير".

أطلقت مولى زفرة يسيرة: "أوه ـ نعم ـ إنه ـ نعم؟".

"لقد حدث أمر طارئ يا سيدة ديفيز. ولا أريد أن أتحدث عنه كثيرًا بالهاتف. ولكننى قد أرسلت المحقق الرقيب تروتر إليكم، وهو على وشك الوصول إليكم الآن".

"ولكنه لن يستطيع الوصول إلى هنا؛ فقد حاصرنا الثلج تماما، ومن الصعب للغاية أن يجتاز الطريق".

لم يكن فى صوت المراقب على الجانب الآخر ما ينم عن عدم ثقته فى وصول المحقق.

رد عليها قائلاً: "سيصل تروتر إليكم. ومن فضلك، يتعين عليك أن توصى زوجك بالاستماع بعناية إلى ما سيقوله له، وأن يتبع تعليماته بحذافيرها. هذا كل ما فى الأمر".

"ولكن أيها المراقب هوجبن! ماذا عن ـــ"

وحينئذ سمعت صوت فرقعة بأذنيها؛ فقد أخبرها هوجبن بكل ما أراد ثم أغلق الخط. وأخذت هى تعبث بحامل الهاتف مرة أو مرتين، ثم نهضت واقفة واستدارت عندما فتح الباب.

"أوه، جيلز عزيزى، حسنا فعلت بمجيئك إلى هنا".

كانت هناك حبيبات من الثلج على رأس جيلز وآثار الفحم على وجهه. وكان يبدو متعبًا.

توجه إليها قائلاً: "ما الأمر يا حبيبتى؟ لقد ملأت أوعية الفحم وأحضرت الخشب وسوف أتولى أمر الدجاج فيما بعد. والآن ألقى نظرة على الغلاية. هل كل شىء على ما يرام؟ ما الأمر يا مولى؟ إنك تبدين مذعورة".

"لقد اتصلت *الشرطة* بنا للتو".

وبصوت مشوب بالارتياب قال جيلز: "الشرطة؟".

"نعم، وقد أرسلوا مفتشًا أو رقيبًا، أو شيئًا من هذا القبيل إلى هنا".

"ولكن لماذا؟ ما الذى اقترفناه؟".

"لا أدرى. أتظن أن الأمر يتعلق برطلى الزبد اللذين جئنا بهما من أيرلندا؟".

بدا جيلز عابسًا ثم قال: "لقد حصلت على رخصة التلغراف. أليس كذلك؟".

"نعم إنها بالدرج. ترى هل يتعلق بالسيدة بيدلوك العجوز التى أعطتنى خمسة كوبونات فى مقابل معطفى القديم المصنوع من الصوف. ومع أنى أعتقد أن هذا غير قانونى، إلا أنه *العدل* بعينه، فليس لدىَّ معطف الآن. فلماذا إذن لا آخذ الكوبونات؟ ما الذى يمكن أن يكون قد اقترفناه يا عزيزى؟".

"لقد صدمت سيارة بالأمس، ولكن لم يكن بسبب خطأ منى بل بسبب خطأ من السائق القادم من الخلف".

أخذت مولى تنتحب قائلة: "من المؤكد أننا قد اقترفنا *شيئًا ما*".

فرد جيلز بنبرة حزينة: "إن المشكلة تكمن فى أن تصرفاتنا دائما ما تكون غير قانونية، ومن هنا نشعر دائمًا بأننا مذنبون، وعلى أية حال فإننى أتوقع أن يكون الأمر متعلقًا بإدارتنا لهذا المكان؛ فمن المحتمل أن عملاً كهذا ملىء بالمخالفات التى لم نسمع عنها".

"كنت أظن أن الشراب هو الأمر الوحيد ذو الأهمية، ومع ذلك فإننا لم نقدم شرابًا لأحد، ومن ناحية أخرى فلماذا لا ندير المكان الخاص بنا بالطريقة التى نريدها؟".

"نعم، إن هذا يبدو صحيحًا، ولكنى أعتقد أن أمورًا كثيرة باتت محظورة بشكل أو بآخر هذه الأيام".

فتنهدت مولى قائلة: "أوه يا عزيزى، ليتنا لم نشرع فى هذا العمل فسوف يحاصرنا الثلج لأيام عديدة، وسيغضب النزلاء، وسوف ينفد كل مخزوننا من المعلبات ـــ"

قال جيلز: "لا تحزنى يا حبيبتى. سوف يمر هذا المأزق وسوف يحالفنا التوفيق".

ثم قبَّل رأسها، وتغيرت نبرة صوته وهو يشير إلى النافذة قائلاً: "فكرى فقط فى الأمر يا مولى. فمن المؤكد أن شيئا خطيرًا قد وقع وهو الذى دفع برجال الشرطة إلى أن يرسلوا واحدًا منهم ليشق طريقه بصعوبة إلى هنا رغم

كل هذا الثلج". ثم أشار إلى الثلج المتراكم بالخارج وقال: "لابد أنه شىء *ملحٌ* ـــ"

وبينما كانا يحدقان إلى بعضهما، فتح الباب، ودخلت السيدة بويل قائلة:

"ها أنت هنا يا سيد ديفيز! ألا تدرى أن التدفئة المركزية بحجرة الرسم لا تعمل، وأن الجو شديد البرودة هناك؟".

"معذرة يا سيدة بويل فقد نفد الفحم لدينا، و ـــ"

فقاطعته السيدة بويل فى حدة قائلة: "إننى أدفع سبعة جنيهات أسبوعيًا ـــ *سبعة* جنيهات ـــ فهل أدفعها لكى أتجمد؟".

فاحمر وجه جيلز، ثم قال باقتضاب: "سأذهب لأشغله".

وخرج من الحجرة، فاستدارت السيدة بويل نحو مولى قائلة:

"إذا سمحت لى يا سيدة ديفيز! يوجد هنا شاب غريب الأطوار للغاية، ويبدو ذلك من خلال تصرفاته الغريبة، ورابطة عنقه وشعره الأشعث، ألا يهذبه؟".

فردت مولى قائلة: "إنه مهندس معمارى، وهو شاب ذكى للغاية".

"أستميحك عذرًا؟".

"إن كريستوفر رين مهندس معمارى و ـــ"

فقاطعتها السيدة بويل فى حدة قائلة : "لقد سمعت بالطبع يا عزيزتى عن السيد كريستوفر رين؛ ذلك المهندس المعمارى الذى شيَّد أجمل المبانى. يبدو أنكم أيها الشباب تربطون بين التعليم والسلوك".

فردت مولى قائلة : "إننى أقصد رين؛ فقد سُمِّى بذلك لأن والديه كانا يأملان أن يصبح مهندسًا معماريًا، وقد أصبح تقريبًا كذلك".

همهمت السيدة بويل بامتعاض قائلة : "إننى لا أصدق هذه القصة، ولو كنت مكانك لقمت بعمل بعض التحريات عنه. ما الذى تعرفينه عنه؟".

"ليس أكثر مما أعرفه عنك يا سيدة بويل؟ وهو أن كليكما سيدفع لى سبعة جنيهات أسبوعيًا، ولست بحاجة إلى أن أعرف أكثر من هذا، ثم إننى لا أعير اهتمامًا سوى للعمل فقط، ولا يهمنى إذا ما كان النزلاء يروقون لى"، ثم نظرت بثبات نحو السيدة بويل واستطردت قائلة : "أو لا يروقون لى".

فاحمر وجه السيدة بويل غضبًا وهى تقول : "إنك لا تزالين صغيرة السن وتفتقرين إلى الخبرة؛ ومن ثَمَّ فإنه يتوجب عليك أن ترحبى بنصيحة من هو أكثر منك معرفة بالأمور. وماذا عن ذلك الأجنبى الغريب؟ متى وصل؟".

"عند منتصف الليل".

"حقًا؟ وهذا أيضًا وقت غريب كذلك".

فردت مولى قائلة : "إن طرد المسافرين المشكوك فى حقيقة أمرهم يُعَدُّ مخالفًا للقانون"، ثم استطردت بهدوء قائلة : "ربما غاب عنك هذا يا سيدة بويل".

"إن كل ما يمكننى قوله هو أن ذلك المدعو بارافيشنى ـ أو أيًا كان اسمه ـ يبدو لى ــ"

"احترسى. احترسى يا سيدتى، إنك تتحدثين عن الشيطان وحينئذ ــ"

قفزت السيدة بويل من مكانها، وكأن شيطانًا بالفعل يتحدث إليها؛ فضحك السيد بارافيشنى الذى كان قد تسلل خلسة دون أن تلحظه إحداهما وأخذ يمسح راحتى يديه فى بعضهما بمرح وكأنه شيطان عجوز.

فقالت السيدة بويل : "لقد أفزعتنى، فلم أسمعك وأنت تدخل".

فرد السيد بارافيشنى قائلاً: "لا أحد يستطيع أن يلاحظنى؛ فأنا أمشى على أطراف أصابعى، وأجد فى ذلك متعة، وأحيانًا تسترق أذناى السمع لبعض الأشياء؛ وهذا أيضًا أجد فيه متعة"، ثم أضاف فى هدوء قائلاً: "ولكننى لا أنسى ما أسمعه".

فردت السيدة بويل بصوت واهن قائلة : "حقًا؟ سأحضر مغزلى؛ فقد نسيته فى غرفة الاستقبال".

هرولت مسرعة بينما وقفت مولى تنظر إلى السيد بارافيشنى وملامح الارتباك تلوح على وجهها، فوثب مقتربًا منها قائلاً:

"إن مضيفتي الجميلة تبدو ضجرة"، وبسرعة خاطفة أمسك بيدها وقبلها قائلاً: "ما الأمر يا سيدتي العزيزة؟".

فتراجعت مولى خطوة إلى الوراء، لأنها لم تكن قد تعرَّفت علي السيد بارافيشنى بشكل كافٍ، كما أنه كان يقترب منها كعجوز شبق.

فقالت برفق: "لقد واجهتنا هذا الصباح صعوبات كثيرة بسبب الثلج".

فأدار السيد بارافيشنى رأسه لينظر إلى النافذة قائلاً: "إن الثلج يسبب مصاعب كثيرة، إنه يصعِّب الأمور أليس كذلك؟ أو يجعلها أكثر سهولة".

"لا أعرف ماذا تعني".

فقال بإمعان: "لا عليك، فهناك الكثير مما لا تعرفينه. فأنت ـ على سبيل المثال ـ لا تعرفين الكثير عن كيفية إدارة نزل".

فرفعت مولى وجهها فى حدة قائلة: "نعم أظن ذلك. لكننا نديره بقدر معرفتنا".

"عظيم، عظيم".

ثم اكتسى صوت مولى بمسحة من القلق وهى تقول: "ثم إننى لست طاهية سيئة للغاية ـــ"

فرد السيد بارافيشنى قائلاً: "إنك ــ بلا ريب ــ طاهية رائعة".

كانت مولى تفكر آنذاك فى تلك الضوضاء التى يحدثها الأجانب.

وقرأ السيد بارفيشنى أفكارها، فغيَّر أسلوبه وبدأ يتحدث بمزيد من الهدوء والجدية. وقال:

"أتسمحين لى أن أقدم لك تحذيرًا يسيرًا يا سيدة ديفيز؟ يجب عليك أنت وزوجك ألا تضعا ثقتكما الكاملة فى الآخرين. فمثلاً هل لديك قاعدة بيانات عن هؤلاء النزلاء؟".

فبدت مولى مضطربة وهى تقول: "وهل يُعَدُّ هذا أمرًا معتادًا؟ لقد كنت أظن أن النزلاء يأتون إلى هنا وحسب".

"يجدر بك أن تعرفى قليلاً عن أولئك الذين ينامون تحت سقف منزلك"، ثم اتكأ للأمام وهو يربت على كتفيها بطريقة تهديدية قائلاً: "إننى مثلاً ـ قد وصلت إلى هنا فى منتصف الليل وأخبرتكم بأن سيارتى قد انقلبت إثر تساقط الثلج. فما الذى تعرفينه عنى أكثر من ذلك؟ لا شىء إطلاقًا. وربما أيضًا لا تعرفين شيئًا عن بقية النزلاء".

فهمت مولى بأن تقول: "إن السيدة بويل ـــ"، وحينئذ أمسكت عن الحديث عندما رأت تلك السيدة عائدة ومغزلها فى يدها.

دخلت السيدة بويل وهى تقول: "سوف أجلس هنا، فالجو فى غرفة الاستقبال قارس البرودة". ثم خطت نحو المدفأة.

فسار السيد بارافيشنى أمامها فى خفة قائلاً: "أتسمحين لى بأن أُذكى لك نار المدفئة؟".

اندهشت مولى مثلما اندهشت ليلة أمس من سيره بخفة ونشاط، ولاحظت أنه كان يحرص دائمًا على أن يُبْقِى ظهره مقابلاً للضوء، وقد أدركت السبب فى ذلك عندما رأته ينحنى ليشعل المدفأة، فقد كان متزيناً بمهارة بمستحضرات التجميل.

لقد كان الوغد العجوز يحاول أن يبدو أصغر سنًا، ولكنه لم ينجح فى ذلك فقد كان يبدو تمامًا فى مثل عمره، وربما أكثر. ولم يكن هناك ما يوحى بعكس ذلك سوى مشيته فقط، والتى من المحتمل أنه كان يتكلفها هى الأخرى بمهارة.

وبدخول الرائد ميتكالف على نحو مفاجئ توقفت مولى عن تأملها لتعود ثانية إلى الواقع الكريه.

كان الرائد يقول: "معذرة يا سيدة ديفيز. أخشى أن المواسير ـــ"، وفجأة أخفض صوته واستأنف قائلاً: "المواسير الموجودة بالمرحاض بالطابق السفلى قد تجمَّدت".

فتأوهت مولى قائلة: "يا له من يوم عصيب؛ الشرطة أولاً ثم المواسير".

وحينئذ ألقى السيد بارافيشنى بالقضيب الذى كان يُذْكِى به النار فى المدفأة محدثًا قعقعة، بينما توقفت السيدة بويل عن الغزل. أما مولى فقد أصابتها الحيرة والدهشة حينما رأت الرائد ميتكالف قد تصلَّب فى مكانه فجأة، وقد ارتسمت على وجهه تعبيرات غامضة

لم تستطع فهمها. كانت تعبيرات وجهه توحى بالجمود وتبلُّد الحس.

وبصوت متقطع قال: "هل ذكرت كلمة شرطة؟".

كانت تدرك أنه لا يزال هناك انفعال عنيف يتوارى وراء تصلبه، ربما كان انفعالاً مشوبًا بالخوف أو الإثارة، أو الحذر، ولكن من المؤكد أنه يوجد *شىء ما*. فتوجَّست فى نفسها خيفة منه؛ فربما *يمثِّل هذا الرجل خطرًا*.

طرح السؤال مرة ثانية ولكن هذه المرة بصوت هادئ مشوب بالفضول فقال: "ما الذى يأتى بالشرطة إلى هنا؟".

فردت مولى قائلة: "لقد اتصلوا الآن ليخبرونا أنهم قد أرسلوا إلينا ضابطًا برتبة رقيب"، ثم نظرت نحو النافذة واستأنفت قائلة: "ولكن لا يبدو لى أنه سيتمكن من الوصول إلى هنا".

"ولكن لماذا يرسلون شرطيًا إلى هنا؟"، ثم خطا نحوها، وقبل أن تجيب، فتح الباب ودخل جيلز.

صاح بغضب قائلا: "إن هذا الفحم الأحمر يزن أكثر من عشرة أحجار"، ثم تساءل فى حدة: "هل حدث شىء ما؟".

فاستدار إليه الرائد ميتكالف قائلاً: "لقد سمعت أن الشرطة فى طريقها إلى هنا. ترى ما السبب؟".

فرد جيلز قائلاً: "لن يستطيع أحد الوصول إلى هنا؛ فقد تراكم الثلج حتى بلغ ارتفاعه خمس أقدام، لقد سُدَّ الطريق تمامًا".

وحينئذ سُمِعَ صوت ثلاث طرقات على الباب.

فأجفلوا جميعًا، ولم يتمكنوا لبرهة من تحديد مصدر الصوت. كانت تلك الطرقات تحمل تهديدًا كتهديد الأشباح، وحينئذ صاحت مولى وهى تشير إلى الباب الخارجى؛ كان هناك رجل واقف يقرع زجاج النافذة مرتديًا زلاجة فسَّرت لهم الطريقة التى وصل بها.

وبتعجب مشى جيلز عبر الغرفة متحسسًا طريقه فى ارتباك ثم فتح الباب.

فشكره الوافد الجديد بصوته المألوف المرح، ووجهه ذى اللون البرونزى.

قدَّم نفسه قائلاً: "أنا المحقق الخاص سيرجنت تروتر".

فنظرت إليه السيدة بويل شذرًا من خلال مغزلها وقالت: "كيف تكون شرطيًا بينما تبدو صغير السن؟".

فشعر الرجل الذى كان يبدو بالفعل صغيرًا فى السن بإهانة إزاء هذا النقد، وبنبرة يشوبها الضيق رد قائلاً: "لست صغيرًا فى السن تمامًا كما أبدو يا سيدتى".

وأخذت عيناه تتفحصان الحاضرين، ثم انتقى جيلز سائلاً: "هل أنت السيد جيلز؟ أتسمح لى بخلع هذه الزلاجات لتحفظها لى فى مكان ما؟".

"بالطبع، اتبعنى".

وعندما انغلق الباب المؤدى إلى الردهة إثر خروجهما، تحدثت السيدة بويل بامتعاض قائلة: "أعتقد أن هذا هو

ـا نحصل عليه من رجال الشرطة؛ إنهم يتجولون ـستمتعين برياضة الشتاء".

واقترب بارافيشنى من مولى، وبصوت خافت همس ـسرعة قائلاً: "لماذا أرسلت فى استدعاء الشرطة يا سيدة ديفيز؟".

فتراجعت إلى الوراء يسيرًا إزاء دهشتها من نظرته ـاكرة، والتى كشفت النقاب عن جانب جديد من شخصية السيد بارافيشنى؛ وشعرت بالخوف يسرى فى أوصالها لبرهة قبل أن تندفع قائلة: "ولكننى لم أفعل، لم أفعل".

وحينئذ دخل كريستوفر رين مرحًا وهمس بصوت عال بعض الشيء قائلاً: "مَنْ هذا الرجل الموجود بالردهة؟ من أين هو؟ كم هو قوى لأن يصل إلى هنا رغم هذا الجليد".

فانطلق صوت السيدة بويل مدويًا حاجبًا صوت إبرة الغزل فى يدها قائلة: "صدق أو لا تصدق. إن هذا الرجل شرطى ــ شرطى يقوم بالتزلج!".

كان صوتها يوحى بالسخرية والتهكم.

وهمهم الرائد ميتكالف إلى مولى قائلاً: "أستميحك عذرًا سيدة ديفيز، أتسمحين لى باستخدام هاتفك؟".

"بالطبع أيها الرائد".

ذهب إلى الهاتف بينما كان رين كريستوفر يتحدث فى طرب قائلاً: "إنه وسيم للغاية، ألا تعتقدون ذلك؟ لطالما اعتقدت بأن رجال الشرطة لا يتسمون بالوسامة المفرطة".

كان صوت الرائد ميتكالف يجلجل على نحو مزعج قائلاً: "مرحباً. مرحباً"، ثم استدار إلى مولى قائلا: "لقد انقطعت الحرارة عن الهاتف نهائيًا".

"ولكنه كان يعمل بشكل جيد منذ قليل. إننى —"

وحينئذ قاطعها كريستوفر رين بضحكته العالية التى أطلقها على نحو هستيرى وهو يقول: "لقد أصبحنا الآن فى عزلة تامة. يا له من شىء ممتع، أليس كذلك؟".

فرد الرائد ميتكالف بخشونة قائلاً: "لست أرى ما يدعو إلى الضحك".

ووافقته السيدة بويل قائلة: "كلا، بالطبع".

كان كريستوفر رين لا يزال فى نوبة الضحك وهو يقول: "إنها مزحة"، ثم وضع إصبعه على شفتيه قائلاً: "صه ! ها هو الشرطى السرى قادم نحونا".

دخل جيلز بصحبة الرقيب تروتر؛ كان الأخير قد خلع زلاجته ومسح الثلج عن نفسه، وكان بيده مفكرة كبيرة وقلم رصاص فأشاع بذلك جوًا من الإجراءات القضائية.

توجَّه جيلز إلى مولى قائلاً: "إن الرقيب تروتر يريد الحديث معنا بمفردنا".

فتبعته مولى إلى خارج الغرفة.

قال جيلز: "سنذهب إلى حجرة القراءة".

وذهب ثلاثتهم إلى تلك الغرفة الصغيرة بمؤخرة الردهة، والتى أُطْلِق عليها هذا الاسم إعلاءً لشأنها، وأغلق الرقيب تروتر الباب خلفه بعناية.

فسألته مولى بصوت حزين: "ما الذى اقترفناه أيها الرقيب؟".

"اقترفتماه؟". وحينئذ حدق الرقيب فيهما ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: "ليس الأمر كما تظنين يا سيدتى. معذرة إن كان قد حدث بعض من سوء الفهم، ولكنها مسألة حماية من الشرطة، آمل أن تتفهمى ذلك".

ولأنهما لم يفهما شيئًا مما قاله؛ فقد نظر كلاهما إلى الآخر نظرة تساؤل، واستطرد الرقيب تروتر بلباقة قائلا: "إن الأمر يتعلَّق بوفاة السيدة لايون ـ السيدة مورين لايون التى قُتِلَت فى لندن منذ يومين، لعلك سمعتِ عن هذه القضية".

فأجابته مولى: "نعم".

"إن أول ما أريد معرفته الآن هو هل كنتما تعرفان السيدة لايون هذه؟".

فرد جيلز، وهمهمت معه مولى قائلين: "ما سمعنا عنها من قبل مطلقاً".

"حسنا، وهذا هو ما توقعناه. إن الاسم الحقيقى للمرأة القتيلة لم يكن لايون فى واقع الأمر، ولأن لدينا ملفا خاصًا وسجلاً عليه بصماتها فلم نجد صعوبة فى تحديد هويتها،

كان اسمها الحقيقى جريج؛ مورين جريج، وكان زوجها الراحل جون جريج يعمل مزارعًا، وكان يقطن فى مزرعة لونجريدج التى لا تبتعد كثيرًا عن هنا، أعتقد أنكما ربما قد سمعتما عن قضية لونجريدج".

وحينئذ ساد الغرفة هدوء قاتل لم يقطعه سوى صوت فرقعة مفاجئة إثر انزلاق قطعة من الثلج من السقف على الأرض بالخارج، ثم استمر تروتر فى حديثه قائلاً: "إثر قضية لونجريدج عام ١٩٤٠ تم إيواء ثلاثة أطفال، مات أحدهم بسبب سوء الرعاية والإهمال، وأصبح للقضية صدىً مسموع فتم الحكم على جون جريج وزوجته بالسجن، غير أن جريج قد تمكّن من الفرار أثناء ترحيله إلى السجن، وقام بسرقة إحدى السيارات إلا أنه تعرَّض لحادث أثناء هروبه من رجال الشرطة فلقى حتفه على الفور، أما السيدة جريج فقد أمضت مدة العقوبة إلى أن تم الإفراج عنها منذ شهرين".

فرد جيلز قائلاً: "وقد قُتِلَت الآن. ترى مَنْ قتلها؟".

فسأله تروتر بسرعة قائلاً: "هل تذكر تلك القضية يا سيدى".

فهز جيلز رأسه قائلاً: "لقد كنت فى عام ١٩٤٠ أعمل بالقوات البحرية برتبة ضابط صف".

وردت مولى لاهثة: "إننى لا أزال أذكر هذه القضية. ولكن لماذا جئت إلينا؟ ما علاقتنا بذلك؟".

"لأننا نخشى أن تكونا فى خطر. حتى ولو كان ذلك مجرد احتمال".

فرد جيلز بارتياب متسائلاً: "أى نوع من الخطر؟".

"لقد عُثِر على مفكرة بالقرب من مسرح الجريمة بها عنوانان: الأول هو ٧٤ شارع كيلفر ستريت".

فاستنتجت مولى قائلة: "حيث قُتِلَت المرأة، أليس كذلك؟".

"تمامًا يا سيدة ديفيز. أما العنوان الثانى فهو سونكسويل مانور".

وبنبرة يشوبها الارتياب تساءلت مولى: "ماذا؟ يا له من أمر غريب!".

"نعم إنه أمر غريب حقًا؛ ولهذا فقد رأى المراقب هوجبن أنه من الضرورى التحقق من وجود علاقة ما، بين هذا المنزل وقضية لونجريدج أم لا".

فرد جيلز قائلاً: "ليست هناك أدنى صلة، فمن المؤكد أن الأمر مجرد مصادفة".

فرد الرقيب تروتر برفق قائلاً: "إن المراقب هوجبن لا يظن بأن الأمر مصادفة، وقد همَّ أن يأتى إلى هنا بنفسه لولا أن حالت ظروف الطقس بينه وبين ذلك، وبما أننى ماهر فى رياضة التزلج فقد أرسلنى مشددًا علىَّ أن أحصل على جميع التفاصيل التى تتعلّق بكل مَنْ فى المنزل، وأن أرسل له تقريرًا بذلك عبر الهاتف، وأن أقوم كذلك باتخاذ كل الإجراءات التى أراها ضرورية لحماية وتأمين المنزل".

فرد جيلز فى حدة قائلاً: "حماية؟ تأمين؟ يا إلهى! أتظن أن أحدًا ما قد يُقْتَل *هنا*؟".

فرد تروتر معتذرًا وهو يقول: "لا أريد أن أثير مخاوف السيدة ديفيز، ولكن هذا ما يظنه المراقب هوجبن".

فرد جيلز باستياء قائلاً: "ولكن ما الذى يدعو إلى ذلك؟".

فرد تروتر قائلاً: "وهذا بالضبط هو ما جئت لأجل الكشف عنه".

"ولكن الأمر برمته يُعَدُّ ضربًا من *الجنون*".

"نعم سيدى. ولأنه كذلك، فهنا يكمن الخطر".

فقالت مولى: "هل لا يزال هناك شىء ما لم تخبرنا به؟".

فرد الرقيب قائلاً: "نعم سيدتى، لقد كان مكتوبًا بأعلى صفحة المفكرة عبارة "ثلاثة فئران عمياء"، وعُثِر كذلك على ورقة مثبتة بجثة المرأة مكتوب فيها: هذه هى الأولى، وبأسفل هذه العبارة رسم لثلاثة فئران ولحن موسيقى للأغنية الطفولية: ثلاثة فئران عمياء، ثلاثة فئران عمياء".

فغنت مولى بدلال:

"ثلاثة فئران عمياء،
انظر كيف تجرى،
إنها تجرى خلف زوجة الفلاح،

إنها ـ"

ثم توقفت قائلة: "يا إلهى! يا له من أمر *فظيع*. لقد كان هناك ثلاثة أطفال أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدة ديفيز؛ ولد فى الخامسة عشرة من عمره، فتاة فى الرابعة عشرة، ومات الولد الثالث فى الثانية عشرة من عمره".

"وماذا حدث للطفلين الآخرين؟".

"أعتقد أن الفتاة قد تبنَّاها شخص ما ولم نتمكن من تتبعها، أما الولد فمن المؤكد أنه فى الثالثة والعشرين من عمره الآن. وقد فقدنا أثره هو الآخر، ويُقَال عنه إنه كان غريب الأطوار بعض الشىء؛ فقد التحق بالجيش فى الثامنة عشرة من عمره، ولكنه لم يلبث أن هرب منه، ثم فقدنا أثره منذ ذلك الحين، ويقول عنه الإخصائى النفسى بالجيش إنه لم يكن شخصًا طبيعيًا".

فتساءل جيلز قائلاً: "أتعتقد أنه هو الذى قتل السيدة لايون؟ وأنه مولع ومهووس بالقتل وربما يأتى إلى هنا لسبب ما غير معروف؟".

"نحن نظن بأن هناك علاقة بين أحد الأشخاص هنا وبين قضية لونجريدج، وبمجرد أن نتوصَّل إلى معرفة هذه العلاقة سنكون على أهبة الاستعداد، وها أنت الآن يا سيدى تقول بأنه ليست لك علاقة بتلك القضية، وكذلك أنت يا سيدة ديفيز".

"أنا ــ كلا ــ كلا".

"هلا أخبرتماني بالضبط بكل مَنْ في المنزل؟".

فذكرا لـه أسمـاءهم. السيدة بويـل، الرائـد ميتكـالف، السيد كريستوفر رين، والسيد بارافيشني. فـدوّن أسمـاءهم بمفكرته قائلاً:

"هل هناك خدم؟".

فردت مولي قائلة: "ليس لدينا أحد مـن الخـدم، وهـذا يذكرني بضرورة انصرافي الآن لكي أعد البطاطس".

وتركت الغرفة بسرعة.

فاستدار تروتر إلى جيلـز قـائلاً: "مـا الـذى تعرفـه عـن هؤلاء الأشخاص يا سيدي؟".

"إننا في واقع الأمـر لا نعـرف شيئًا عـنهم يـا سيدي باستثناء أن السيدة بويل قد راسلتنا من فنـدق بورنمـاوث، والرائد ميتكالف من فندق ليمنجتون، أما السيد بارافيشني فقد وصل إلينا من سيارته ذات اللون الأزرق ـــ أو بمعنـى أدق ذات اللون الأبيض والتي انقلبت بالقرب من هنـا إثـر تساقط الثلج، ولكني أظن أن لديهم ما يثبت هـويتهم مـن بطاقات شخصية أو ما شابه".

"سأتحقق من ذلك بالطبع".

فقال جيلز: "لحسن الحظ أن الطقس سيئ للغاية، ولن يتمكن القاتل من الوصول إلى هنا".

"ربما لا يكون بحاجة إلى ذلك يا سيد ديفيز؟".

"ماذا تعني؟".

تردد الرقيب تروتر لبرهة ثم قال:

"عليك ألا تستبعد *وجود القاتل هنا بالفعل يا سيدي*".

فحدَّق إليه جيلز قائلاً: "ماذا تقصد؟".

"لقد قُتِلَت السيدة جريج منذ يومين *تزامنًا مع وصول كل نزلائك إلى هنا*".

"نعـم ولكـنهم قـد قـاموا بـالحجز مـسبقًا فيمـا عـدا بارافيشني".

فتنهَّد الرقيب تروتر وبدا صوته متعبًا وهو يقول: "لقد تم تدبير هذه الجرائم مسبقًا".

"جرائم؟ ولكن لم تقع سوى جريمة واحدة، فلماذا أنت على يقين من وقوع جريمة أخرى؟".

"إنها ستقع، ولكني آمل أن أنجح في منعها".

فرد جيلز بانفعال قائلاً: "ولكن إن كنت محقًا، فلـيس هنـاك سـوى شـخص واحـد فقـط عمـره يلائم عمـر ذلـك الشاب؛ إنه *كريستوفر رين*".

كان الرقيب تروتر قد لحق بـ "مولي" في المطبخ وقال:

"هلا رافقتني إلى المكتبة يا سيدة ديفيـز؟ إنـي أريـد أن أوجِّه كلمة عامة للجميـع، وقـد سـبقني الـسيد ديفيـز إلى هناك ليمهِّد للأمر ـــ"

"حسنا، ولكن دعني فقط أنتهـي مـن هـذه البطـاطس؛ ففـي أحيـان كـثيرة أتمنـى لـو أن الـسير وولـتر رالـيج لم يكتشف تلك الأشياء البغيضة".

فلزم الرقيب تروتر الصمت فى استياء بينما اعتذرت مولى قائلة: "لا أستطيع أن أصدق ذلك. إنه لضرب من الخيال ــ"

"ليس ضربًا من الخيال يا سيدة ديفيز، ولكنها حقائق دامغة".

فسألته مولى فى فضول: "ألديك أوصاف القاتل؟".

"إنه متوسط الطول، ضعيف البنية، كان يرتدى معطفًا أسود وقبعة خفيفة، وكان يتحدث بصوت هامس ووجهه مغطى بلفاع. إنها أوصاف عامة كما ترين". توقف لبرهة ثم قال: "توجد ثلاثة معاطف سوداء اللون وقبعات خفيفة معلقة فى الردهة هنا يا سيدة ديفيز".

"لا أظن أن أحدًا من هؤلاء جاء من لندن".

"حقًا يا سيدة ديفيز؟"، وبحركة سريعة تحرَّك الرقيب تروتر نحو خزانة الأطباق والتقط صحيفة؛ كانت هذه الصحيفة تُسمَّى إيفننج ستاندرد بتاريخ التاسع عشر من فبراير وقال لها: "ولقد جاء شخص ما بهذه الصحيفة إلى هنا يا سيدة ديفيز".

"يا له من أمر غريب!"، ثم حدقت وهى تعود بذاكرتها إلى الوراء وتتساءل: "ترى من أين جاءت هذه الصحيفة؟".

"يجب ألا تحكمى على الناس من الظاهر فقط يا سيدة ديفيز، فأنت لا تعرفين شيئًا عن هؤلاء الناس الذين

سمحت لهم بدخول منزلك، وإننى لأعتقد أنك والسيد ديفيز حديثا عهد بإدارة نزل؛ أليس كذلك؟".

"نعم، نحن كذلك"، ثم انتابها شعور مفاجئ بأنها فتاة صغيرة بلهاء.

وسألها قائلاً: "وربما لم يمض وقت طويل على زواجكما أيضًا؟".

فتورَّد وجهها خجلاً وهى تقول: "لم يمر سوى عام فقط، فقد تم الزواج على نحو مفاجئ".

فقال الرقيب تروتر بنبرة عاطفية: "هل هو الحب من أول نظرة؟".

شعرت مولى وكأنها عاجزة عن أن توقفه فقالت: "نعم". ثم استطردت بثقة مفاجئة: "لم نتعرَّف على بعضنا سوى لأربعة عشر يومًا".

ثم رجعت بفكرها إلى تلك الأربعة عشر يومًا، وما كان فيها من تودد وحب فياض، ولم يكن هناك ريب فى أن كليهما قد تعرَّف على شخصية الآخر، ووجد كل منهما بغيته فى الآخر، ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة.

ثم عادت إلى الواقع لتجد الرقيب تروتر يرمقها على نحو عاطفى، ثم قال: "ألا ينتمى زوجك إلى تلك الأماكن؟".

فردت مولى على نحو غامض قائلة: "إنه ينتمى إلى لينكولنشاير".

لم تكن مولى تعرف عن جيلز الذى توفى والداه سوى النذر اليسير، وكان يتجنب الحديث عن طفولته التى كانت تعتقد أنها طفولة بائسة.

فقال الرقيب تروتر: "أظن أن كليكما صغير السن حتى تقوما بإدارة عمل كهذا".

"لا أعرف، ولكنى فى الثانية والعشرين ــ"

وحينئذ دخل جيلز فاتحاً الباب، فتوقفت عن الكلام.

قال جيلز: "لقد أعددت كل شىء، وتحدثت معهم باختصار. إننى آمل أن تسير الأمور على ما يرام أيها الرقيب".

فقال تروتر: "لقد وفَّرت لنا وقتًا. هل أنت جاهزة يا سيدة ديفيز؟".

وعندما دخل الرقيب تروتر إلى المكتبة ابتدرته أربعة أصوات تتحدث فى وقت واحد.

كان أعلاها وأكثرها صخبًا صوت كريستوفر رين وهو يقول إن الأمر جد مثير، وإنه لن يغمض له جفن، وإنه يريد أن يعرف الأمر برمته.

وبصوتها الجهورى انضمت إليه السيدة بويل قائلة: "إنها إهانة ساخرة وأمر غريب حقًا أن تترك الشرطة القتلة يعيثون فى الأرض فسادًا ليقتلوا مَنْ يشاءون".

كان السيد بارافيشنى يشير بيديه اللتين كانتا أكثر تعبيرًا من كلماته التى حجبها صوت السيدة بويل الجهورى. أما الرائد ميتكالف فقد كان يتحدث بين

الحين والآخر على نحو متقطع وهو يسأل عن حقيقة الأمر.

وظل تروتر صامتًا لدقيقة أو اثنتين ثم رفع يده ملوحًا بها لأعلى على نحو تهديدى، فساد الغرفة سكون تام بشكل يدعو إلى الدهشة.

قال: "شكرًا لكم. لقد أخبركم السيد ديفيز بإيجاز عن سبب وجودى هنا. إننى لا أريد أن أعرف منكم سوى شىء واحد فقط وبسرعة، *مَنْ منكم له علاقة بقضية لونجريدج؟*".

استمر الصمت يسود المكان، بينما أربعة وجوه شاحبة تنظر مشدوهة إلى الرقيب تروتر. لقد تلاشت تلك التعبيرات ومشاعر الانفعال والسخط والتساؤلات التى كانت سائدة منذ برهة. لقد مُسِحَت تمامًا كما يمسح الإسفنج آثار الطباشير من على لوح الكتابة.

فتكلَّم الرقيب ثانية ولكن بشكل أكثر جدية قائلاً: "أريد منكم أن تفهموا ما أريده: إن واحدًا منكم، ولسبب ما، فى خطر، *ويجب أن أعرف هذا الشخص*".

فلم يتحرَّك أحد أو يتكلَّم.

وأصبح صوت تروَتر مشوبًا بالغضب وهو يقول: "حسنا، سأطرح عليكم الأسئلة كل على حدة. السيد بارافيشنى؟".

فارتسمت ابتسامة شاحبة مضطربة على وجه بارافيشنى، ورفع يده بإيماءة غريبة معترضًا وهو يقول:

"إننى غريب عن هذا المكان أيها المفتش، ولا أعرف شيئًا عن تلك الأمور التى حدثت هنا منذ سنوات".

ولم يُضِعْ تروتر وقتًا فنادى بحدة على السيدة بويل: "وأنت يا سيدة بويل؟".

"إننى لا أعرف ما الذى يدعو لأن يكون لى صلة بهذا الأمر المفزع؟".

"وأنت يا سيد رين؟".

فصاح كريستوفر قائلاً: "كنت فى تلك الأثناء لا أزال طفلاً، ولا أذكر أنى حتى قد سمعت عنها".

"وأنت أيها الرائد ميتكالف؟".

فقال الرائد على نحو مفاجئ: "لقد قرأت عن تلك القضية فى الصحف، وكنت فى إيدنبيرج آنذاك".

"هل هذا هو كل ما لديكم؟".

فساد الصمت ثانية.

فتنهّد تروتر ساخطًا وهو يقول: "لو قُتِل أحدكم فلا يلومنَّ إلا نفسه". ثم *استدار بسرعة خارجًا من الغرفة*.

فقال كريستوفر: "يا له من شرطى مثير يا أعزائى!! إنه وسيم للغاية، لكم أحب الشرطة! ويا له أيضًا من أمر مثير. "ثلاثة فئران عمياء". كيف يسير هذا اللحن؟".

وأخذ يصفِّر برفق؛ فصاحت مولى بشكل لاإرادى قائلة: "*كلا*".

فاستدار إليها ضاحكًا وهو يقول: "ولكننى دائمًا ما *اتنغم* بهذا اللحن دون أن يقتلنى أحد أو يحدث شىء".

وقالت السيدة بويل: "يا له من هراء يحمل إثارة، ومع هذا فإنى لا أصدق منه كلمة واحدة".

فبرقت عينا كريستوفر بشكل مخيف قائلاً: "انتظرى يا سيدة بويل"، ثم خفض صوته قائلاً: "انتظرى إلى أن أتسلل من خلفك وتشعرين بيدىَّ تلتفان حول عنقك".

فأجفلت مولى.

فصاح جيلز حينئذ غاضبًا: "كفى يا رين، إنك تضايق زوجتى، وعلى أية حال فهى مزحة لعينة".

فقال ميتكالف: "ولكنها ليست مزحة".

فرد كريستوفر قائلاً: "كلا إنها كذلك. إنها مزحة من رجل مجنون! وهذا هو ما يضفى عليها لمحة من الرعب".

ثم نظر إليهم قائلاً: "آه لو ترون وجوهكم الآن!".

ثم خرج من الغرفة مسرعًا.

فقالت السيدة بويل: "يا له من شاب عصبى للغاية، سيئ الخلق غريب الأطوار!".

فرد الرائد ميتكالف قائلاً: "لقد أخبرنى أنه قد قضى يومين مدفونًا تحت الأرض أثناء إحدى الغارات الجوية، وأعتقد أن هذا يفسِّر إلى حد ما سبب عصبيته الشديدة".

فقالت السيدة بويل بامتعاض: "إن هناك مبررات كثيرة يفسِّر بها الناس سبب عصبيتهم، وإننى على يقين من أننى عانيت كثيرًا أثناء الحرب مثلما يعانى الجميع، ومع ذلك فلا تزال أعصابى متزنة".

فقال الرائد ميتكالف: "ربما كان الأمر استثنائيًا معك".

"ماذا تعنى؟".

فقال الرائد ميتكالف بهدوء: "أعتقد أنك كنت تعملين برتبة ضابط إيواء فى هذه المنطقة عام ١٩٤٠"، ثم نظر إلى مولى التى بدت عليها دهشة بالغة قائلاً: "أليس كذلك؟".

فاحمرَّ وجه السيدة بويل غضبًا قائلة: "وماذا فى ذلك؟".

فرد ميتكالف بحزن قائلاً: "لقد كنت مسئولة عن إرسال ثلاثة أطفال إلى مزرعة لونجريدج".

"إننى لا أفهم كيف أتحمَّل مسئولية ما حدث، فقد بدا أصحاب المزرعة أناسًا طيبين، بالإضافة إلى أنهم كانوا متحمسين إلى إيواء الأطفال، ولا أرى أننى ملومة فى ذلك أو مسئولة عما حدث".

فرد جيلز بحدة قائلاً: "ولماذا لم تخبرى الرقيب تروتر بذلك؟".

فردَّت فى حدة هى الأخرى: "لا شأن للشرطة بذلك، ويمكننى أن أتولى أمرى بنفسى".

فقال الرائد ميتكالف بهدوء: "يجدر بكِ أن تتوخى الحذر".

ثم غادر الحجرة.

فهمهمت مولىَ قائلة: "نعم، لقد كنت الضابط المسئول عن الإيواء، إننى لا أزال أذكر ذلك".

فحدَّق إليها جيلز قائلاً: "هل كنت تعرفين هذا يا مولى؟".

واستأنفت مولى قائلة: "لقد كنت تمتلكين أكبر منزل بالمنطقة. أليس كذلك؟".

فردت السيدة بويل قائلة: "لقد تمت مصادرته"، ثم استأنفت بحرارة: "بل دُمِّر تمامًا على نحو جائر".

وحينئذ أخذ السيد بارافيشنى يضحك بهدوء، ثم ألقى برأسه إلى الوراء وانتابته نوبة من الضحك دون توقف.

ثم شهق قائلاً: "أستميحكم عذرًا، ولكننى أجد الأمر برمته ممتعًا للغاية؛ إننى أستمتع غاية الاستمتاع".

وحينئذ دخل الرقيب تروتر ثانية، ورمق السيد بارافيشنى بنظرة استياء قائلاً: "إنه لمن دواعى سرورى أن أرى الجميع مستمتعين بالأمر على هذا النحو".

"معذرة أيها المفتش. معذرة إن كنت قد أفسدت تحذيرك الموقر".

فهز الرقيب كتفيه قائلاً: "لقد بذلت قصارى جهدى لأوضِّح لكم الأمر، ثم إننى لست برتبة مفتش، بل رقيب فقط. هلا سمحتِ لى باستخدام الهاتف يا سيدة ديفيز؟".

فقال السيد بارافيشنى: "إننى فقط أهدئ من روعى. سأنصرف".

فغادر الغرفة واثبًا بتلك الخطى المرحة التى لاحظتها مولى من قبل.

فقال جيلز: "إنه لشخص غريب".

فرد تروتر قائلاً: "إنه ينتمى إلى نوع إجرامى، لا تثق به".

فقالت مولى : "أتعتقد أنه هو ذلك الشخص الذى تبحث عنه. ولكنه عجوز للغاية، رغم أنه يحاول أن يبدو شابًا باستعماله لكثير من مستحضرات التجميل، وبطريقة مشينة توحى أنه صغير السن، أتعتقد أيها الرقيب ــ؟".

فقاطعها الرقيب تروتر بحدة قائلاً: "لن نطلق العنان للخيال، والآن يجب أن أقوم بإرسال تقرير للمراقب هوجبن".

وخطا نحو الهاتف.

فقالت مولى: "ولكنك لن تستطيع إرسال التقرير. فقد انقطعت الحرارة عن الهاتف".

فاستدار تروتر بسرعة قائلاً فى حدة أثارت انتباههم جميعًا: "ماذا؟ متى انقطعت عنه الحرارة؟".

"لقد حاول الرائد ميتكالف أن يجرى منه اتصالاً للتو قبل دخولك".

"ولكنه كان يعمل بشكل جيد، ألم تتلقى من خلاله رسالة المراقب هوجبن؟".

"نعم، وكان ذلك فى الساعة العاشرة، ولكنى أعتقد أن السلك قُطِع إثر تساقط الثلج".

فظل وجه تروتر كئيبًا وهو يقول: "إننى مندهش، ربما قُطِع السلك عن عمد".

فحدقت إليه مولى قائلة: "أتعتقد هذا؟".

"سأذهب لأتحقق من ذلك".

وخرج مسرعًا من الغرفة، بينما تردد جيلز لبرهة ثم تبعه إلى الخارج.

وبدهشة صاحت مولى قائلة: "يا إلهى! لقد حان وقت الغداء، يجب أن أذهب الآن وإلا فلن نجد شيئًا نأكله".

وبينما خرجت من الحجرة مندفعة، همهمت السيدة بويل قائلة: "يا لها من فتاة ليست ذات كفاءة! ويا له من مكان! لن أدفع سبعة جنيهات فى مثل هذا المكان".

انحنى الرقيب تروتر وهو يتتبع سلك الهاتف وسأل جيلز قائلاً: "هل يوجد هاتف آخر موصل بالخط الأصلى؟".

"نعم هناك بغرفة النوم بالطابق الثانى. هل أصعد لأتفقد الهاتف هناك؟".

"نعم من فضلك".

ثم فتح تروتر النافذة، ونظر إلى الخارج وهو يمسح الثلج عن عتبة النافذة بينما انطلق جيلز مسرعًا نحو الطابق الثاني.

فى تلك الأثناء كان السيد بارافيشنى فى حجرة الاستقبال الكبيرة، وذهب إلى البيانو فاتحًا إياه، ثم جلس على المقعد، وبإصبع واحد أخذ يعزف برفق لحن:

ثلاثة فئران عمياء،
انظر كيف تجرى...

وبينما كان كريستوفر رين فى غرفة نومه، أخذ يتجاوب مع اللحن وهو يصفّر بسرعة، وفجأة أخذ الصفير يضعف حتى تلاشى وجلس كريستوفر على حافة السرير واضعًا وجهه بين يديه. ثم أجهش بالبكاء وهو يهمهم كالطفل قائلاً: "لا أستطيع الصمود".

وفجأة، تغيّر مزاجه فنهض واقفًا باسطًا كتفيه وهو يقول: "يجب علىَّ أن أثابر حتى أجتاز هذا الأمر".

وقف جيلز بالقرب من الهاتف الموجود من غرفة النوم، فوجد قفازًا لمولى على رف خشبى فالتقطه؛ وحينئذ سقطت منه تذكرة أتوبيس ذات لون قرنفلى، وظل جيلز واقفًا وهو ينظر إلى أسفل حيث وقعت التذكرة وهى ترفرف على الأرض، وبينما كان ينظر إليها، تغيّرت ملامح وجهه، فربما تسلل أحد ما ببطء إلى الباب - كما يحدث فى الأحلام - فاتحًا إياه. ثم وقف يختلس النظر عند منتهى الدرج.

انتهت مولى من تقشير البطاطس، وألقت بها فى إناء ثم وضعته على النار، ثم ألقت نظرة سريعة على الفرن فوجدت كل شىء يسير على ما يرام، كما تم التخطيط له.

كانت صحيفة *إيفننج ستاندرد* لا تزال على المائدة فى المطبخ فعبس وجه مولى وهى تنظر إليها. كانت تحاول أن تتذكر —

وفجأة وضعت يديها على عينيها قائلة: "كلا، *كلا*!".

وببطء أبعدت يديها عن عينيها وهى تنظر فى أرجاء المطبخ كمن ينظر إلى مكان غريب؛ كان المطبخ رحبًا فسيحًا دافئًا يبعث على الراحة وتفوح منه رائحة الطعام الفاتحة للشهية.

وقالت مرة ثانية بأنفاس متهدجة: "كلا، كلا".

ثم مشت ببطء - كمن يمشى فى نومه — نحو الباب المؤدى إلى الردهة وفتحته. كان المنزل غارقًا فى السكون باستثناء صوت يصفّر بذلك اللحن.

ذلك اللحن —

سرت فى أوصالها رعدة وتراجعت وظلت فى مكانها دقيقة أو دقيقتين لتلقى نظرة سريعة مرة أخرى فى أرجاء المطبخ المألوف، فوجدت كل شىء يسير على ما يرام فذهبت ثانية نحو باب المطبخ.

أما الرائد ميتكالف فنزل بهدوء عبر السلم الخلفى، وتوقف لبرهة بالردهة ثم فتح الدولاب الكبير الموجود بأسفل الدرج، وأخذ يحدق فيه وبدا كل شىء هادئًا، وكان الوقت مناسبًا لأن يقوم بما خطط له.

أما السيدة بويل فقد كانت فى المكتبة، وبضجر أدارت مؤشر المذياع.

ولم تكد تديره حتى سمعت برنامجًا يتحدث عن نشأة وأهمية الألحان الطفولية، وكان الحديث عن هذا الموضوع هو آخر ما يمكن أن تستمع إليه. وانطلق من المذياع صوت رجل مثقف يقول: "إن سيكولوجيا الخوف يجب أن تُفْهَم بشكل صحيح. هب مثلاً أنك فى حجرة بمفردك، وحينئذ وبهدوء يُفْتَح الباب من خلفك ـــ"

وبالفعل فُتِح باب المكتبة حينئذ.

فاستدارت السيدة بويل فى حدة شديدة، ثم تنفست الصعداء قائلة: "أوه. ها أنت! لم أجد شيئًا جديرًا بالاستماع وها هى البرامج الحمقاء تناقش هذا الموضوع!".

"معذرة فقد أزعجتك بينما تستمعين إلى المذياع يا سيدة بويل!".

فردت السيدة بويل فى دهشة: "ما الذى يمكننى القيام به؟ فها أنا عالقة فى منزل ربما يحوى قاتلاً، ورغم أننى لم أصدق ولو لبرهة *تلك* القصة الدرامية المثيرة ـــ"

"أحقًا لا تصدقينها يا سيدة بويل؟".

"ولماذا أصدقها؟ ماذا تعنى ـــ؟"

وحينئذ التف حزام المعطف بكل هدوء حول رقبتها دون أن تشعر ألبتة، بينما ارتفع صوت المتحدث عن سيكولوجيا الخوف مدويًا بأرجاء الحجرة، وحاجبًا تلك الضوضاء التى تزامنت مع موت السيدة بويل، ولم تستمر

الضوضاء كثيرًا، بل لم يكن هناك الكثير منها؛ فقد كان القاتل ماهرًا.

بينما كانت البطاطس تغلى فى القدر بصوت عالٍ، ورائحة الطعام المنبعثة من الفرن تعبِّق المكان فاتحةً الشهية ـ احتشد الجميع فى المطبخ.

أربعة منهم كانوا يرتعدون خوفًا أخذوا يحدقون فى بعضهم، بينما كانت مولى تبدو شاحبة اللون وترتعد وهى ترتشف عصير الليمون الذى أجبرها عليه الرقيب تروتر.

بدا الرقيب تروتر وقد ارتسمت على قسمات وجهه ملامح التأهب والغضب وأخذ ينظر إلى المجتمعين. لم يمض من الوقت سوى خمس دقائق فقط على صرخات مولى المشوبة بالذعر والتى جعلته يهرول مسرعًا مع الآخرين نحو حجرة المكتبة، وتوجَّه إلى السيدة ديفيز قائلاً:

"لقد قُتِلَت قبل أن تَصِلِى إليها ببرهة يسيرة، فهل أنت على يقين من أنك لم ترى أو تسمعى شيئًا فى طريقك عبر الردهة؟".

فردت مولى بصوت خافت قائلة: "لم أسمع سوى صفير، ولكنى أعتقد أن ذلك كان فى وقت مبكر، وأظن كذلك أننى سمعت صوت باب يُغْلَق بهدوء لحظة دخولى المكتبة".

"أى باب؟".

"لا أعرف".

"حاولى أن تتذكرى يا سيدة ديفيز. أين كان هذا الباب؟ هل كان بأعلى؟ بأسفل؟ من الجهة اليمنى؟ أم من الناحية اليسرى؟".

فبكت مولى قائلة: "*لا أعرف*. إننى لست متأكدة تمامًا إذا ما كنت قد سمعت شيئًا أم لا".

فرد جيلز حينئذ غاضبًا: "ألا تتوقف عن مضايقتها؟ ألا ترى ما هى فيه؟".

"معذرة أيها *القائد* ديفيز، ولكنى أحقق فى جريمة قتل".

"لم أعد أنادى بهذه الرتبة أيها الرقيب".

"حسنًا سيدى"، ثم توقف تروتر لبرهة وكأنه قد لفت الأنظار إلى نقطة دقيقة غامضة ثم قال: "إننى أحقق فى جريمة قتل. وحتى الآن لم يأخذ أحد منكم الأمر بمحمل الجدية. حتى السيدة بويل، فقد كانت ترفض التفاهم معى، وها هى قد قُتلَت، وإذا لم نتوصَّل إلى فهم حقيقة الأمر وبسرعة فربما ستقع جريمة أخرى".

"جريمة أخرى؟ هراء! لماذا؟".

فرد الرقيب تروتر بصوت حزين قائلاً: "لأنه كان هناك ثلاثة فئران عمياء".

فرد جيلز بارتياب قائلاً: "سيقتل ثلاثتهم؟ إذا كان الأمر كذلك فمن المؤكد أن هناك علاقة ما ـ أعنى علاقة ما تتعلَّق بالقضية".

"نعم من المؤكد".

"ولكن لماذا تُرْتَكَب جريمة قتل أخرى *هنا*؟".

"لأن المفكرة كانت تحتوى على عنوانين، ولم يكن هناك سوى ضحية واحدة فى عنوان ٧٤ كيلفر ستريت وقد ماتت، ولكن بالنسبة لمونكسويل مانور فلا يزال المجال متسعًا".

"ولكن هذا هراء يا تروتر؛ لأن تواجد *اثنين* هنا كلاهما على صلة بقضية لونجريدج أمر من قبيل المصادفة المستبعدة".

"ولكن إذا ما تفحَّصت الأمر يا سيد ديفيز فستجد أن هذه المصادفة ليست بعيدة الحدوث"، ثم استدار تروتر نحو الآخرين قائلاً: "لقد حصلت على أقوالكم فيما يتعلَّق بالأماكن التى كنتم تتواجدون فيها عندما قُتِلَت السيدة بويل، وسوف أراجعها الآن أمامكم: فهل كنت فى غرفتك يا سيد رين حينما سمعت صرخات السيدة ديفيز؟".

"نعم أيها الرقيب".

"وأنت يا سيد ديفيز، هل كنت بغرفتك بالطابق الثانى تفحص الهاتف الموصول بالخط الأرضى هناك؟".

"نعم".

"وأنت يا سيد بارافيشنى، هل كنت بغرفة الاستقبال تعزف على البيانو؟ رغم أن أحدًا لم يسمعك؟".

"كنت أعزف بصوت منخفض للغاية، وبإصبع واحد فقط".

"ما اللحن الذى كنت تقوم بعزفه؟".

"ثلاثة فئران عمياء"، ثم ابتسم قائلاً: "إنه نفس اللحن الذى كان يتنغَّم به السيد رين بصفيره، وهو اللحن الذى يدور برأس الجميع".

فقالت مولى: "إنه لحن بغيض بشع".

وتساءل ميتكالف: "ماذا عن سلك الهاتف؟ هل قُطع عمدًا؟".

"نعم أيها الرائد ميتكالف. لقد قُطع جزء منه بجوار نافذة حجرة الطعام من الخارج، وعندما سمعت صرخات السيدة مولى كنت قد تمكَّنت للتو من تحديد مكان القطع".

وتساءل كريستوفر رين قائلاً: "إنه لضرب من الجنون! كيف يأمل القاتل أن يفلت بجريمته؟".

فرمقه الرقيب بعناية قائلاً:

"ربما لا يأبه كثيرًا لهذا، أو ربما هو على يقين من أنه أكثر ذكاء منا، ولا عجب فى ذلك فهكذا يفكر القتلة. فقد حصلنا أثناء تدريبنا على دورة فى العلاج النفسى وأخبرنا فيها الإخصائيون النفسانيون عن هؤلاء القتلة بأنهم مصابون بما يُسمَّى بشيزوفرينيا الاختلال العقلى".

فقال جيلز: "ألا تكفَّ عن تلك الكلمات الطويلة".

"بالطبع يا سيد ديفيز. والآن فإن كل ما نحتاج إلى أن نركِّز عليه لا يعدو كلمتين قصيرتين؛ الأولى: كلمة قتل والثانية: كلمة خطر، والآن اسمح لى أيها الرائد ميتكالف

بأن أستوضح أمر تحركاتك؛ إنك تقول بأنك كنت فى القبو، فلماذا؟".

فرد الرائد ميتكالف قائلاً: "كنت ألقى نظرة هناك، وتفحَّصت ذلك الدولاب الموجود بأسفل الدرج، ووجدت بابًا ففتحته فرأيت سلمًا فنزلت لأسفل"، ثم توجَّه إلى جيلز قائلاً: "إن لديك قبوًا جميلاً، إنه يشبه سرداب القلاع القديمة".

"لسنا بصدد الحديث عن بحث أثرى أيها الرائد، إننا نحقق فى جريمة قتل، هلا أعرتنى انتباهك لبرهة يا سيدة ديفيز؟ سأفتح باب المطبخ"، فخرج ثم أغلق الباب محدثًا صريرًا خافتًا، وحينما عاد سألها قائلاً: "هل هذا هو الصوت الذى سمعته يا سيدة ديفيز؟".

"إنه يشبهه".

"لقد كان هذا صوت الدولاب بأسفل الدرج فربما سمع القاتل فى طريق عودته عبر الردهة صوت خطاك حينما خرجت من المطبخ فدخل الدولاب مغلقًا الباب من خلفه".

فصاح كريستوفر قائلاً: "سنجد إذن بصمات أصابعه بداخل الدولاب".

فرد الرائد ميتكالف قائلاً: "إن بصماتى هناك بالفعل".

فقال الرقيب تروتر: "نعم، ولكن لدينا تفسير مرض لها. أليس كذلك؟".

فقال جيلز: "رغم أن أحدًا لا ينكر توليك لأمر هذه القضية أيها الرقيب، إلا أن هذا المنزل هو منزلى أنا،

وإننى لأشعر إلى حد ما بمسئوليتى عمن يقيمون فيه، ألا يجدر بنا أن نتخذ الإجراءات الوقائية؟".

"مثل ماذا يا سيد ديفيز؟".

"أن تقوم مثلاً بوضع ذلك الشخص الذى يبدو لنا متورطًا رهن الاعتقال بصفته المشتبه به الرئيسى".

ونظر مباشرة نحو كريستوفر رين.

فهبَّ كريستوفر رين واقفًا وبصوت مرتفع يشوبه الانفعال الهستيرى وهو يصيح قائلاً: "هذا ليس صحيحًا، ليس *صحيحًا* ـ كلكم ضدى ـ جميعكم ضدى، إنكم تريدون أن تلفِّقوا لى هذه التهمة. أنتم تضطهدوننى ـ تضطهدوننى ـ".

فقال الرائد ميتكالف: "هدئ من روعك أيها الفتى".

اقتربت منه مولى واضعة يدها على ذراعه قائلة: "هدئ من روعك يا كريس، لسنا ضدك"، ثم توجَّهت إلى الرقيب تروتر قائلة: "أخبره أن الأمر على ما يرام".

فقال له الرقيب: "إننا لا نلفِّق التهم لأحد".

"أخبره بأنك لن تقبض عليه".

"لن أقبض على أحد، فأنا أحتاج إلى دليل كافٍ لأفعل هذا، ولا يوجد لدىَّ دليل فى الوقت الحالى".

فصاح جيلز قائلاً: "أعتقد أنك لست على صواب يا مولى، وكذلك أنت أيها الرقيب. إنه شخص واحد فقط هو الذى ـ"

فقاطعته مولى قائلة: "تمهَّل يا جيلز. تمهَّل. هل لى أن أتحدث معك لبرهة أيها الرقيب".

فقال جيلز: "سأبقى هنا".

"كلا يا جيلز، ستخرج معهم أنت أيضًا".

فبدت ملامح الغضب على وجه جيلز قائلاً: "لا أدرى ما الذى انتابك يا مولى".

ثم تبع الباقين خارجًا من الغرفة مغلقًا الباب خلفه بشدة.

"حسنًا ماذا لديك يا سيدة ديفيز؟".

"عندما أخبرتنا أيها الرقيب عن قضية لونجريدج بدا لى أنك تعتقد أن الطفل الأكبر هو المسئول عن كل هذا. أليس كذلك؟".

"بالطبع هذا صحيح يا سيدة مولى؛ لأن كل الدلائل من اضطرابات عقلية، وهروب من الجيش وتقرير الإخصائى النفسى، كلها تشير إلى ذلك".

"نعم أعرف ذلك، ولكننى لا أعتقد أن كريستوفر هو القاتل، ومن المؤكد أن هناك احتمالات أخرى. ألم يكن لهؤلاء الأطفال أية أقارب كالوالدين على سبيل المثال؟".

"بلى، وقد ماتت الأم. أما الوالد فكان يخدم بالجيش".

"وأين هو الآن؟".

"ليست لدينا أية معلومات سوى أنه قد حصل على أوراق تسريحه من الجيش فى العام الماضى".

"وإذا كان الابن يعانى من اضطراب عقلى فربما كان الأب كذلك أيضًا".

"نعم إنه استنتاج منطقى".

"إذن فربما يكون القاتل فى منتصف العمر، وعجوزًا، وإننى لا أزال أذكر أن الرائد ميتكالف قد أصابه الهلع عندما أخبرته أن الشرطة قد أجرت اتصالاً بنا".

فرد الرقيب تروتر بهدوء قائلاً: "صدقينى يا سيدة مولى، لقد وضعت فى اعتبارى كل الاحتمالات منذ البداية، سواءً فيما يتعلق بالابن أو بالأب أو حتى بالأخت، فمن المحتمل أن يكون القاتل امرأة، إننى لم أتغاضَ عن شيء، ربما أشعر فى مخيلتى بشيء من اليقين، ولكنى لم أتوصَّل إلى معرفة القاتل حتى الآن، إنه لأمر صعب فى حقيقة الأمر أن تتوصَّلى إلى معلومات عن أى شيء أو أحد، لاسيما فى الوقت الراهن. إنك إذا ما اطلعت على ما يراه رجال الشرطة فستصيبك الدهشة من حالات الزواج السريع بصفة خاصة، وكذلك حالات الزواج أثناء الحرب؛ فكما تعرفين ليست هناك خلفية يمكنك الاستناد إليها، أو حتى عائلات أو أقارب يمكنك مقابلتهم، فالناس تصدق بعضها بعضًا دون تحقق. فمثلاً حينما يأتى شخص ما ويدَّعى أنه طيار مقاتل، وأنه قائد بالجيش تسارع الفتاة إلى تصديقه فيما يقول، وفى بعض الأحيان تبقى عامًا أو عامين قبل أن تكتشف أنه كان

يعمل موظفًا هاربًا بأحد البنوك، وأن لديه زوجة وعائلة، أو أنه قد هرب من الجيش".

توقَّف لبرهة ثم استطرد قائلاً:

"إننى أعرف تمامًا ما يدور برأسك يا سيدة ديفيز، وأود أن أخبرك بشيء واحد فقط؛ وهو أن *القاتل يستمتع مع نفسه الآن*".

ثم ذهب نحو الباب.

وظلَّت مولى متصلِّبة فى مكانها وقد علت خديها حمرة متوهجة، وبعد أن ظلت متصلِّبة هكذا لبرهة تحرَّكت ببطء نحو الموقد، ثم انحنت لفتح باب الفرن؛ فانبعثت منه تلك الرائحة المألوفة التى تفتح الشهية، فخفق قلبها. لقد بدا الأمر كأنها أخذت تستذكر الماضى وما كان فيه من حياة يومية وأنشطة معتادة من طهو وأعمال منزلية وغيرها من الأمور المعيشية التى تبعث على الملل.

فى ذلك الماضى السحيق كانت المرأة تقوم بطهو الطعام لزوجها دون خوف أو خطر أو قلق، كانت تشعر بالأمان فى المطبخ.

وحينئذ فُتِح بابَ المطبخ فاستدارت برأسها فرأت كريستوفر رين داخلاً يلهث قليلاً. وقال: "لقد سُرِقَت زلاجات الرقيب".

"زلاجات الرقيب؟ ولكن لماذا يقوم أحد بسرقتها؟".

"لا أدرى. أقصد أنه إذا ما قرر الرقيب أن يرحل عنا فإن هذا سيكون فى صالح القاتل. أعنى أن هذه السرقة لن تفيد القاتل فى شيء".

"ولكن چيلز قد وضع الزلاجات فى الدولاب بأسفل الدرج".

"ولكنها ليست هناك الآن. إنه لأمر يدعو حقًا إلى الحيرة. أليس كذلك؟". ثم أخذ يضحك طربًا ويقول: "لقد استشاط الرقيب غضبًا، وأخذ يتفوه بكلمات لاذعة حادة وهو يهاجم الرائد ميتكالف المسكين، غير أن الفتى العجوز قال إنه حينما نظر فى الدولاب قبل مقتل السيدة بويل ببرهة لم يلاحظ ما إذا كانت الزلاجات موجودة أم لا، ولكن تروتر لم يصدقه"، ثم خفض كريستوفر صوته واتكأ نحو الأمام قائلاً: "أعتقد أن ما حدث قد أصاب تروتر بالكآبة".

فقالت مولى : "لقد أصابنا جميعًا بالكآبة".

"الأمر ليس كذلك بالنسبة لى، بل يبدو لى ممتعًا ومسليًا".

فردت مولى قائلة: "ما كنت لتقول هذا لو أنك أنت الذى رأى السيدة بويل مقتولة، إن صورة وجهها المتورم بلونه القرمزى لا تفارقنى".

وأخذت ترتعد بينما اقترب منها كريستوفر واضعًا يده على كتفها قائلاً:

"معذرة. أعرف أننى شخص أحمق، أستميحك عذرًا".

وتشنَّج حلق مولى بالبكاء وهى تقول: "يبدو الأمر على ما يرام الآن. الطهو ــ والمطبخ"، وأخذت تتكلَّم بشكل غامض على نحو متقطع قائلة: "وفجأة عاد كل شيء ثانية ـ وكأنه كابوس".

ظل كريستوفر واقفًا ينظر إلى وجهها المنكس لأسفل بينما اكتسى وجهه بتعبيرات فضولية، وقال:

"حسنًا. حسنًا. سأنصرف الآن كيلا أزعجك".

فصاحت مولى: "لا تذهب"، وبينما كانت يده على مقبض الباب استدار ينظر إليها بفضول ثم عاد ببطء قائلاً:

"هل حقًا تعنين ذلك؟".

"أعنى ماذا؟".

"أنك لا تريديننى أن أنصرف".

"كلا، ولكنى لا أريد أن أكون بمفردى؛ فأنا خائفة من الوحدة".

فجلس كريستوفر إلى المائدة بينما انحنت مولى نحو الفرن، ورفعت شريحة اللحم إلى رف أعلى، ثم أغلقت باب الفرن وعادت إليه.

فقال كريستوفر بصوت هادئ: "إنه لأمر رائع".

"أى أمر تعنيه؟".

"إنك لست خائفة من بقائى معك بمفردك. أليس كذلك؟".

فهزت رأسها قائلة: "نعم لست خائفة".

"ولِمَ لا تخافين يا مولى ؟".

"لا أدرى. ولكنى لست خائفة".

"على الرغم من أننى الشخص الوحيد الذى تحوم حوله الشبهات؟".

فقالت مولى : "كلا. هناك احتمالات أخرى وقد تحدَّثت عنها مع الرقيب تروتر".

"وهل اتفق معك فى الرأى؟".

فردت ببطء قائلة : "نعم. وافقنى الرأى".

وحينئذ أخذت بعض كلمات تروتر يتردد صداها فى مخيلتها لاسيما ذلك التعبير الأخير حينما قال : *"إننى أعرف تمامًا ما يدور برأسك يا سيدة ديفيز؟"* ، فهل كان يعنى ذلك حقًا؟ هل من الممكن أن يعرف ذلك؟ لقد قال قبل ذلك إن القاتل يستمتع مع نفسه. فهل كان على صواب؟

وقالت لـ "كريستوفر" : *"إنك* لا تستمتع مع نفسك رغم ما قلته الآن؟".

فحدق إليها كريستوفر قائلاً: "يا إلهى! يا له من قول غريب قولك هذا؟!".

"لست أنا الذى أقوله، وإنما الرقيب تروتر، كم أكره هذا الرجل. إنه يحشو رأسى بأشياء ليست صحيحة، بل تستحيل صحتها".

ثم غطت عينيها بيدها. فأنزل كريستوفر يدها من فوق عينيها برفق قائلاً: "ما كل هذا يا مولى ؟".

تركته يجلسها برفق على أحد المقاعد بجوار مائدة المطبخ. ولم يكن أسلوبه هستيريًا أو صبيانيًا هذه المرة.

وسألها: "ما الأمر يا مولى؟".

فرمقته مولى بنظرة ثاقبة طويلة، ثم سألته سؤالاً غير ذى صلة بالموضوع قائلة : "منذ متى نعرف بعضنا بعضًا؟ منذ يومين؟".

"تقريبًا يومين. إنك الآن تفكرين بأنه رغم قصر المدة فإنه يبدو أننا نعرف بعضنا بشكل جيد".

"نعم. ولكن أليس هذا غريبًا؟".

"لا أعرف. ولكن ربما لأن هناك نوعًا من التعاطف فيما بيننا حاول كلانا ألا يتمادى فيه".

لم تستوقف مولى نفسها كثيرًا عند هذه النقطة، وبأسلوب أقرب ما يكون إلى كونه عبارة أكثر منه إلى سؤال قالت: "ليس اسمك فى حقيقة الأمر كريستوفر رين. أليس كذلك؟".

"كلا".

"لماذا قمت بـ ـــــ"

"تقصدين لماذا قمت باختيار هذا الاسم؟ إنها قصة تبدو غريبة بعض الشىء؛ ففى المدرسة كانوا يسخرون منى وينادوننى باسم كريستوفر روبين، وأعتقد أنهم كانوا يخلطون بين الاسمين".

"ما اسمك الحقيقى إذن؟".

فرد كريستوفر بهدوء قائلاً: "لا أظن أننا سنتطرق إلى الحديث فى هذا فهو لا يعنيك فى شىء، كما أننى لست مهندسًا معماريًا وإنما هارب من الجيش".

فبرقت عينا مولى حينئذ لبرهة وهى تستشعر إنذارًا بالخطر.

ورأى كريستوفر ذلك البريق فى عينيها فقال: "نعم، تمامًا مثل ذلك القاتل المجهول. ألم أخبرك بأننى الشخص الوحيد الذى تدور حوله الشبهات؟".

فقالت مولى : "لا تكن أحمق، فقد أخبرتك بأننى لا أصدق أن تكون أنت القاتل ـ هيا استمر ـــ أخبرنى عن نفسك. ما الذى جعلك تهرب من الجيش، هل هى أعصابك؟".

"أتعنين أننى كنت جبانًا؟ كلا فلم أكن خائفًا أكثر من أى شخص آخر، وإنما اشتهر عنى أننى أصبح شخصًا باردًا أثناء القتال، بينما الأمر مختلف تمامًا. لقد كانت أمى هى السبب".

"أمك؟".

"نعم. لقد قُتِلَت فى إحدى الغارات الجوية، وقد دُفِنَت تحت الأرض، وكان عليهم أن يستخرجوا جثتها، ولا أدرى ما حدث لى حينما سمعت عن ذلك؛ أعتقد أننى قد أصبت بنوع من الجنون كما ترين، وشعرت أنه يجب علىَّ أن أرجع إلى البيت بسرعة ـــ لا أستطيع أن أوضِّح أكثر من هذا"، وحينئذ وضع رأسه بين يديه

وأخذ يتكلَّم بصوت مكتوم قائلاً: "لقد تجوَّلت كثيرًا أبحث عنها أو عن نفسى. لا أدرى عن أى منهما كنت أبحث، والآن بعد أن صفا ذهنى فإنى أخاف من الرجوع إلى استدعاء تلك التجربة؛ لعلمى بأننى لن أستطيع إيضاحها، ومنذ ذلك الحين أصبحت لا شىء".

ونظر محدقًا إليها، واليأس يملأ قسمات وجهه.

فقالت له مولى فى رفق: "يجب ألا تنساق وراء هذا الشعور فيمكنك أن تبدأ من جديد".

"وهل أستطيع ذلك؟".

"بالطبع فأنت لا تزال صغيرًا".

"لكنى كما ترين قد وصلت إلى النهاية".

فقالت له مولى : "كلا. إنك لم تنتهِ، بل تعتقد ذلك، وأظن أنه ما من أحد إلا وقد مر ولو لمرة واحدة على الأقل بنفس هذا الشعور، وحينما يشعر المرء بأنها النهاية، فإنه يتوقف حينئذ عن الاستمرار فى الحياة".

"لقد انتابك هذا الشعور بالتأكيد، وإلا ما كنت تستطيعين الحديث عنه هكذا، أليس كذلك؟".

"نعم".

"وماذا حدث لك؟".

"كما يحدث للكثير من الناس، فقد كنت مخطوبة لطيار وقُتِل؟".

"ألم يكن هناك شىء آخر؟".

"بلى، فقد تعرَّضت لصدمة عنيفة عندما كنت صغيرة، وقد كانت تجربة وحشية قذرة جعلتنى أعتقد بأن الحياة دائمًا بشعة، وبمقتل جاك تأكدت معتقداتى عن مدى وحشية الحياة وما بها من غدر وخيانة".

فقال كريستوفر وهو ينظر إليها: "وفى تلك الأثناء ظهر جيلز فى حياتك. أليس كذلك؟".

"نعم". ورأى كريستوفر تلك الابتسامة الرقيقة وما بها من خجل، والتى ارتسمت بارتعاش على شفتيها وهى تستطرد قائلة: "نعم، ظهر جيلز فشعرت وقتها بالأمن والسعادة، وكان كل شيء يسير فى مجراه الطبيعي. آه من جيلز".

ثم تلاشت تلك الابتسامة من فوق شفتيها، وفجأة، تجمَّدت قسمات وجهها وأخذت ترتعد ربما من البرد.

"ما الأمر يا مولى؟ ما الذى يخيفك؟ هل أنت خائفة؟".

فأومأت برأسها.

"هل خوفك هذا يتعلق بجيلز قولاً أو فعلاً؟".

"ليس للأمر علاقة بجيلز، وإنما بذلك الرجل البشع!".

فتساءل كريستوفر فى دهشة: "مَنْ ذلك الرجل البشع؟ أتقصدين السيد بارافيشنى؟".

"كلا، بل الرقيب تروتر".

" الرقيب تروتر؟".

"نعم. إنه يقترح أشياء ويلمح إلى أشياء ويحشو رأسى بأفكار غريبة تتعلق بجيلز؛ إننى أكرهه، بل أمقته".

فارتفع حاجبا كريستوفر فى دهشة قائلاً: "جيلز؟ جيلز؟ نعم بالتأكيد فأنا وهو فى عمر متقارب، ورغم أنه يبدو أكبر سنًا منى إلا أنى لا أظنه كذلك، وربما هو الشخص الذى تحوم حوله الشكوك تمامًا مثلما تحوم حولى، ولكن هذا كله هراء يا مولى؛ فقد كان جيلز هنا معك فى ذلك اليوم الذى قُتلت فيه تلك المرأة فى لندن".

فلم ترد مولى.

فنظر إليها كريستوفر بحدة قائلاً: "ألم يكن هنا معك؟".

فأخذت مولى تلهث والكلمات تخرج من فمها على نحو غير متصل قائلة: "لقد كان خارج المنزل طوال اليوم بالسيارة، فقد ذهب إلى الجانب الآخر من المقاطعة ليحضر بعضًا من الشبك السلكى المعروض للبيع هناك، وهذا هو ما أخبرنى به. وهذا أيضًا هو ما كنت أظنه حتى ـ حتى ـ"

"حتى ماذا؟".

وحينئذ بسطت مولى يدها ببطء وهى تتبع تاريخ جريدة *إيفننج ستاندرد* التى كانت تغطى جزءًا من مائدة المطبخ.

فنظر إليها كريستوفر وقال: "إنها طبعة لندن منذ يومين".

"لقد وجدتها فى جيب جيلز عندما عاد؛ فمن المؤكد أنه كان فى لندن".

فأخذ كريستوفر يحدق نحو الجريدة ثم نحو مولى، ثم ضم شفتيه لأعلى وأخذ يصفِّر ولكنه لم يصفِّر هذه المرة بذلك اللحن.

بدأ كريستوفر ينتقى كلماته بعناية متجنبًا النظر إلى عينيها، وقال: "ما الذى تعرفينه بالضبط عن جيلز؟".

فصاحت مولى قائلة: "لا تسأل عن ذلك. إن هذا بالضبط هو ما كان يسأل عنه أو يلمح به ذلك الوغد تروتر، فضلاً عن أن النساء لم يكن يعرفن شيئًا عن من يتقدم للزواج بهن لاسيما أثناء الحرب، وإنما كن يصدقن ما يقوله الرجل لهن عن نفسه".

"أعتقد أن قولك هذا صحيح إلى حد ما".

"لا تتحدث أنت أيضًا عن جيلز هكذا؛ فلا أستطيع أن أتحمَّل ذلك، ولكن بما أننا جميعًا فى مركب واحد وغاضبون للغاية، فسوف نقبل بأى اقتراح، ولكن ما يقوله تروتر غير صحيح. إننى ـــ"

وحينئذ توقَّفت عن الكلام وانفتح باب المطبخ.

ودخل جيلز متجِّهم الوجه، قائلاً: "هل قطعت عليكما حديثكما؟".

فقام كريستوفر من على المائدة بهدوء قائلاً: "إننى أتلقَّى بعضًا من دروس الطهو".

"حقًا؟ لتسمع لى جيدًا. إن الأحاديث السرية فى الوقت الراهن تدعو إلى الارتياب، ابق بعيدًا عن المطبخ. أسمعت؟".

"أوه. ولكنى فى واقع الأمر ـــ"

"ابتعد عن زوجتى يا رين فلن أتركها لتصبح الضحية التالية".

فرد كريستوفر قائلاً: "وهذا ما يقلقنى".

لم يلاحظ جيلز مغزى تلك الكلمات؛ فقد استشاط غضبًا واكتسى وجهه بالحمرة وهو يقول: "سأتولى أنا ذلك، ويمكننى الاعتناء بأمر زوجتى. والآن اذهب عن هنا".

فقالت مولى بصوت واضح: "اذهب الآن من فضلك يا كريستوفر".

فتحرَّك كريستوفر ببطء نحو الباب قائلاً: "لن أذهب بعيدًا". وكانت كلماته واضحة المعنى وموجَّهة إلى مولى.

صاح جيلز قائلاً: "ألن تخرج من هنا؟".

فأطلق كريستوفر قهقهة صبيانية بصوت عالٍ قائلاً: "حسنًا، حسنًا، أيها القائد".

وأغلق الباب خلفه فاستدار جيلز إلى مولى قائلاً:

"أتجلسين ها هنا بمفردك مع رجل خطير مهووس بالقتل؟ أجننت؟".

"إنه ليس ـــ"، وبسرعة غيَّرت العبارة قائلة: "إنه ليس خطيرًا، وعلى أية حال فإنى متيقظة ويمكننى الاعتناء بنفسى".

فضحك جيلز باستياء قائلاً: "إن السيدة بويل كانت تظن هذا أيضًا".

"أوه، جيلز، كلا".

"معذرة يا عزيزتى، ولكننى أستشيط غضبًا من ذلك الفتى الحقير. إننى لأتساءل: ما الذى ترينه فيه ولا يمكننى أن أراه؟".

فقالت مولى ببطء: "إننى أشعر بالشفقة عليه".

"أتشعرين بالشفقة من أجل قاتل مهووس؟".

فرمقته مولى بنظرة غريبة قائلة: "نعم. يمكننى أن أشفق على قاتل مجنون!".

"أتنادينه باسم كريستوفر أيضًا؟ منذ متى تنادينه باسمه الأول؟".

"لا تكن سخيفًا يا جيلز، إن جميع الناس ينادون بأسمائهم الأولى الآن، وأنت تعرف ذلك جيدًا".

"أتنادينه بالاسم الأول رغم أنك لم تعرفيه سوى منذ يومين فقط؟ ولكن ربما أكثر من ذلك! .ربما تعرفين السيد كريستوفر رين؛ ذلك المهندس المعمارى الزائف قبل أن يأتى إلى هنا. وربما اقترحت عليه أنه يجب أن يأتى إلى هنا؟ بل ربما دبرت الأمر برمته معه؟".

فحدقت إليه مولى قائلة: "أجننت يا جيلز؟ ما هذا الهراء الذى تظنه؟".

"أظن أن كريستوفر رين صديق قديم، وأن هناك علاقة سرية بينكما لا تريديننى أن أعرفها".

"أجننت يا جيلز؟".

"سأفترض أنك لم تريه قبل أن يأتى إلى هنا، ولكن أليس غريبًا أن يأتى هو إلى هنا ليقيم فى مكان غير مطروق كهذا؟".

"ولكن أليس من الغريب أيضًا أن يأتى الرائد ميتكالف وكذلك السيدة بويل إلى هنا؟".

"نعم، أعتقد ذلك. إننى دائمًا ما كنت ألاحظ ذلك الإعجاب الغريب بالنساء فى همهمة ذلك المعتوه ونظراته. أخبريني: كيف تعرَّفت عليه؟ منذ متى وهذه العلاقة بينكما؟".

"إنك سخيف حقًا يا جيلز. إننى لم أرَ كريستوفر رين إلا هنا".

"ألم تذهبى إلى لندن منذ يومين لتقابليه هناك وتتفقا على أن تتقابلا هنا كغريبين؟".

"إنك تعرف حقًا بأننى لم أذهب إلى لندن منذ أسابيع عديدة".

"حقًا؟ حسنًا". ثم أخرج من جيبه قفازًا مبطنًا بالفراء ملوحًا به لها قائلاً: "إن هذا أحد القفازين اللذين كنت

ترتدينهما أمس الأول يوم أن ذهبتُ لإحضار الشبك السلكى، أليس كذلك؟".

فحدقت إليه مولى قائلة: "نعم. ارتديت هذين القفازين عندما خرجتِ فى ذلك اليوم الذى ذهبت *أنت* فيه لتحضر الشبك السلكى".

"وقد *قلتِ* بأنكِ ذهبت إلى القرية. فإذا كان هذا صحيحًا، فما تفسيرك لهذا الذى بداخل القفاز؟".

ثم لوح لها على نحو اتهامى بتذكرة أتوبيس ذات لون قرمزى.

فخيم الصمت لبرهة.

فقال جيلز: "لقد ذهبتِ إلى لندن".

فرفعت وجهها لأعلى وقالت: "حسنًا، لقد ذهبتُ إلى لندن".

"لكى تقابلى ذلك الفتى كريستوفر رين؟".

"كلا، لم أذهب لكى أقابل كريستوفر".

"فلماذا ذهبت إلى لندن إذن؟".

قالت مولى: "كفى يا جيلز، فلن أخبرك".

"إن هذا يعنى أنك تحاولين الحصول على مزيد من الوقت كى تفكرى فى سبب مقنع!".

فردت مولى قائلة: "أعتقد أنى أكرهك!".

فقال جيلز ببطء: "ولكنى لا أكرهك، ومع ذلك أتمنى لو أستطيع كراهيتك، إننى ببساطة أشعر وكأننى لم أعد أعرفك. ولا أعرف عنك شيئًا".

فقالت مولى: "وأنا أيضًا ينتابنى نفس الشعور، لقد أصبحت كشخص غريب يكذب علىّ".

"ومتى كذبت عليك؟".

فضحكت مولى قائلة: "أتظن أننى قد صدقت تلك القصيدة التى أخبرتنى بها عن الشبك السلكى؟ فقد كنتَ فى لندن *أنت* الآخر".

فقال جيلز: "ألا تثقين بى؟".

"أثق بك؟! لن أثق بأحد بعد اليوم".

لم يلاحظ كلاهما باب المطبخ وهو يفتح برفق إلا بعد أن سمعا صوت السيد بارافيشنى وهو يسعل وهمهم قائلاً:

"يا له من أمر محرج. آمل ألا يعنى كلاكما أكثر ما يقول، فالمرء مُعَرَّض لمثل هذه المشاحنات التى تقع بين الأحبة".

فرد جيلز بسخرية قائلاً: "مشاحنات العشاق. حسنًا!".

فقال السيد بارافيشنى: "إننى أعرف ما تشعران به، فقد مررت بمثل هذه المشاعر فى سن الشباب، وعلى أية حال فقد جئت لأخبركما أن ذلك الرقيب يطلب منا جميعًا أن نجتمع فى غرفة الاستقبال. يبدو لى أن *فكرة ما* قد واتته"، ثم ضحك برفق قائلا: "إن المرء ليسمع بأن رجال الشرطة دائمًا ما يكون لديهم مفتاح لحل اللغز، فليس هذا غريبًا، ولكن أن تواتيهم فكرة فهذا هو الغريب حقًا، وعلى الرغم من أن أحدًا لا ينكر أن الرقيب تروتر

مفعم بالحماسة والمثابرة إلا أننى أعتقد أنه لا يتمتع بذكاء كبير".

فقالت مولى: "اذهب أنت يا جيلز ريثما أذهب للاعتناء بأمر الطعام. وعلى أية حال فإن الرقيب سيجرى الاجتماع دون حضورى".

فرد بارافيشنى قائلاً وهو يقفز على أطراف أصابعه برشاقة نحو المطبخ: "بمناسبة الحديث عن الطهو. فهل جربت من قبل إعداد كبد الدجاج مقدمًا على الخبز المحمص المدهون بكثافة بعجينة *الفويجرا* المغطى بشريحة رفيعة من اللحم المقدد مكسوًا بالخردل الفرنسى؟".

فرد جيلز قائلاً: "لم تعد الفويجرا موجودة بكثرة هذه الأيام. هيا بنا".

"هل أبقى لأساعدك يا سيدتى؟".

فرد جيلز قائلاً: "كلا بل ستمضى معى يا بارافيشنى".

فضحك السيد بارافيشنى برفق قائلاً:

"إن زوجك خائف عليك، وهذا أمر طبيعى؛ فهو لا يحتمل فكرة بقائك بمفردك معى وهو يخشى ما أتصف به من ميول سادية ومن نزعات غير شريفة"، ثم انحنى برشاقة وأخذ يقبِّل أطراف أصابعها.

فقالت مولى باستياء: "أوه بارافيشنى. إننى متأكدة ــ"

فهز السيد بارافيشنى حينئذ رأسه وتوجَّه إلى جيلز قائلاً: "إنك شاب حكيم لا تدع مجالاً للمخاطرة. أتعتقد أن بمقدورى أن أثبت لك وللمفتش أننى لست ذلك القاتل

المهووس؟ كلا، لا أستطيع ذلك، فمن الصعوبة بمكان أن يحاول المرء إثبات صحة الأمور الشاذة".

وأخذ يدندن مبتهجًا.

فأجفلت مولى قائلة: "أرجوك لا تدندن بهذا اللحن المروع".

فرد قائلاً: "ثلاثة فئران عمياء! لقد استقر اللحن برأسى وبدأت أفكر فيه بعمق. إنه لحن لقصيدة مخيفة بعض الشىء ــ قصيدة رعوية وحشية تتعلق بالريف الإنجليزى، وفيها نجد أن أذيال الفئران تُقْطَع بالسكين على نحو مخيف، ولعلك لاحظت حب الأطفال للأشياء المخيفة؛ لذا فهم بالطبع يضحكون عندما يسمعون شيئًا كهذا، ويمكننى أن أقص لك الكثير عن الأطفال وحكاياتهم".

فقاطعته مولى بصوت خافت قائلة: "كلا، كفى من فضلك فأنت تضحك وتبتسم كقطة تلعب مع الفئران".

وأخذت تضحك.

فقال جيلز: "كفى يا مولى. هيا سنذهب جميعًا إلى غرفة الاستقبال، فسوف يستشيط تروتر غضبًا إن لم نذهب جميعًا، ولا تكترثى لأمر الطهو؛ فمسألة القتل أكثر أهمية من أمر الطعام".

فقال السيد بارافيشنى وهو يتبعها بخطاه الواثبة: "لا أوافقك هذا الرأى، فكما يقول المثل: المجرم يتناول وجبة إفطار دسمة".

وفى الردهة انضم إليهم كريستوفر رين فاستقبله جيلز بوجه عابس ورمق مولى بنظر سريعة قلقة ولكن مولى تجاهلتها. واستمرت فى طريقها ناظرة إلى الأمام، مرفوعة الرأس، واستمروا فى سيرهم وكأنهم فى موكب إلى أن وصلوا إلى باب غرفة الاستقبال متأخرًا عنهم السيد بارافيشنى بخطاه الواثبة.

وفى غرفة الاستقبال كان بانتظارهم الرقيب تروتر والرائد ميتكالف، وبدا الرائد عابس الوجه بينما بدا تروتر متورد الوجه مفعماً بالحماسة.

فقال الرقيب تروتر: "أحسنتم أن جئتم جميعكم لأننى لا أريد أن أقوم بتجربة ما وإنما أريد تعاونكم معى".

فسألته مولى: "هل سيستغرق هذا الأمر وقتًا طويلاً؟ فلدىَّ أعمال كثيرة بالمطبخ، فضلاً عن أننا سنكون بحاجة إلى وجبة فى وقت ما".

فقال تروتر: "حسنًا. إننى أقدِّر ذلك ولكنى أستميحك عذرًا فهناك أشياء أخرى أكثر أهمية من الطعام! فالسيدة بويل مثلاً لن تكون بحاجة إلى وجبة أخرى".

فقال الرائد ميتكالف: "إن حديثك يفتقر إلى اللباقة".

"معذرة أيها الرائد، ولكنى أريد من الجميع أن يتعاونوا معى".

فسألته مولى: "هل عثرت على زلاجتك أيها الرقيب؟".

فاحمرَّ وجه الرجل خجلاً ثم قال: "كلا ليس بعد، غير أن لدىَّ اشتباهًا قويًا بالشخص الذى سرقها ودوافعه إلى ذلك. ولكنى لن أوضح أكثر من هذا الآن".

فتوسَّل إليه السيد بارافيشنى قائلاً: "أرجوك لا تفعل. أظن أن التوضيحات يجب ألا تظهر إلا فى النهاية؛ لأن هذا يضفى على النهاية مزيدًا من الإثارة".

"إن الأمر ليس لعبة يا سيدى".

"ولكنى أعتقد أنك لست على صواب، كما أننى أظن أن هناك شخصًا ما ينظر إلى الأمر وكأنه لعبة".

فهمهمت مولى قائلة: "إن *القاتل* يستمتع مع نفسه".

فرمقها الآخرون بنظرة مشوبة بالدهشة، فاحمرَّ وجهها وقالت: "إننى أستشهد بما قاله لى الرقيب تروتر".

كان الرقيب مستاءً بعض الشىء وهو يقول: "حسنًا يا سيد بارافيشنى، وبمناسبة حديثك عن الأجزاء الأخيرة وكأنك تتحدث عن رواية بوليسية غامضة، فها أنا أقول لك بأن الأمر واقع حقيقى لا ينكر".

فقال كريستوفر وهو يمس قبعته فى حذر: "وكأننى لا علاقة لى بالأمر".

فرد الرائد ميتكالف قائلاً: "كُفَّ عن هذا الآن أيها الفتى، ودع الرقيب يخبرنا بما يريده منا".

فتنحنح الرقيب تروتر ثم قال فى جدية: "لقد أدليتم جميعًا بأقوالكم منذ وقت يسير عن الأماكن التى كنتم تتواجدون فيها حينما قُتِلَت السيدة بويل، وقد ذكر

السيد رين والسيد ديفيز أن كلاً منهما كان بغرفته، أما السيدة ديفيز فقد كانت بالمطبخ، بينما كان الرائد ميتكالف فى القبو، أما السيد بارافيشنى فقد كان هنا فى هذه الحجرة ـ"

توقف لبرهة ثم استطرد قائلاً:

"كانت هذه هى أقوالكم التى أدليتم بها، ولأننى لا أمتلك وسيلة للتحقق من هذه الأقوال فمن المحتمل أن تكون صحيحة، وربما كانت غير ذلك، ولكن بشكل أكثر إيضاحًا يمكن القول بأن أربعة من هذه الأقوال صحيحة بينما القول الخامس مزيف. ترى أيها؟".

وأخذ يجول بنظره من وجه لآخر، ولكن أحدًا لم يتكلم.

"إن أربعة منكم قد صدقوا فى أقوالهم، بينما الخامس قد أدلى بأقوال كاذبة، ولهذا فقد توصلت إلى خطة ربما ستساعدنى فى اكتشاف ذلك الشخص الكاذب، وحينما أكتشف الكاذب منكم فسأعرف حينئذ أنه هو القاتل".

فرد جيلز بحدة قائلاً: "ليس بالضرورة أن يكون الكاذب هو القاتل. فربما كذب لسبب ما".

"ولكنى أشك فى هذا يا سيد ديفيز".

"ولكنك أخبرتنا للتو بأنك لا تملك وسيلة تستطيع بها التحقق من هذه الأقوال".

"نعم، ولكن لنفترض أن كل واحد منا سيقوم بتحركاته التى فعلها مرة ثانية".

فهتف الرائد ميتكالف بازدراء قائلاً: "تقصد إعادة تمثيل *للجريمة*؟ إنها فكرة غريبة".

"ليس تمثيلاً للجريمة أيها الرائد، بل إعادة للتحركات، لتحركات الأشخاص البريئين من الناحية الظاهرة".

"وما النتيجة التى تنتظر التوصل إليها إذا ما قمنا بذلك؟".

"أستميحكم عذرًا إن لم أعلن عن هذا الآن".

فسألته مولى قائلة: "أتريد منا أن نعيد أداء ما فعلناه؟".

"تقريبًا يا سيدة ديفيز".

فساد المكان صمت مشوب بالخوف.

فكرت مولى فى نفسها: *إنه فخ، ولكننى لا أدرى كيف ـ*

"ربما ظننتم أن بالحجرة خمسة أشخاص مذنبين، بدلاً من مذنب واحد وأربعة أشخاص أبرياء". فنظر الجميع نظرات جانبية مريبة نحو ذلك الشاب المبتسم الواثق من نفسه الذى أتى بهذه المحاولة الساذجة.

وصاح كريستوفر رين بحدة قائلاً: "إننى لا أدرى ما الذى تأمل فى التوصل إليه إذا ما قمنا بإعادة أداء ما فعلناه من قبل. إن الأمر يبدو لى محض هراء".

"أهكذا يبدو الأمر لك يا سيد رين؟".

فقال جيلز ببطء: "سنفعل ما تقوله أيها الرقيب وسوف نتعاون. هل يجب أن نقوم جميعًا بأداء ما فعلناه من قبل وبكل دقة؟".

"ستقومون بإعادة نفس التحركات".

فنظر الرائد ميتكالف نظرة حادة لأعلى إثر غموض طفيف احتوت عليه عبارة الرقيب تروتر الذى استمر فى حديثه قائلاً: "لقد أخبرنا السيد بارافيشنى لتوه بأنه قد جلس على البيانو وعزف لحنًا ما، ألا تتكرم يا سيد بارافيشنى بأن ترينا بالضبط ما قمت به؟".

فوثب السيد بارافيشنى برشاقة نحو البيانو الكبير جالسًا فى زهو على مقعده وقال: "سيقوم المايسترو بعزف اللحن المميز للجريمة"، ثم ارتسمت على ملامح وجهه ابتسامة عريضة بتأنُّق متكلِّف، أخذ يعزف بإصبع واحد لحن "ثلاثة فئران عمياء".

وأخذت مولى تقول لنفسها: *إنه يستمتع مع نفسه! إنه يستمتع مع نفسه.*

أضفت الألحان الرقيقة المكتومة جوًا رهيبًا بأرجاء الحجرة الكبيرة.

فشكره الرقيب تروتر وقال: "أعتقد أنك قد عزفت اللحن تمامًا كما عزفته من قبل أليس كذلك؟".

"نعم أيها الرقيب. لقد عزفته ثلاث مرات".

فاستدار الرقيب تروتر إلى مولى سائلاً: "هل تعزفين على البيانو يا سيدة ديفيز؟".

"نعم".

"هل تستطيعين عزف اللحن بنفس الطريقة التى عزفه بها السيد بارافيشنى؟".

"بالطبع أستطيع".

"اذهبى إذن من فضلك، واجلسى على البيانو وانتظرى إشارة منى".

بدت مولى مرتبكة بعض الشىء، ثم خطت ببطء نحو البيانو.

فنهض حينئذ السيد بارافيشنى من مقعد البيانو معترضًا بحدة وهو يقول: "ولكن ما فهمته أيها الرقيب هو أن يقوم كل منا بإعادة ما قام به كل على حدة. وأنا الذى قمت بالعزف على البيانو".

"سيتم إعادة نفس الأحداث كما حدثت من قبل، ولكن *ليس بالضرورة أن يقوم نفس الأشخاص بإعادة أدائها*".

فقال جيلز: "لا أرى جدوى من ذلك".

"كلا بل هناك جدوى يا سيد جيلز، إنها وسيلة للتحقق من صحة الأقوال الأصلية، أو بمعنى أدق إنها وسيلة للتحقق من صحة قول واحد بعينه. والآن سأعهد إليكم بأدواركم المتنوعة: ستبقى السيدة ديفيز هنا على البيانو، أما أنت يا سيد رين فلتذهب من فضلك إلى المطبخ، لتلقى نظرة على طعام الغداء الذى كانت تقوم السيدة ديفيز بإعداده، وأنت يا سيد بارافيشنى أيمكن أن تذهب إلى غرفة السيد رين وأن تمارس موهبتك الموسيقية

هناك بأن تصفّر لحن "ثلاثة فئران عمياء" تمامًا كما فعل رين؟ وأنت أيها الرائد ميتكالف، فلتذهب من فضلك إلى غرفة السيد ديفيز لتفحص الهاتف. أما أنت يا سيد ديفيز فلتذهب لتلقى نظر على الدولاب الموجود بالردهة ثم تنزل بعد ذلك إلى القبو".

ساد المكان صمت لبرهة، ثم تحرَّك أربعة منهم نحو الباب وتبعهم تروتر ثم ألقى نظرة إلى الوراء من فوق كتفيه.

ثم قال: "سيدة ديفيز، ابدئى بالعد حتى رقم خمسين ثم اعزفى".

ثم تبع الآخرين إلى الخارج، وقبل أن يغلق الباب سمعت مولى صوت بارافيشنى يقول فى حدة: "لم أكن أعرف أن رجال الشرطة مولعون بألعاب المنزل".

"ثمانية وأربعون ـ تسعة وأربعون ـ خمسون".

وحينما انتهى العد، وبكل طاعة وإذعان أخذت مولى تعزف برقة ذلك اللحن الطفولى الوحشى الذى تسلل صداه بأرجاء الحجرة للمرة الثانية.

ثلاثة فئران عمياء

انظر كيف تجرى...

وشعرت مولى بقلبها يخفق ويرتجف أسرع وأسرع؛ فكما قال بارافيشنى من قبل لقد كانت قصيدة رهيبة تشيع جوًا من الرعب، وكانت مصطبغة باللاوعى الطفولى للخوف الذى يثير الرعب لدى الكبار.

وعلى نحو خافت للغاية كانت تسمع نفس اللحن صفيرًا منبعثًا من الطابق الثانى حيث السيد بارافيشنى يقوم بأداء دور كريستوفر رين.

وفجأة انطلق صوت المذياع بحجرة المكتبة المجاورة، ومن المؤكد أن الرقيب هو الذى قام بتشغيله مؤديًا بنفسه الدور الذى قامت به السيدة بويل.

ولكن لماذا؟ ما جدوى كل هذا؟ أين الفخ إذن؟ لقد كانت على يقين من وجود فخ.

وحينئذ أحست بلفحة هواء بارد فى مؤخرة عنقها فاستدارت برأسها فى حدة وهى تعتقد أن الباب قد فُتح وأن شخصًا ما قد دخل الحجرة، ولكنها لم تجد أحدًا وفجأة شعرت بالخوف يسرى فى أوصالها خشية أن يدخل أحدهم إلى الحجرة. ماذا لو جاء السيد بارافيشنى واثبًا عبر الباب، ثم نحو البيانو عازفًا بأصابعه الطويلة ـ

أخذت تقول لنفسها: *"إنك تقومين إذن بعزف موسيقى لموكب جنازتك، كلا الا تفكرين فى شيء آخر سارٍ؟ ولكن لا تكونى حمقاء، لا تتركى العنان لنفسك لتتخيلى أمورًا سيئة، فضلاً عن أنك تسمعين صفيره الآن يدور فى رأسك تمامًا مثلما يسمعك هو الآن أيضًا.*

إن أحدًا لم يسمع السيد بارافيشنى عندما كان يعزف. فهل كان هذا هو الفخ الذى تظنه؟ هل السيد بارافيشنى لم يقم أساسًا بالعزف على البيانو؟ فهل هذا يعنى أنه لم يكن بغرفة الاستقبال وإنما بحجرة المكتبة يشنق السيدة بويل؟ وعندما جالت تلك الفكرة برأسها كادت ترفع إصبعها من فوق البيانو.

لقد استشاط السيد بارافيشنى غضبًا حينما طلب تروتر منها أن تقوم بالعزف، بالإضافة إلى أنه قد تعمَّد أن يعزف اللحن برقة متناهية على أمل ألا يستطيع أحد الاستماع إليه خارج الغرفة؛ لأنه لو تمكَّن أحد من سماع اللحن هذه المرة فلماذا إذن لم يتمكَّن من سماعه قبل ذلك؟ وبهذا سيحصل تروتر على ما يريده؛ *سيتوصل إلى كشف الشخص الكاذب*.

وحينئذ فتح باب حجرة الاستقبال فهبَّت مولى من مكانها متوقعة أن يكون الداخل هو السيد بارافيشنى. ولكن لم يكن الداخل سوى الرقيب تروتر الذى تزامن دخوله لحظة انتهائها من العزف للمرة الثالثة.

قال لها: "شكراً لك سيدة ديفيز".

كان يبدو معجبًا وواثقًا بنفسه للغاية.

فرفعت مولى يدها من فوق مفاتيح البيانو قائلة: "هل توصَّلت إلى ما تريد؟".

فرد قائلاً بابتهاج قائلاً: "نعم، لقد توصَّلت بالطبع إلى ما أريد".

"مَنْ هو إذن؟".

"ألا تعرفينه يا سيدة ديفيز؟ سأخبرك الآن، فالأمر ليس صعبًا، وبالمناسبة، إذا سمحت لى، فإنك حمقاء للغاية؛ فقد تركتِنى مترقبًا وقوع ضحية ثالثة، ولكنك دون أن تدرى أوقعت نفسك فى خطر محدق".

"أنا؟ لا أعرف ماذا تعنى".

"أعنى أنك لم تصدقينى القول يا سيدة ديفيز بل تطلَّعت إلى مزيد من المعلومات تمامًا كما فعلت السيدة بويل".

"لا أفهم".

"كلا. بل تفهمين؛ فعندما حدثتك عن قضية مزرعة لونجريدج، *كنت تعرفينها* وشعرت وقتها بالارتباك وأنت التى أكدت لنا أن السيدة بويل كانت الضابط المسئول عن الإيواء فى هذا الجزء من المقاطعة. فكلاكما ـ إذن ـ ينتمى إلى نفس المكان، وعندما أخذت أفكِّر فيمن ستكون الضحية الثالثة استقر رأيى عليك فجأة، ولِمَ لا؟ فقد أظهرت معرفة مباشرة بقضية مزرعة لونجريدج؟ وكما تعرفين، فنحن ـ رجال الشرطة ـ لسنا حمقى كما يبدو علينا".

فقالت مولى بصوت منخفض: "ليس الأمر كما تظن وإنما لم أرد أن أتذكَّر ذلك".

"إننى أفهم ذلك"، ثم تغيَّر صوته قليلاً وهو يقول:

"لقد كان اسم أسرتك قبل الزواج هو واين رايت. أليس كذلك؟".

"نعم".

"كما أنك أكبر سنًا بشيء يسير مما تبدين، وفى عام ١٩٤٠ عندما حدثت قضية لونجريدج كنت تعملين وقتها معلمة فى مدرسة آبيفالى".

"كلا!".

"بل كنت كذلك يا سيدة ديفيز".

"كلا. قلت لك كلا".

"إن الطفل الذى مات تمكَّن من سرقة طابع بريدى وأرسل لك خطابًا يستجدى المساعدة من معلمته الحنون التى يجب عليها أن تعرف سبب غياب تلميذها عن المدرسة، ولكنك لم تحاولى معرفة السبب بل تجاهلت خطاب ذلك الطفل المسكين البائس الصغير".

توهَّج خدا مولى حمرة وهى تقول: "كفى. إنك تتحدث عن أختى، فهى التى كانت معلمة ولم تتجاهل الخطاب بل كانت مريضة ومصابة بمرض رئوى ولم ترَ الخطاب إلا بعد أن مات الطفل، فحزنت حزنًا شديدًا؛ فكم كانت مرهفة الحس. ولكن لم يكن الخطأ خطأها، ولأن هذا الأمر قد أوجع قلبها أصبحت لا أطيق ولا أحتمل تذكُّره، أصبح بالنسبة لى كالكابوس".

رفعت مولى يدها وغطت عينيها، وعندما رفعتها عن عينيها رأت الرقيب تروتر يحدق إليها.

فقال برقة: "لقد كانت أختك إذن؟"، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة واستطرد قائلاً: "لا تكترثى لذلك، فلا يهم إن كان الأمر يتعلَّق بأختك أو حتى بأخى ــــ"، ثم أخرج من جيبه شيئًا وهو يبتسم بسرور.

فنظرت مولى إلى ما فى يده قائلة: "كنت أعتقد دائمًا أن رجال الشرطة لا يحملون مسدسًا".

فقال الرجل: *"نعم إن رجال الشرطة لا يحملون مسدسًا، ولكنى كما ترين يا سيدة ديفيز، فأنا لست شرطيًا*. وإنما أنا جيم. لقد كان جورجي أخًا لى، لقد ظننت أننى شرطى لأننى أجريت اتصالاً من سنترال القرية وقلت لك إن الرقيب تروتر فى طريقه إليك، ولكنى عندما وصلت إلى هنا قمت بقطع أسلاك الهاتف كيلا تعاودى الاتصال بقسم الشرطة".

فحدقت إليه مولى وهو يلوح إليها بالمسدس قائلاً:

"لا تتحركى يا سيدة ديفيز ولا تصرخى، وإلا ضغطت على الزناد فى الحال".

كان لا يزال مبتسمًا، وأدركت مولى والرعب يكتنفها أن ابتسامته ابتسامة طفل، وتحوَّل صوته إلى صوت طفل.

فقال: "نعم. كان جورجي أخى؛ جورجي الذى مات فى لونجريدج، فقد أودعتنا تلك المرأة القذرة هناك، وكانت زوجة المزارع قاسية علينا ولم تقدِّمى لنا مساعدة، أية مساعدة لثلاثة فئران عمياء، وعزمت على أن أقتلكم جميعًا عندما يشتد عودى، ومنذ ذلك الحين والفكرة

تخامر عقلى"، ثم قطّب جبينه فجأة وقال: "لقد كانوا أيضًا يضايقوننى كثيرًا فى الجيش، لاسيما ذلك الطبيب الذى كان يطرح علىَّ أسئلة كنت أضطر باستمرار إلى التهرُّب منها، وخشيت أن يحولوا بينى وبين ما أريد، وها أنا قد كبرت الآن والكبار يفعلون ما يحلو لهم".

استجمعت مولى قواها وأخذت تقول لنفسها: *ساتحدث معه كى أشوش تفكيره.*

وقالت: "ولكن اسمع يا جيم. إنك لن تفلت بفعلتك هذه".

فرد قائلاً: "لقد سرق أحدهم زلاجتى ولم أستطع العثور عليها، وهذا المسدس هو مسدس زوجك فقد سرقته من أحد أدراجه، وسوف يعتقدون بأنه هو الذى أطلق الرصاص عليك. وعلى أية حال فإنى لا أكترث للأمر، فقد استمتعت كثيرًا ـــ استمتعت برؤية هذه المرأة وما اعترى وجهها حينما تعرفت علىَّ، وكذلك أيضًا تلك المرأة الحمقاء التى ماتت هذا الصباح".

وأومأ برأسه.

وحينئذ انبعث صوت صفير أضفى جوًا من الرعب على المكان، فقد كان هناك شخص ما يصفّر لحن "ثلاثة فئران عمياء".

فتأهّب تروتر، واهتز المسدس من يده، وسمعت مولى صيحة تقول: "انبطحى يا سيدة ديفيز".

فانبطحت مولى على الأرض فى نفس اللحظة التى نهض فيها الرائد ميتكالف من مكمنه خلف الأريكة بجوار الباب قافزًا فوق تروتر، فانطلقت رصاصة من المسدس لتستقر فى إحدى اللوحات الزيتية متوسطة الجودة والتى كانت عزيزة على قلب الراحلة الآنسة إيمورى.

وعلى الفور ساد المكان هرج ومرج، وجاء جيلز مندفعًا ومن ورائه كريستوفر رين والسيد بارافيشنى.

وبصوت عالٍ وهو يحكم قبضته على تروتر، قال الرائد ميتكالف:

"لقد دخلت بينما كنت تعزفين، وتسللت خلف الأريكة فقد كنت أراقبه منذ البداية، وكنت على علم بأنه ليس شرطيًا، أنا المفتش تانر، لقد دبَّرنا الأمر مع ميتكالف على أن أنتحل شخصيته؛ فقد رأت شرطة سكوتلاند يارد أنه من الضرورى أن ترسل شرطيًا ليراقب الأمر عن كثب". ثم تحدث برفق إلى تروتر الذى أصبح الآن سهل الانقياد قائلاً: "والآن ستأتى معى يا بنى فلن يؤذيك أحد. ستكون فى مأمن وسنعتنى بك".

وبصوت طفولى تساءل الشاب الصغير ذو اللون البرونزى قائلاً: "ألن يغضب منى أخى جورجى؟".

فرد ميتكالف قائلاً: "كلا لن يغضب جورجى منك؟".

وبينما كان يمر بجوار جيلز همهم له ميتكالف قائلاً: "يا له من غلام بائس مجنون للغاية".

وفى طريقهم إلى الخارج، ربت السيد بارافيشنى على ذراع كريستوفر رين قائلاً: "وأنت أيضًا يا صديقى. تعال معى".

وبينما ظل جيلز ومولى بمفردهما نظر كلاهما إلى الآخر، ثم لم يلبثا أن تعانقا، فقال جيلز: "هل أنت متأكدة أنه لم يصبك بسوء يا حبيبتى؟".

"كلا. إنى بخير يا جيلز. لقد كنت مشوشة الفكر حتى ظننت أنك أنت القاتل. لماذا ذهبت إلى لندن ذلك اليوم؟".

"لقد أردت أن أحضر لك هدية بمناسبة عيد زواجنا غدًا يا حبيبتى، ولم أشأ أن أخبرك".

"يا لها من مصادفة غريبة، فقد ذهبت أنا أيضًا إلى لندن لأحضر لك هدية، ولم أشأ أن أخبرك بها".

"لقد كنت غيورًا من ذلك الوغد المصاب بالعصاب، من المؤكد أننى كنت مخطئًا. فلتسامحينى يا حبيبتى".

فُتِح الباب ودخل منه السيد بارافيشنى واثبًا فى مشيته كالماعز وهو يبتسم قائلاً:

"معذرة إن كنت قد قطعت عليكما ذلك المشهد الرائع من صلحكما، ولكنى جئت لأودعكما؛ فسوف تصل إلى هنا إحدى سيارات الشرطة وسوف أقنعهم بأن يأخذونى معهم"، ثم انحنى ليهمس سرًا فى أذن مولى قائلاً:

"ربما سأتعرَّض لبعض المواقف المحرجة فى القريب العاجل، ولكننى واثق من أننى سأتدبَّر أمرها. إذا ما احتجت يومًا لأوزة أو ديك رومى أو بعض من علب

الفويجرا، أو لحم من فخذ الحمل، أو بعض من أكياس النايلون، فسوف يكون من دواعى سرورى أن أحضر هذه الأشياء إلى سيدة فاتنة الجمال مثلك، لقد تركت لك الشيك على مائدة الردهة".

قبَّل يد مولى ثم خطا واثبًا نحو الباب.

فتساءلت مولى: "ترى مَنْ يكون السيد بارافيشنى؟ سانتا كلوز؟".

فقال جيلز: "إنه نموذج من نماذج السوق السوداء".

وحينئذ أقحم كريستوفر رين رأسه نحو الداخل على استحياء قائلاً: "أتمنى لو لم أكن متطفلاً، ولكن هناك رائحة شىء يحترق تفوح من المطبخ، فهل *أفعل* شيئًا بشأنها؟".

فصاحت مولى بحدة قائلة: "إنها فطيرتى!".

ثم هرولت مسرعة.

مزحة غريبة

وبينما كانت تستكمل تقديمها، قالت جين هيلير: "وهذه هي الآنسة ماربل!".

ولكونها ممثلة، فقد كانت لديها القدرة على كسب التأييد لما تهدف إليه. وبدا بوضوح أنها قد وصلت بذلك في الفقرة الأخيرة من برنامج حفلها بنجاح! كانت نبرة صوتها تحمل مزيجاً من الرهبة المشوبة بالوقار والانتصار.

ولم يكن هناك شيء غريب سوى أن الشخص الذى قد أعلن عن تقديمه بفخامة لم يكن سوى امرأة عانس عجوز تبدو أنيقة، دمثة الخلق. وبفضل المساعى الحميدة لـ "جين" فقد تعرف عليها كل من كارمين ستراود التى كانت تبدو جميلة؛ نحيفة القوام، سمراء، وإدوارد روزيتر الذى كان يبدو وسيماً دمثاً ذا شعر أشقر وبنيان قوى. ولم يلبث كلاهما أن شعر إزاء هذا التقديم بنزعة من الشك مشوبة بالفزع.

فقالت كارمين وهي تحبس أنفاسها بعض الشيء: "لقد سعدنا للغاية"، ولكن كان الشك بادياً فى عينيها، وحدجت جين هيلير بنظرة متشككة.

فقالت جين رداً على هذه النظرة: "إنهـا *رائعة* للغاية يا عزيزتي. فقط دعى الأمر كله. لقد أخبرتكم بأننى سآتى بها إلى هنا وقد فعلت"، ثم توجهـت نحـو الآنـسة ماربـل وأضافت قائلة: "أعلم بأنك ستقومين بذلك دون صعوبة".

وبرباطـة جـأش اسـتدارت الآنـسة ماربـل بعينيهـا الزرقاوين نحو السيد روزيتر قائلة: "ألـن تخبرنـى عما يجرى؟".

فتدخلت كارمين بضجر قائلة: "لقد وقعت فيمـا يـشبه الورطة أنا وإدوارد، وقد أخبرتنا صديقتنا جين أننا إذا ما جئنـا إلى حفلـها فسوف تعرفنـا بـشخص مـن شـأنه ـ أو بمقدوره ـ أو سيستطيع ـ"

وحينئذ تـدخل إدوارد ليـسعفها قـائلاً: "لقـد أخبرتنا جين بأنه لا يشق لك غبار يا آنسة ماربل!".

فبرقت عينـا الـسيدة العجـوز وعلـى اسـتحياء قالـت: "أوه. كلا. كلا. ليس الأمر كمـا تظنـان، وإنمـا هـى حيـاة الريف التى أحياها فحـسب، والتـى تجعـل المـرء يتعـرف على كثير مما يتعلق بالطبيعة البشرية. ولكنكما قـد أثرتمـا فضولى حقاً. فهلا أخبرتمانى بمشكلتكما؟".

فرد إدوارد قائلاً: "يؤسـفنى أن تكـون المـشكلة مبتذلـة للغاية ــ إنها مشكلة الكنز المدفون".

"حقاً؟ ولكن هذا يبدو مثيراً للغاية!".

"أعرف ذلك، إنها مثل *جزيرة الكنز*، غير أن مشكلتنا تفتقر إلى اللمسات الرومانسية المعتادة. فلا يوجد مثلاً نقطة

ما على خريطة مشار إليها بجمجمة وعظمتين متـصالبتين. كما لا توجد اتجاهات للـسير مـثلاً: أربـع خطـوات نحـو اليسار أو فى الاتجاه الغربى الـشمالى. إنهـا تلـك المـشكلة المبتذلة للغاية ــ أين سنحفر؟".

"هل جربتم على أية حال؟".

"لقد حفرنا لمـا يقـرب مـن أكـرين مـربعين! إن المكـان برمته جاهز لأن يحول إلى أرض لزراعة الخضراوات لتبـاع فى السوق. إننا فقط نتناقش حول ما سنزرعه: هـل نـزرع كوسة أم نزرع البطاطس؟".

فقالت كارمين بسرعة: "أتسمحين لنا بأن نخبرك عـن الأمر برمته؟".

"بالطبع يا عزيزتى".

"فلنذهب إذن إلى مكان أكثـر هـدوءاً. هيـا يـا إدوارد"، ثم تقدمتهم خارجة من الحجرة المكتظة والمعبقة بالـدخان. ثم صعدوا الدرج إلى حجرة جلوس صغيرة بالطابق الثانى.

وعندما جلسوا، لم تلبـث كـارمين أن قالـت: "حـسناً. لنبدأ. إن حكايتنا تبدأ مع العم ماثيو، أو إن شئت فلتقولى العم الأكبر لنا؛ فقد كـان عتيقـاً علـى نحـو لا يـصدق. ولم يكن لديه أقارب سوى أنا وإدوارد. وقـد كـان متيمـاً بنـا. فقد كان دائمـاً مـا يقـول إنـه حينمـا يمـوت سيترك مالـه مناصفة بيننا، وها هو قد مات فى مارس الماضى وترك كل ما يملك كى يقسم مناصفة بينى وبين إدوارد. إن ما ذكرتـه للتو عن موته قد يوحى بأن قلبى قـاس، ولكننـى لا أعنـى

أننا كنا ننتظر موته، فقد كنا على العكس من ذلك نهيم به حباً، وإنما كل ما هناك أنه قد مكث حيناً من الدهر مريضاً.

وتكمن المشكلة فى أن كل ما تركه قد أصبح على أرض الواقع سراباً، الأمر الذى جعلنا نشعر نحن الاثنين إلى حد ما بكارثة. أليس كذلك يا إدوارد؟".

فوافقها إدوارد الدمث قائلاً: "قد اعتمدنا كما يبدو لك على هذه التركة إلى حد ما. وأعنى بذلك أن المرء حينما يشعر بأن هناك ثروة من المال تنتظره فإنه لا يكلف نفسه عناء العمل من أجل تحقيقها بنفسه، لاسيما أننى أعمل بالجيش وليس لدىَّ من المال سوى راتبى، وكذلك الحال مع كارمين فلم تكن تمتلك فلساً واحداً. فعلى الرغم من أنها تعمل مديرة لأحد المسارح الذى تُعرض فيه عدة مسرحيات فى موسم واحد، وعلى الرغم من أنها مستمتعة بعملها هذا إلا أنه لا يدر عليها مالا وفيراً. وعلى الرغم من أننا قد وضعنا فى حسباننا أن نتزوج إلا أننا لم نلق بالاً للجانب المادى المتعلق بالزواج وذلك لأن كلينا كان يعلم أننا سنصبح ميسورى الحال فى يوم من الأيام".

فقالت كارمين: "وها نحن لم يتحسن حالنا. ولم يعد لدينا شىء لنملكه سوى آنيستس وهو مقر العائلة الذى أحبه كثيراً أنا وإدوارد، ومع ذلك ربما سنضطر إلى بيعه إذا لم نتمكن من العثور على ثروة العم ماثيو".

فرد إدوارد قائلاً: "إننا حتى الآن يا كارمين لم نصل بعد إلى لب الموضوع".

"حسناً، فلتتحدث إذن".

فاستدار إدوارد نحو الآنسة ماربل قائلاً: "تبدأ الحكاية هكذا: حينما كبر العم ماثيو فى السن أصبح كثير الشك والارتياب، ولم يضع ثقته بأحد".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "وقد كان حكيماً فى ذلك لأن الطبيعة البشرية تتسم بقدر لا يصدق من فساد فى الذمة".

"حسناً، ربما تكونين على صواب. وعلى أية حال فقد كان العم ماثيو يعتقد ذلك هو الآخر، لاسيما أن أحد أصدقائه قد فقد ثروته بأحد البنوك، بينما تعرض صديق آخر له لضياع ثروته على يد أحد المحامين والذى فر هارباً. ليس هذا فحسب، بل إن العم ماثيو نفسه قد خسر بعضاً من ماله على يد إحدى الشركات الوهمية. ومن ثم فقد كان يرى أن أكثر الوسائل أمناً لحماية الثروة هو تحويل المال إلى سبائك ذهبية ثم دفنها".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "هكذا الأمر إذن؟ لقد بدأت أفهم".

"وبالطبع تناقش معه أصدقاؤه فى هذا قائلين له بأن هذا لن يحقق له فائدة ولكنه لم يأبه لذلك. بل كان يقول إن الجزء الأكبر من المال يجب أن يحفظ فى صندوق

تحت السرير، أو يدفن فى الحديقة. كانت هذه طريقة تفكيره".

واستطردت كارمين قائلة: "وحينما مات لم يترك أية سندات مالية على الرغم من أنه كان ثرياً للغاية. ومن ثم فنحن نعتقد أنه قد نفذ بالفعل ما كان يقوله".

وأخذ إدوارد يوضح قائلاً: "لقد اكتشفنا أنه قد باع السندات المالية وكان يقوم بين الحين والآخر بسحب مبالغ طائلة. ولم يعرف أحد ما الذى كان يفعله بهذه الأموال. ولكن يبدو أنه كان مؤمناً بمبادئه وأنه قد قام بالفعل بشراء الذهب ثم دفنه فى كان ما".

"ألم يقل شيئاً قبل أن يموت؟ ألم يترك أية أوراق أو خطابات؟".

"إن هذا هو ما يثير دهشتنا. إنه لم يترك شيئاً من هذا القبيل فقد كان فاقداً للوعى لبضعة أيام، ولكنه أفاق يسيراً قبل أن يموت. ونظر إلينا ضاحكاً ضحكة خافتة واهنة وقال لنا: *سيكون الأمر* على ما يرام يا أحبائى الصغار. وحينئذ أطبق عينه ــ عينه اليمنى وغمز إلينا، ثم فارق الحياة. يا له من مسكين عجوز ذلك العم ماثيو".

فقالت الآنسة ماربل باهتمام: "وهل أطبق عينه؟".

فرد إدوارد قائلاً: "وهل هذا يعنى لك شيئاً؟ إن صنيعه ذلك جعلنى أتذكر قصة آرسين لوبين حيث كان هناك شىء دفين بالعين الزجاجية لأحد الرجال، ولكن العم ماثيو لم يكن لديه عين زجاجية".

فهزت الآنسة ماربل رأسها قائلة: "لا أستطيع أن أعمل فكرى فى أى شيء هذه اللحظة".

فقالت كارمين وهى تشعر بخيبة الأمل: "لقد قلت لنا إنك ستخبرينا فى الحال عن المكان الذى يجب أن نحفر فيه".

فابتسمت الآنسة ماربل قائلة: "إننى لست ساحرة أو مشعوذة. كما أننى لا أعرف عمكما، ولا أعرف شخصيته. فضلاً عن أننى لا أعرف المنزل ولا الأرض المحيطة به".

فردت كارمين قائلة: "وماذا لو عرفت كل هذا؟".

فقالت الآنسة ماربل: "سيصبح الأمر إذن سهلاً للغاية. أليس كذلك؟".

فردت كارمين قائلة: "سهلاً! تعالى إذن إلى آنيستس لترى بنفسك إذا كان الأمر سهلا أم لا".

ربما لم تكن كارمين تقصد أن تؤخذ الدعوة على محمل الجد، ولكن الآنسة ماربل قالت بسرعة: "حسناً، سيكون هذا من دواعى سرورى يا عزيزتى. فلطالما أردت أن تواتينى فرصة البحث عن كنز مدفون، و ــ"، ثم استطردت وهى تنظر إليهم بابتسامة فيكتورية قائلة: "وبشغف واهتمام أيضاً".

فأومأت كارمين على نحو درامى قائلة: "أتعتقدين هذا؟!".

وقاموا بجولة حول منزل آنيستس، فذهبوا للبحث فى حديقة المطبخ المحاطة بالأشجار الكثيفة. وبحثوا فى الغابة الصغيرة وحول كل شجرة تبدو مميزة. ثم نظروا بحزن نحو السطح المشجر حديثاً. وبحثوا فى العلية تحت سطح المنزل مباشرة؛ حيث تحفظ به الصناديق والخزانات القديمة الخاوية من أية محتويات. ثم بحثوا فى القبو المتلئ بالأحجار اللوحية المتراكمة من دون قصد، ثم نقبوا فى الحوائط والجدران. ورأت الآنسة ماربل كل قطعة أثاث ثمينة بها درج أو ربما يكون بها درج سرى".

وعلى إحدى الموائد الموجودة بحجرة الإفطار كانت هناك كومة من الورق ــ كل الأوراق التى تركها العم ماثيو ستراود دون أن تنقص منها ورقة واحدة. كانت هذه الأوراق عبارة عن فواتير وبطاقات دعوة ومراسلات خاصة بالعمل. وكان إدوارد وكارمين يترددان للبحث فى هذه الأوراق أملاً فى العثور على شيء بها يدل على مكان الكنز.

سألت كارمين الآنسة ماربل راجية منها جواباً: "هل تعتقدين أن هناك مكاناً ما يجدر بنا البحث فيه".

فهزت الآنسة ماربل رأسها قائلة: "يبدو أنكما أجريتما بحثاً شاملاً بدقة متناهية يا عزيزتى. ولكن دعونى أقول إن البحث كان شاملاً ودقيقاً بشكل مبالغ فيه إلى حد ما. وإننى دائماً ما أرى أنه ينبغى على المرء أن يعمل وفقاً لخطة واضحة. إن حالكما يشبه حال صديقتى السيدة

إيلدريتش والتى كان لديها مشمع جديد جميل لفرش الأرضية. ولكنها كانت دقيقة للغاية لدرجة أنها قامت بتلميع أرضية الحمام بشكل مبالغ فيه. وبينما كانت السيدة إيلدريتش خارجة من الحمام، انزلقت السجادة المصنوعة من الفلين من تحتها، فوقعت وكسرت قدمها ومما زاد الأمر سوءاً أن باب الحمام كان موصداً. وبالطبع اضطر البستانى أن يحضر سلماً كى يدخل عبر النافذة، مما ضايق السيدة إيلدريتش التى طالما كانت تتسم بحيائها الشديد".

وحينئذ أخذ إدوارد يتحرك ضجراً.

فقالت الآنسة ماربل: "معذرة لخروجى عن موضوعنا محل النقاش غير أن الأشياء تذكرنى ببعضها البعض. وفى بعض الأحيان يكون هذا مفيداً. إن كل ما كنت أحاول قوله هو إننا إذا ما فكرنا فى الأمر بذكاء حاد وفطنة شديدة للوصول إلى مكان محتمل ــ"

فرد إدوارد متسائلاً فى حدة: "هل توصلت إلى مكان ما يا آنسة ماربل؟ لقد استنفد فكرى وفكر كارمين كل الأماكن".

"لقد تعرضتما بالطبع لإرهاق شديد يا عزيزى"، ثم أشارت إلى الأوراق الموجودة على المائدة وقالت: "إن لم يكن لديكما مانع فسوف ألقى نظرة على هذه الأوراق. هذا إن لم تكن تحتوى على أمور خاصة، فأنا لا أريد أن أبدو متطفلة".

"حسنا، لك هذا، ولكنى أخشى أنك لن تجدى بها شيئاً".

فجلست على المائدة وأخذت تقلب بشكل منظم فى حزمة الوثائق. وبسرعة أخذت تستبدل الوثيقة تلو الأخرى إلى أن صنفتها على هيئة أكوام صغيرة مرتبة. وعندما انتهت، جلست تحدق أمامها لبعض الدقائق.

فسألها إدوارد بفظاظة قائلاً: "وماذا بعد يا آنسة ماربل؟".

فاستعادت الآنسة ماربل رباطة جأشها ببداية يسيرة قائلة: "معذرة! ولكن هذا سيساعدنا كثيراً".

"هل وجدت شيئاً ذا صلة؟".

"أوه! كلا. ليس الأمر هكذا، ولكنى على يقين من أننى قد عرفت الآن ملامح شخصية عمك ماثيو. فقد كان يشبه كثيراً عمى هنرى الذى كان مغرماً بالمزح الملة. وكان عمى هذا غير متزوج. وأرى أن السبب وراء ذلك أنه قد مر بتجربة مخيبة للآمال فى سن مبكرة. وكان يتسم بالمنهجية والوضوح، ولكنه لم يكن يحب فكرة الارتباط بأحد. وهكذا حال القليل من العزاب!".

ومن وراء الآنسة ماربل، أومأت كارمين بإشارة إلى إدوارد تعنى أنها امرأة بلهاء حمقاء.

كانت الآنسة ماربل تتحدث بكل سرور دون توقف عن عمها الراحل هنرى قائلة: "لقد كان مولعاً بالتورية والتلاعب بالألفاظ، والتى يضيق بها بعض الناس ذرعاً.

وكان رجلاً متشككاً أيضاً؛ فدائماً ما كن يظن أن الخدم يسرقونه. وعلى الرغم من أنهم كانوا كذلك إلا أن هذا لم يكن بشكل دائم. وعلى أية حال، فقد ترسخت هذه الفكرة لدى الرجل المسكين إلى أن بلغ الحد ليشك فى أنهم يعبثون بطعامه. وفى نهاية المطاف كان يرفض تناول أى شيء سوى البيض المسلوق ظناً منه أن أحداً لا يستطيع أن يعبث بصفار البيض. وقد كان عمى العزيز هنرى مرحاً فى بعض الأوقات، ومغرماً باحتساء القهوة بعد الغداء، ودائماً ما كان يقول: إن هذه القهوة قهوة مغربية. وكان يعنى بذلك أنه يريد المزيد منها".

وحينئذ شعر إدوارد أنه سيجن إن سمع كلمة أخرى عن العم هنرى.

واستطردت الآنسة ماربل قائلة: "لقد كان أيضاً شغوفاً بالصغار غير أنه كان مولعاً بإثارة غيظهم. فقد كان يضع أكياس الحلوى فى مكان لا يستطيع الطفل الوصول إليه".

ودون أن تلقى اهتماماً باللباقة والأدب، قالت كارمين: "أعتقد أنه كان يبدو فظيعاً!".

"أوه. كلا يا عزيزتى. بل كان أعزب عجوزاً ولم يكن معتاداً على الأطفال. كما أنه لم يكن أحمق؛ فقد اعتاد على أن يحتفظ بمبلغ كبير فى خزانة بالمنزل، ولكنه كان كثير الحديث عنها، وعن مدى كونها مكاناً آمناً. ونتيجة لذلك فقد اقتحم اللصوص منزله ذات ليلة، ثم أحدثوا بها ثقباً مستخدمين فى ذلك جهازاً كيميائياً".

فرد إدوارد قائلاً: "لقد تعاملوا معه كما ينبغى".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "ولكن الخزانة كانت فارغة؛ فقد كان يحتفظ بأمواله فى مكان ما خلف الكتب والمجلدات الدينية لأنه كان يرى أن الناس لا يلقون اهتماماً لمثل هذه النوعية من الكتب".

فقاطعها إدوارد باهتمام وتشوق قائلاً: "أرى أن هذا يوحى لنا بفكرة، ماذا عن المكتبة؟".

فأومأت كارمين برأسها فى ازدراء قائلة: "أتظن أننى قد فاتنى هذا؟ لقد بحثت فى كل الكتب يوم الثلاثاء الماضى عندما ذهبت إلى بورتسموث. وقد أخرجتها وتفحصتها كلها، ولكنى لم أعثر على شيء".

فتنهد إدوارد، ثم نهض محاولاً التخلص بلباقة من الضيفة المخيبة للآمال قائلاً: "نحن نقدر مجيئك إلى هنا، ومحاولتك مساعدتنا. ومعذرة إن كنا قد أخفقنا. وإننى لأشعر بأننا قد أهدرنا كثيراً من وقتك الثمين، ولكنى سأجهز السيارة، وسوف تلحقين بقطار الثالثةوالنصف و—"

فقالت الآنسة ماربل: "ولكن يجب علينا أن نعثر على المال. أليس كذلك؟ يجب ألا تفقد الأمل يا سيد روزيتر. وإذا لم تنجح فى البداية، فعليك أن تحاول وتحاول مرة ثانية".

"هل تعتقدين أنك سوف تستمرين فى المحاولة؟".

فقالت الآنسة ماربل: "إننى فى حقيقة الأمر لم أبدأ بعد. وعليك أولاً أن تصطاد الأرانب كما تقول السيدة بيتون فى كتابها عن فنون الطهو، فعلى الرغم من أنه كتاب رائع للغاية إلا أنه باهظ الثمن. وتبدأ معظم وصفات الطهو به كالآتى: أحضر ربع جالون من القشدة مع اثنتى عشرة بيضة. دعونى أتذكر أين انتهى بى الحديث؟ أوه. حسناً. يمكننا القول بأننا قد أمسكنا بالأرنب، وأعنى بالأرنب هنا العم ماثيو بالطبع. والآن فليس أمامنا سوى أن نصل إلى المكان الذى وضع فيه المال. سيكون الأمر سهلاً للغاية".

فتعجبت كارمين قائلة: "سهلاً؟".

"نعم يا عزيزتى. إننى على يقين من أنه قد فعل الشيء البديهى ـ أعنى الدرج السرى. وهذا هو ما توصلت إليه من حل".

فرد إدوارد بشكل فظ قائلاً: "إنك لا تستطيعين الاحتفاظ بسبائك ذهبية فى الأدراج السرية".

"كلا. بالطبع، كلا. ولكن ليس هناك سبب يجعلنا نعتقد بأن المال قد تحول إلى ذهب".

"لقد اعتاد دوماً أن يقول ——"

"وكذلك أيضاً العم هنرى، كان يتحدث عن خزانته. ومن ثم فإننى أظن بشكل قوى أن ذلك لم يكن سوى وسيلة تضليل بسيطة. ومن المحقق أن المال يوجد الآن، وبكل بساطة بأحد الأدراج السرية".

"ولكننا جئنا بأحد نجارى الموبيليا ليفحص الأثاث وقمنا بالبحث فى كل الأدراج السرية".

"أفعلتم ذلك يا عزيزتى؟ حسناً فعلتم، ولكنى أعتقد أن المكتب الخاص بعمكما سيكون هو المكان الأفضل للبحث فيه. فهل وجدتم ذلك المكتب المزود بجزء علوى للكتب موجوداً هناك بجوار الحائط؟".

"نعم وسوف أريك إياه". وذهبت كارمين إليه، وأنزلت مصراع المكتب، فوجدوا بداخله عيوناً مربعة لتصنيف الأوراق، وبعض الأدراج القليلة. وفتحت باباً صغيراً فى وسط المكتب فلمست يدها زنبركاً فسمعت صوت طقطقة. وفتح الدرج إلى الأمام، فسحبته كارمين إلى الخارج فظهر تحته تجويف مسطح. ولكنه كان فارغاً.

فتعجبت الآنسة ماربل قائلة: "والآن هل يعد هذا مصادفة هو الآخر؟ لقد كان لدى العم هنرى مكتب لا يختلف عن هذا كثيراً، غير أن مكتبه كان مصنوعاً من خشب الجوز الخشن، أما هذا فمصنوع من خشب الماهوجنى".

فقالت كارمين: "ولكننا لم نجد به شيئاً كما يبدو أمامك".

فقالت الآنسة ماربل: "أعتقد أن نجار الموبيليا الذى جئتم به لم يكن ماهراً، ولم يعرف كل شيء. وذلك لأن من صنعوا أماكن لإخفاء الأشياء فى تلك الأيام كانوا أناساً

على مهارة كبيرة. ومن المؤكد أن هناك ما يشبه مكاناً سرياً بداخل مكان سرى آخر".

ثم أخرجت دبوساً للشعر من داخل كعكة شعرها الأنيق بلونها الرمادي، وغرزت رأس الدبوس بداخل شيء الذى بدا وكأنه ثقب دودى على أحد جوانب التجويف السرى، وبصعوبة قليلة جذبت درجاً صغيراً إلى الخارج. كان به حزمة من الخطابات الباهتة مطوية.

وحينئذ ارتجف كل من إدوارد وكارمين على الفور. وبأصابعه المرتعشة، أخذ إدوارد يفتح الورقة المطوية، ثم لم يلبث أن ألقى بها على الأرض فى استياء وضجر قائلاً:

"اللعنة! إنها وصفة طهو لفخذ الحمل المطبوخ!".

وبينما كانت كارمين تقوم بحل الأنشوطة التى كانت تربط الخطابات، سحبت واحداً منها وألقت عليه نظرة سريعة قائلة: "إنها خطابات غرامية!".

وعلى طريقة العصر الفيكتورى فى التعبير عن الاستمتاع بالشيء، صاحت الآنسة ماربل قائلة: "يا له من شيء رائع ربما يفسر لنا السبب فى إحجام عمك عن الزواج".

وبصوت عال قرأت كارمين الخطاب:

حبيبى ماثيو. أود أن أخبرك بأن الوقت يمر طويلاً رتيباً منذ أن تلقيت رسالتك الأخيرة. إننى أحاول أن أشغل نفسى بتلك المهام المتنوعة المعهودة إلىّ. ودائماً ما أقول لنفسى بأننى قد حالفنى الحظ حقاً لأن أرى الكثير من

العالم. ولم ألبث أن وصلت إلى أمريكا حتى شعرت بأننى أريد أن أبحر نحو تلك الجزر البعيدة.

فتوقفت كارمين قائلة: "ومن أين هذه؟ هاواى!"، ثم استأنفت:

وللأسف الشديد فإن أبناء هذه الأماكن الأصليين يبدون بمنأى عن أضواء الحضارة. إنهم يسيرون عرايا وبشكل بربرى همجى وهم يقضون معظم أوقاتهم فى السباحة والرقص وتزيين أنفسهم بأكاليل الزهور. وقد قام السيد جراى بتعليم البعض منهم، ولكنه عمل شاق وعسير، الأمر الذى جعله هو والسيدة جراى يشعران بالإحباط. وها أنا أحاول أن أفعل كل ما بوسعى كى أدخل البهجة عليهما وأشجعهما ولكنى أيضاً أشعر دائماً بحزن لبعدى عنك يا ماثيو. إن الابتعاد عن الحبيب تجربة قاسية لفؤاد يهيم حباً، غير أن ما يسلى قلبى هو وعودك المتكررة، وحبك لى. لك قلبى المخلص الحنون دائماً يا حبيبى -

حبيبتك المخلصة،

بيتى مارتن.

ملحق - إننى أرسل بخطابى تحت غطاء إلى صديقتنا مالتيدا جرافيس كالعادة. أتمنى أن يغفر الله لى هذه الخدعة اليسيرة.

فصفّر إدوارد قائلاً: "بعثة تعليمية نسائية! أهكذا العم مثرى ماثيو يتمتع بالرومانسية؟ إننى لأتساءل: لماذا لم يتزوجا؟".

فقالت كارمين وهى تنظر فى الخطابات: "يبدو أنها قد طافت حول العالم، فلم تترك مكاناً إلا وذهبت إليه حتى موريشيوس. وربما ماتت من الحمى الصفراء. أو بشىء من هذا القبيل".

فضحكت الآنسة ماربل ضحكة خافتة وقالت: "حسناً، يا له من شيء رائع الآن!".

كانت تقرأ وصفة الطعام الخاصة بفخذ الحمل المطبوخ وحينما رأتهما ينظران إليها بفضول قرأت بصوت عالٍ: "فخذ حمل مطبوخ مع السبانخ: أحضر شريحة من فخذ الحمل المدخن متبلة بالثوم، ومغطاة بالسكر البنى، ثم تسوى على نار هادئة، ثم تقدم مع حساء السبانخ. ما رأيكم فى هذا؟".

فرد إدوارد قائلاً: "أعتقد أنها ستكون وجبة قذرة".

"كلا، بل ستكون فى واقع الأمر لذيذة المذاق. ولكن ما رأيكم فى *الأمر إجمالاً*؟".

فتهلل وجه إدوارد فجأة قائلاً: "أتعتقدين أنها نوع من الكود السرى؟"، ثم استدار نحو كارمين قائلاً: "ربما تكون هكذا حقاً. فليس هناك ما يدعو إلى الاحتفاظ بوصفة طهو بأحد الأدراج السرية".

فقالت الآنسة ماربل: "تماماً. إنها هكذا بالضبط".

فقالت كارمين: "وأنا أعرف ما بها من سر، فربما كتبت بالحبر السرىّ. هيا نشغل الموقد الكهربى لنعرضها للحرارة".

وشغل إدوارد الموقد الكهربى، وعرّض وصفة الطهو للحرارة غير أنه لم تظهر أية ملامح أثناء المعالجة.

فسعلت الآنسة ماربل قائلة: "أعتقد أنكما تصعبان الأمر، فوصفة الطهو ليست إلا إشارة لنا. إننى أعتقد أن السر يكمن فى الخطابات".

"الخطابات؟".

فقالت الآنسة ماربل: "فى التوقيع على وجه الخصوص".

ولكن إدوارد لم يسمعها فنادى على كارمين بسرور بالغ قائلاً: "تعالى إلى هنا يا كارمين. إنها على صواب. انظرى. سوف تجدين أن المظاريف قديمة، بينما كتبت الخطابات بتاريخ أحدث".

فقالت الآنسة ماربل: "تماماً كما تقول".

"لقد زيفت كى تبدو قديمة، إننى أراهن على أن العم ماثيو قد زيّف بنفسه كل ما يبدو أمامنا قديماً".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "وبدقة متناهية".

"إن الأمر كله ليس إلا خدعة أو حيلة. فلم يحدث أبداً أن تم إرسال بعثات تعليمية نسائية، فمن المؤكد أنها شفرة سرية".

"لسنا بحاجة إلى أن ننظر إلى الأمر بهذه الصعوبة، فقد كان عمكما رجلاً بسيطاً للغاية. وكل ما هناك أنه أراد أن يترك لنا مزحته اليسيرة".

وللمرة الأولى، وجه كل من إدوارد وكارمين انتباههما إليها.

فتساءلت كارمين قائلة: "ما الذى تقصدينه على وجه التحديد؟".

"إن ما أعنيه يا عزيزتى هو أنكما بالفعل تمسكان بالمال فى أيديكما الآن".

فحدقت كارمين لأسفل.

"إنه التوقيع يا عزيزتى. فهو الذى يكشف لنا الأمر برمته. أما عن وصفة الطهى فلا تعدو أن تكون أكثر من إشارة. وما عليك سوى أن تحذفى منها فصوص الثوم، السكر البنى، وغير ذلك ثم انظرى. ما الذى ستعنيه تلك الوصفة فى واقع الأمر؟ ولماذا تتحدث الوصفة عن شرائح *فخذ الحمل المطبوخ، وحساء السبانخ* على وجه التحديد؟ إن فخذ الحمل والسبانخ لا يعنى شيئاً! ومن ثم فمن الواضح أن الخطابات هى التى يجب أن نوليها اهتمامنا. فضلاً عن أنك إذا ما نظرت أيضاً بعين الاعتبار إلى ما فعله عمك مباشرة قبل أن يموت ـ حينما أطبق بعينه كما قلت، فإن هذا سوف يضع أيدينا على مفتاح اللغز".

فردت كارمين قائلة: "أجننت أم نحن الذين أصابنا الجنون؟".

"من المؤكد يا عزيزتى أنك قد سمعت ذلك التعبير الذى يعنى أن شيئاً ما لا يمثل صورة حقيقية ــ أم أن هذا التعبير لم يعد فى حيز الاستخدام الآن؟ إن تركيزى الآن منصب على اسم بيتى مارتن".

فلهث إدوارد حينئذ وعيناه تنظران لأسفل نحو الخطاب قائلاً: "بيتى مارتن ــ"

"بالطبع يا سيد روزيتر كما قلت للتو الآن، فلم يكن هناك شخص يحمل هذا الاسم، ولكن عمك هو الذى كتب هذه الخطابات. وأراهن على أنه كان يجد متعة كبيرة وهو يفعل ذلك. وكما ذكرت من أن الكتابة على المظاريف تعود فى حقيقة الأمر إلى تاريخ أقدم، فهذه المظاريف إذن ليست لها علاقة بالخطابات لاسيما أن طابع البريد الملصق على الخطاب الذى بيديك يرجع إلى عام ١٨٥١".

توقفت لبرهة ثم أكدت قولها ثانية: "نعم، إن طابع البريد يعود إلى عام ١٨٥١ وهذا يفسر لنا كل شيء. أليس كذلك؟".

فقال إدوارد: "لا يزال الأمر غامضاً بالنسبة لى".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "حسناً، ما كان الأمر سيتضح لى إن لم يتضح لابن أخى الأكبر ليونيل، ذلك الفتى الصغير المولع بجمع الطوابع البريدية، فقد كان يعرف عنها كل شيء. وهو الذى أخبرنى عن الطوابع النادرة الثمينة، وأن هناك اكتشافاً رائعاً جديداً تم عرضه بمزاد علنى، ومازلت أذكر حديثه عن طابع عام ١٨٥١

ذى اللون الأزرق ــ *قيمته سنتان؛* وقد حقق حوالى ٢٥٠٠٠ دولار! ومن ثم أدركت أن بقية الطوابع تعتبر نادرة وغالية الثمن هى الأخرى. ولا شك أن عمك قد اشترى هذه الطوابع من البائعين. وكان حريصاً على أن يخفى آثاره كما يقولون فى الروايات البوليسية".

فتأوه إدوارد حينئذ ودفن وجهه بين يديه.

وتساءلت كارمين قائلة: "ما الأمر؟".

"لا شيء، ولكننى أفكر فى تلك الفكرة الرهيبة التى لن توافقنى عليها الآنسة ماربل وهى أنه كان ينبغى علينا أن نقوم بكل لباقة وتهذيب بحرق هذه الخطابات".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "آه. وهذا هو ما لم يدركه أولئك النبلاء الذين كانوا مولعين بنكاتهم. وإننى لا أزال أذكر أن عمى هنرى قد أرسل خمسة جنيهات كهدية عيد الميلاد إلى إحدى بنات أخيه المحببة إلى قلبه، ووضعها بداخل بطاقة معايدة، ثم طوى البطاقة وكتب عليها: مع حبى وأمنياتى الطيبة. ومعذرة فهذا هو كل ما يمكننى تدبيره هذا العام.

وقد ضجرت الفتاة المسكينة من وضاعته ــ كما تراءى لها ــ فقذفت بالبطاقة وما تحويه فى النار، ومن ثم كان عليه بالطبع أن يعطيها واحدة أخرى".

وحينئذ تغيرت مشاعر إدوارد كلية وبسرعة تجاه العم هنرى، وقال:

"آنسة ماربل، سأذهب لأحضر زجاجة من العصير لنحيى جميعاً ذكرى عمك هنرى".

جريمة القتل وشريط القياس

أمسكت الآنسة بوليت بمطرقة الباب، وبلباقة وأدب قرعت باب الكوخ. وبعد فاصل قرعت مرة أخرى وبينما تقرع تزحزح الطرد الذى كانت تحمله تحت ذراعها الأيسر عن مكانه قليلاً فعدلته مرة أخرى. كان يحتوى على فستان شتوى أخضر للسيدة سبينلو لم تجربه بعد. كانت الآنسة بوليت تحمل حقيبة من الحرير الأسود متدلية على ذراعها الأيسر، وبها شريط قياس ووسادة ومقص كبير.

كانت الآنسة بوليت طويلة القوام هزيلة ذات أنف معقوف وشفتين مدورتين وشعر نحيل ضارب إلى اللون الرمادى. وقبل أن تقرع الباب للمرة الثالثة تريثت قليلاً، ونظرت فى الشارع فرأت شخصاً يقترب منها بسرعة، فإذا بها الآنسة هارتنل التى كانت فى الخامسة والخمسين من عمرها، وكانت ذات وجه مسفوع من حرارة الشمس. وبصوتها المعتاد صاحت قائلة: "مساء الخير يا آنسة بوليت".

فردت الخياطة والتى بدأت حياتها العملية كخادمة بصوتها الحاد الشديد وبنبرته الجميلة قائلة: "مساء الخير

يا آنسة هارتنل. معذرة! ألا تعلمين إذا ما كانت السيدة سبينلو بالمنزل أم لا؟".

فردت الآنسة هارتنل: "كلا. لا أدرى".

"يا للأسف. لقد كنت على موعد معها فى الثالثة والنصف لكى آخذ مقاسات فستانها الجديد".

فنظرت الآنسة هارتنل فى ساعة يدها قائلة: "ولكنها الثالثة والنصف وخمس دقائق الآن".

"نعم، وقد قرعت الباب ثلاث مرات. ولكن يبدو أنه لا يوجد أحد بالداخل. لذا فقد كنت أتساءل عما إذا كانت السيدة سبينلو قد خرجت ونسيت موعدها معى. على الرغم من أنها لا تنسى فى العادة مواعيدها. فضلا عن أنها تريد الفستان كى ترتديه بعد غد".

فدخلت الآنسة هارتنل عبر البوابة ومشت فى الممشى مع الآنسة بوليت نحو باب كوخ لابورنام.

وتساءلت قائلة: "لماذا لم تفتح جلاديس الباب؟ أوه، قد عرفت السبب، إن اليوم هو الخميس - يوم عطلة جلاديس. لذا فإننى أظن أن السيدة سبينلو نائمة بالداخل، وما أظن أنك قد أحدثت ضوضاء كافية بمطرقة الباب. وحينئذ أمسكت بمطرقة الباب وأخذت تقرع بقوة شديدة. وفى بعض المرات كانت المطرقة تخطئ مكانها لتقرع على ألواح الباب، وهى تنادى بصوت جهورى: "ألا يوجد أحد بالداخل".

ولم تتلق رداً.

فهمهمت الآنسة بوليت قائلة: "أوه. أعتقد أن السيدة سبينلو قد نسيت الموعد وخرجت، سأعود إليها فى وقت لاحق". وتأهبت للرحيل.

فردت الآنسة هارتنل بصرامة: "كلا. كلا. لا أظن أنها قد خرجت وإلا كنت قد قابلتها. سألقى نظرة عبر النافذة لأرى إن كانت هناك أية مؤشرات على وجود أحد بالداخل".

وضحكت ضحكتها الوردية المألوفة فى إشارة منها إلى أنها كانت تمزح وألقت نظرة روتينية سريعة على أقرب نافذة - لقد نظرت بطريقة روتينية لأنها كانت تعلم جيداً أن السيدة سبينلو وزوجها نادراً ما يجلسان بالحجرة الأمامية، بل يفضلان حجرة الجلوس الصغيرة الخلفية.

ورغم أن النظرة كانت روتينية سريعة إلا أنها حققت المقصود منها فلم تر الآنسة هارتنل أية مؤشرات على وجود أى أحياء بالداخل. بل رأت عبر النافذة السيدة سبينلو ترقد ميتة على السجادة أمام المدفأة.

وعندما بدأت الآنسة هارتنل تحكى القصة فيما بعد قالت: "وقد نجحت بالطبع فى الاحتفاظ برباطة جأشى. فقد كنت أعلم أن تلك الآنسة بوليت لن يكون لديها أدنى فكرة حيال ما يجب أن نفعله وقلت لها: "علينا أن نحتفظ بهدوئنا. ولتبقى هنا ريثما أذهب لأخبر الضابط بولك، فأخبرتنى بأنها لا تريد البقاء بمفردها، ولكنى لم أعرها اهتماماً، وذلك لأن المرء يجب أن يكون حازماً مع

تلك النوعية من الناس. ولطالما كنت أعرف أن أمثال هؤلاء يستمتعون بإثارة الجلبة والضوضاء. وحينما ذهبت قابلت زوج السيدة سبينلو قادماً بالقرب من المنزل.

وهنا توقفت الآنسة هارتنل وقفة تشويق جعلت مستمعيها يتساءلون على الفور: "أخبرينا كيف كان يبدو زوج السيدة سبينلو؟".

وحينئذ استطردت الآنسة هارتنل قائلة: "وفى الحال أحسست نحوه بالريبة، فقد كان يبدو هادئاً ولا تبدو عليه أية ملامح للدهشة. ولك أن تقول ما يحلو لك؛ فليس من الطبيعى أن يسمع رجل بموت زوجته دون أن يبدى أى نوع من الانفعال".

ووافقها الجميع فى هذا.

وكذلك الشرطة وافقتها فى ذلك أيضاً. فقد ارتابت فى ضلوع زوجها فى الأمر وعلى الفور أخذت الشرطة تحقق فى موقف السيد سبينلو حيال موت زوجته. وعندما اكتشفوا أن ثروة السيدة سبينلو تؤول إلى زوجها بموجب وصية كتبت بعد زواجهما مباشرة، ازداد ارتيابهم فى تورطه عن ذى قبل.

وبعد نصف ساعة إثر اكتشاف الجريمة تم استجواب الآنسة ماربل. كانت الآنسة ماربل امرأة عجوزًا، سليطة اللسان ـ كما يقول عنها البعض. وكانت تقطن بالمنزل المجاور لبيت رجل الدين. وقام باستجوابها الضابط بولك الذى كان بيده مفكرة يقلب صفحاتها بإبهامه فى اهتمام،

وقال: "أريد أن أطرح عليك قليلاً من الأسئلة يا سيدتى إن لم يسبب هذا إزعاجًا لك".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "بخصوص مقتل السيدة سبينلو؟".

ففزع بولك حينئذ وسألها: "هل لى أن أسألك يا سيدتى كيف عرفت ذلك؟".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "السمك".

كان ردها هذا واضحاً جلياً للضابط بولك الذى ظن أن يكون بائع السمك هو الذى أخبرها بذلك عند توصيله وجبة العشاء للآنسة ماربل. وكان ظنه صائباً.

واستطردت الآنسة ماربل فى هدوء قائلة: "لقد تم العثور عليها مشنوقة وملقاة على أرضية منزلها بحجرة الجلوس. وربما شنقت بحزام، ولكن أياً كانت وسيلة الشنق فلم يُعثر عليها".

فامتقع وجه بولك غيظاً وهو يقول: "كيف استطاع فريد الصغير هذا أن ـــ".

فقاطعته الآنسة ماربل ببراعة قائلة: "يوجد بسترتك دبوس".

فنظر الضابط بولك لأسفل، وأوجم قائلاً: "إنهم يقولون حينما ترى دبوساً ألق به بعيداً وسوف يحالفك الحظ طوال اليوم".

"أتمنى أن يكون هذا صحيحاً. ماذا تريدين أن أخبرك؟".

فتنحنح الضابط بولك، وبدت ملامح الجدية على وجهه، ثم نظر فى مفكرته وقال: "لقد ذكر لى السيد آرثر سبينلو - زوج المتوفاة - أنه فى تمام الساعة الثانية والنصف على وجه التقريب تلقى اتصالاً من الآنسة ماربل تطلب منه الحضور إليها فى الساعة الثالثة والربع لأنها تريد مشاورته فى أمر ما. فهل هذا صحيح يا سيدتى؟".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "بالطبع لا".

"ألم تجرى اتصالاً بالسيد آرثر فى الساعة الثانية والنصف؟".

"لا فى الساعة الثانية والنصف، ولا فى أى وقت آخر".

"حسناً". ثم مط الضابط بولك شاربه.

"وما الذى ذكره السيد آرثر غير ذلك؟".

"لقد ذكر أنه قد جاء إلى هنا كما طُلب منه. وأنه قد غادر منزله فى تمام الثالثة وعشر دقائق. وعندما وصل إلى هنا أخبرته الخادمة بأن الآنسة ماربل ليست فى المنزل".

فقالت الآنسة ماربل: "هذا الجزء من قوله صحيح. فقد جاء بالفعل إلى هنا. ولكنى كنت وقتها فى المعهد النسائى".

فقال الضابط بولك: "آه!".

فسألت الآنسة ماربل فى تعجب قائلة: "أخبرنى أيها الضابط: هل ترتاب فى السيد سبينلو؟".

"لا يمكننى القول بهذا فى الوقت الراهن. ولكن يبدو لى أن هناك شخصاً ما لا داعى لذكر اسمه حاول أن يبدو ماكراً بدهاء".

فقالت الآنسة ماربل باهتمام: "أتقصد السيد سبينلو؟".

كانت تحب السيد سبينلو، فقد كان رجلاً صغير الجسم، نحيلاً قوياً، مهذباً فى حديثه وسلوكه. ومن الغريب أنه قد جاء ليعيش فى الريف بعد أن قضى معظم حياته فى المدينة. ولكنه أفضى بالسبب وراء ذلك للآنسة ماربل بقوله: "منذ أن كنت غلاماً صغيراً وأنا أخطط للعيش فى الريف يوماً ما. وأنا أمتلك حديقة لولعى الشديد بالزهور. فقد كان لدى زوجتى محل للزهور، ورأيتها به لأول مرة".

وعلى الرغم من أن هذه العبارة تبدو بسيطة إلا أنها تكشف النقاب عن صورة ذهنية للرومانسية حينما تتخيل السيدة سبينلو الجميلة الصغيرة تقف والزهور من خلفها.

لم يكن السيد سبينلو فى واقع الأمر يعرف شيئاً عن الزهور، ولم تكن لديه أدنى فكرة عن البذور أو البتلات أو المساكب أو النباتات الحولية أو المعمرة. بل كانت لديه فقط رؤية أو حلم بامتلاك كوخ فى حديقة صغيرة مزروعة بالكثير من الزهور ذات الرائحة العطرة والألوان الزاهية. ودائماً ما كان يسأل الآنسة ماربل - وبشكل مثير للشفقة عن التعليمات الخاصة برعاية هذه الزهور، ثم يقوم بتدوين ردودها فى كتيب صغير.

لقد كان رجلاً له أسلوبه الخاص. وربما كانت هذه السمة هى التى جعلت الشرطة تتشبث به عندما قُتلت زوجته. وبالصبر والمثابرة عرفت الشرطة كماً لا بأس به من المعلومات عن الراحلة السيدة سبينلو، وكذلك عن قرية سانت مارى ميد.

لقد بدأت السيدة سبينلو الراحلة حياتها العملية كخادمة بمنزل كبير، ثم تركت وظيفتها هذه لتتزوج البستانى. واستطاعا معاً أن يديرا محلاً للزهور فى لندن. وازدهر المحل غير أن البستانى قد مات إثر مرض ألم به.

وأدارت أرملته المحل، وبشكل طموح قامت بتوسيعه. واستمرت فى نجاحها ثم قامت ببيع المحل بثمن لا بأس به. ثم تزوجت للمرة الثانية من السيد سبينلو وكان رجلاً فى منتصف العمر يتاجر فى المجوهرات. وكان قد ورث مشروعاً تجارياً صغيراً يعانى من تعثر شديد. ولم يمض وقت طويل حتى باعوا مشروعهم هذا، وجاءوا ليعيشوا فى قرية سانت مارى ميد.

لقد كانت السيدة سبينلو امرأة ثرية ميسورة الحال. وكما أوضحت للجميع بلا استثناء فقد قامت باستثمار الربح الذى دره عليها محل الزهور، وكانت هى تعتقد أن سبب هذا التوفيق هو اعتقادها الزائد فى الروحانيات.

وازدهرت كل استثماراتها بشكل مثير. ولكن بدلاً من أن يتزايد إيمانها بالروحانيات هجرت السيدة سبينلو الوسائط التى كانت بينها وبين الأرواح، وتركت

جلساتها، واندفعت من أعماق قلبها لتدخل ولفترة وجيزة فى أحد المعتقدات الغامضة مع جماعة من الهنود تقوم معتقداهم على أشكال متنوعة من التنفس العميق. ولكنها بعد أن وصلت إلى قرية سانت مارى ميد بإنجلترا كانت تداوم باستمرار على زيارة مقر رجل الدين، والمواظبة على حضور الصلوات بدار العبادة. وبدأت تتعامل مع المحلات بالقرية وتتابع الأحداث المحلية، وتشارك فى الألعاب التى تمارس فى القرية.

وعاشت حياتها اليومية برتابتها حتى قتلت فجأة.

كان الكولونيل ميلشيت رئيس الشرطة قد استدعى المفتش سلاك.

كان سلاك رجلاً إيجابياً، وبعدما تفكر أصبح متيقناً. وقد ازداد يقينه الآن وهو يقول: "لقد فعلها الزوج يا سيدى".

"أتعتقد هذا؟".

"بل متأكد من ذلك. وما عليك سوى أن تلقى نظرة عليه وستدرك أنه مجرم عتيد، ولم تبد عليه أية ملامح حزن أو أسى. لقد عاد إلى المنزل وهو يعلم أنها قد ماتت".

"ألم يحاول على الأقل أن يتظاهر بدور الزوج المذهول؟".

ظن أنه من المشبوهين وقرر أن يتحايل على الأمر بإظهار التوبة الصادقة".

فقال الكولونيل ميلشيت: "إن لديك عقلاً يميل إلى الشك والارتياب، وبالمناسبة هل تحدثت مع الآنسة ماربل؟".

"وما الذى يمكنها أن تفيدنا به حيال ذلك يا سيدى؟".

"لا شيء، ولكنها تسمع بما يدور. فلماذا لا تذهب وتستجوبها بدهاء فهى امرأة عجوز ذكية؟".

فغير سلاك الموضوع قائلاً: "هناك شيء واحد أريد أن أسألك عنه يا سيدى: إنها وظيفة الخدمة فى المنازل والتى بدأت بها السيدة سبينلو حياتها. وتحديداً فى منزل السير روبرت آبركرومبى والذى وقعت به حادثة سرقة المجوهرات، ولم نتوصل إلى الجانى فيها. لقد حققت فى تلك القضية، وتوصلت إلى أنها قد وقعت أثناء عمل السيدة سبينلو هناك، والتى كانت تبدو فى ذلك الوقت فتاة هادئة. ألا تعتقد أنها كانت متورطة فى تلك السرقة يا سيدى؟ لاسيما أن سبينلو كما تعرف لم يكن سوى تاجر مجوهرات تافه، يشترى الأشياء المسروقة فحسب".

فهز ميلشيت رأسه قائلاً: "لا أظن أن يكون هناك شيء من هذا قد حدث، فهى لم تكن قد تعرفت على السيد سبينلو بعد ـ وإننى لا أزال أذكر تلك القضية فقد انتهت تحقيقات الشرطة فيها إلى أن أحد أبناء السير

آبركرومبى هو الذى تورط فى تلك السرقة. وكان اسمه جيم آبركرومبى. وكان شاباً صغيراً مسرفاً، وغارقاً فى ديونه وبعد السرقة مباشرة طرد جميع العاملين بالمنزل بعد أن أخذوا أجورهم. ويقال إن امرأة ثرية من العائلة ربما تكون العجوز آبركرومبى حاولت أن تضرب سياجاً حول القضية بإبعاد الشرطة".

فرد سلاك قائلاً: " إنها مجرد فكرة لا أكثر".

استقبلت الآنسة ماربل المفتش سلاك بحفاوة كبيرة لاسيما بعد أن عرفت أن الذى أرسله هو الكولونيل ميلشيت.

"إنه حقاً لكرم بالغ من الكولونيل ميلشيت، لم أكن أعرف أنه لا يزال يتذكرنى".

"إنه لا يزال يذكرك جيداً، وقد أخبرنى أنه ما من شيء ذى أهمية يحدث بقرية سانت مارى إلا وتعرفينه".

"إن هذا حقاً لكرم بالغ منه، ولكنى فى حقيقة الأمر لا أعرف شيئاً البتة عن هذه الجريمة".

"إنك تعرفين إذن موضوع حديثنا".

"بالطبع، ولكن لا طائل من تكرار حديث ممل رتيب، أليس كذلك؟".

فرد سلاك محاولاً تلطيف الحديث قائلاً: "لن يكون حديثاً رسمياً، وإنما سيكون حديثنا هذا سراً وبشكل شخصى إذا جاز التعبير".

"هل تعنى أنك حقاً تريد أن تعرف ما يدور على ألسنة الناس بغض النظر عما إذا كان صحيحاً أم لا؟".

"بالضبط".

"حسناً، هناك أقاويل وتكهنات كثيرة وانقسم الناس على إثرها إلى فريقين متمايزين. فهناك من يرى أن الزوج هو الذى فعلها. فالزوج أو الزوجة هما أول من يشار إليهما بأصابع الاتهام. أليس كذلك؟".

فرد المفتش بحذر قائلاً: "ربما".

"وربما يرجع السبب فى ذلك كما تعلم إلى العيش فى مسكن واحد، إضافة إلى الجانب المالى. فقد ترامى إلى مسامعى أن السيدة سبينلو هى التى كانت تمتلك المال. ومن ثم فسوف يستفيد زوجها السيد سبينلو من موتها. ويؤسفنى القول بأن معظم الافتراضات القاسية يمكنك أن تجد لها مبرراً فى هذا العالم الفظيع".

"نعم كان سيئول إليه قدر لا بأس به من المال".

"تماماً هذا ما أعنيه . ومن ثم فمن المقبول ظاهراً أن يكون قد شنقها؛ بأن يخرج من المنزل من الخلف، ثم يأتى إلى منزلى عبر الحقول سائلاً عنى، ومتظاهراً بأنه قد تلقى منى اتصالاً هاتفياً، ثم يعود بعد ذلك ليجد زوجته قد قتلت أثناء غيابه عن المنزل، وهو يأمل بالطبع أن تنسب الجريمة إلى أحد لصوص المنازل".

فأومأ المفتش برأسه قائلاً: "ولكن ماذا عن المال وهل ساءت علاقتهما مؤخراً و ــــ؟".

فقاطعته الآنسة ماربل قائلة: "أوه، ولكن علاقتهما لم تكن سيئة".

"هل أنت على يقين من هذا؟".

"لو أن شجاراً وقع بينهما كان سيسمع به الجميع وكانت الخادمة جلاديس برنت ستقوم بنشره فى أرجاء القرية".

فرد المفتش قائلاً بصوت منخفض: "ولكنها ربما لم تعلم به".

فردت عليه الآنسة ماربل بابتسامة استنكار، واستطردت قائلة: "ولكن هناك من يعتقد غير ذلك ويرتاب فى تيد جيرارد، ذلك الشاب الوسيم. وأخشى أن أقول بأن الوسامة أحياناً يكون لها تأثير على الآخرين أكثر مما ينبغى. إن تيد رغم ادعائه الصلاح إلا أنه يتمتع بتأثير كتأثير السحر! فكل الفتيات كن يذهبن لحضور خطبه فى دار العبادة، فضلاً عن أن العديد من النساء العجائز أصبح لهن نشاط ملحوظ هناك على خلاف العادة. وقد أصبحن يحرصن على التأنق فى ارتداء الأحذية وأغطية الرأس كى يجذبنه إليهن! الأمر الذى وضع الشاب المسكين فى موقف حرج.

ولكن دعنى أتذكر أين توقفت فى الحديث؟ آه. نعم، عند ذلك الشاب تيد جيرارد. فقد أصبح موضع القيل والقال لدى البعض، الذين يتهمونه بأنه كان يتردد عليها كثيراً. هذا على الرغم من أن السيدة سبينلو أخبرتنى

بنفسها بأنه كان عضواً بما يسمونه حسب ظنى بمجموعة أكسفورد ذات النشاط الدينى! والتى يتسم أعضاؤها بالإخلاص والجدية، وقد أثار هذا إعجاب السيدة سبينلو".

أخذت الآنسة ماربل نفساً ثم استطردت قائلة: "إننى متأكدة أنه ليس هناك ما يجعلنا نظن أن الأمر كان أكثر من ذلك، ولكنك تعلم كيف يفكر الناس. فالكثير منهم لديه قناعة كبيرة بأن السيدة سبينلو كانت متيمة بالشاب، وأنها قد أقرضته مبلغاً كبيراً من المال. وأن البعض قد رأوه بالفعل فى محطة القطار ذلك اليوم؛ فى قطار الساعة الثانية وسبع وعشرين دقيقة. ولكن من السهولة بمكان أن يكون قد تسلل خارجاً من الجانب الآخر للقطار، عبر النفق، ثم من فوق السور، ثم دار من حول الحاجز. وبذلك فلن يرى خارجاً من مدخل المحطة حتى لا يراه أحد أثناء ذهابه إلى الكوخ - فضلاً عن أن الناس يعتقدون أن السيدة سبينلو بالطبع ترتدى ثياباً غريبة".

"غريبة؟".

فاحمر وجه الآنسة ماربل خجلاً وقالت: "لم تكن ترتدى فستاناً، بل كيمونو، والبعض يرى أن هذه الثياب ليست محتشمة".

"أتعتقدين أنها لم تكن ثياباً محتشمة؟".

"أوه. كلا. لا أعتقد هذا، بل أظن أنها ثياب مألوفة وطبيعية جداً".

"أتظنين أنها كانت ثياباً طبيعية؟".

فردت الآنسة ماربل وهى تبدو هادئة وكأنها تتأمل شيئاً: "فى هذه الأيام أظنها طبيعية للغاية".

فرد المفتش سلاك قائلاً: "إن هذا ربما يكشف لنا عن دافع آخر لغيرة الزوج".

"أوه. كلا. لم يكن السيد سبينلو غيوراً. فهو لا ينتمى لتلك النوعية من الرجال ذوى الملاحظة القوية؛ إن زوجته لو خرجت من المنزل تاركة له ورقة بذلك على الوسادة، فسوف تكون هذه هى المرة الأولى التى يعرف منها شيئاً من هذا القبيل".

أصابت المفتش سلاك الحيرة والدهشة من جراء نظر الآنسة ماربل إليه بشكل مركز. وكان يرى أن الغرض من كل حديثها التلميح إلى شيء ما لم يفهمه. وحينئذ قالت بأسلوب مؤكد: "هل عثرت على شيء ما فى مكان الحادث يقودك لحل اللغز؟".

"إن القتلة لا يتركون وراءهم آثاراً لبصمات أصابعهم، أو رماد سجائرهم فى هذه الأيام، يا آنسة ماربل".

فقالت: "ولكنى أعتقد أن هذه الجريمة جريمة نمطيّة و —".

فرد سلاك فى حدة قائلاً: "ماذا تعنين بقولك هذا؟".

فردت الآنسة ماربل ببطء قائلة: "أعتقد أن الضابط بولك يمكنه مساعدتك؛ فقد كان أول من ذهب إلى مسرح الجريمة كما يقولون".

كان السيد سبينلو جالساً على أحد المقاعد وقد ارتسمت على وجهه ملامح الذهول. وبصوته الحاد الرقيق قال: "بالطبع يمكننى أن أتخيل ما حدث. وعلى الرغم من أن سمعى لم يعد جيداً كما كان فيما مضى، إلا أننى أعتقد وبوضوح أننى قد سمعت ولداً صغيراً ينادى علىّ قائلاً: "من القاتل؟" وقد أوحى إلى ذلك أنه كان يعتقد أننى قد قتلت زوجتى العزيزة".

وبينما كانت الآنسة ماربل تقص رأس وردة ذابلة ردت بهدوء قائلة: "لقد كان يقصد بلا شك أن يوصل إليك هذا الانطباع".

"ولكن ما الذى يمكن أن يكون قد رسخ هذه الفكرة برأس طفل؟".

فسعلت الآنسة ماربل قائلة: "بالطبع من خلال سماعه لما يقوله أقاربه الكبار".

"أتقصدين حقاً أن هناك غيره من الناس يظنون ذلك أيضاً؟".

"تقريباً نصف سكان قرية سانت مارى ميد".

"ولكن يا سيدتى العزيزة، ما الذى يمكن أن يكون قد رسخ مثل هذه الفكرة؟ لقد كنت أحب زوجتى بإخلاص. كل ما هنالك أنها لم تتكيف على الحياة فى الريف بالقدر الذى كنت أتوقعه منها. ولكن الإجماع على كل شىء هو أمر مثالى يستحيل إدراكه. إننى أؤكد لك بأننى أشعر بفقدانها بحرارة".

"ربما، ولكن لو تسمح لى، دعنى أقول إن ما تبديه لا يوحى بذلك".

فاعتدل السيد سبينلو بجسده الواهن قائلاً: "سيدتى العزيزة، لقد قرأت منذ سنوات عديدة أن أحد الفلاسفة الصينيين عندما ماتت زوجته استمر وبهدوء وكالمعتاد يقرع أحد الأجراس قرصية الشكل فى الشارع - إنها عادة صينية للتسلية، وقد تعجب أهل مدينته من شدة ثباته وجلده".

فقالت الآنسة ماربل: "ولكن ردود الأفعال لدى أهالى قرية سانت مارى ميد مختلفة تماماً، ولا تروق لهم الفلسفة الصينية".

"ولكن هل فهمت ما أعنيه؟".

فأومأت الآنسة ماربل برأسها. ثم أخذت توضح قائلة: "لقد كان عمى هنرى رجلاً منضبط النفس بشكل غير عادى. وكان شعاره: "لا تُظهر انفعالاتك" وكان مولعاً بالزهور هو الآخر".

فرد السيد سبينلو باهتمام إلى حد ما قائلاً: "كنت أحلم بامتلاك تعريشة مظللة تلتف الزهور حول أعمدتها عند الجانب الغربى من الكوخ، وبها زهور قرنفلية اللون وزهرة الوستارية، وزهرة بيضاء نجمية الشكل لا يحضرنى اسمها الآن —".

وبنبرة صوتها التى تحدثت بها عن ابن أخيها البالغ من العمر ثلاث سنوات، قالت الآنسة ماربل: "لدى كتاب رائع مزود بالصور، ربما تود أن تلقى عليه نظرة ـ يجب أن أذهب إلى القرية الآن".

تركت الآنسة ماربل السيد سبينلو جالساً مستمتعاً بالكتاب في الحديقة، ثم صعدت إلى غرفتها. وبسرعة لفت فستاناً فى قطعة ورق بنى. ثم تركت المنزل وذهبت بسرعة إلى مكتب البريد. حيث تعيش الآنسة بوليت الخياطة بأعلاه.

ولكن الآنسة ماربل لم تدخل من الباب لتصعد لأعلى على الفور؛ فقد كان الوقت فى تمام الثانية والنصف. وبعد دقيقة توقفت حافلة ماش بنهام أمام مكتب البريد. وقد كان توقفها هذا هو أحد الأحداث اليومية المهمة التى تجرى بقرية سانت مارى ميد، وعلى الفور أسرعت مديرة مكتب البريد ومعها طرود تتعلق بنشاطها التجارى، وذلك لأن مكتب البريد كان يتعامل أيضاً فى بيع الحلوى، والكتب الرخيصة ولعب الأطفال.

وظلت الآنسة ماربل بمفردها فى مكتب البريد لحوالى ربع دقائق.

ولم تكد مديرة مكتب البريد تعود إلى موقعها حتى صعدت الآنسة ماربل إلى الطابق الثانى، وأخذت توضح للآنسة بوليت أنها تريد منها أن تقوم بتعديل فستانها الكريب القديم ذى اللون الرمادى ليصبح مسايراً للموضة إن كان ذلك ممكناً ووعدتها الآنسة بوليت بعمل اللازم.

اندهش رئيس الشرطة حينما أُعلِم بحضور الآنسة ماربل. ودخلت إليه تعتذر كثيراً وهى تقول: " معذرة للغاية إن كنت قد أزعجتك. ورغم أننى أعلم أنك مشغول للغاية إلا أننى أشعر بأنه يجب علىّ أن آتى إليك بدلاً من أن أذهب للمفتش سلاك. لقد جئت لأننى لا أود أن يقع الضابط بولك فى مشكلة من أى نوع. إننى أعتقد أنه ما كان ينبغى عليه أن يلمس شيئاً على الإطلاق".

وبدهشة وذهول رد الكولونيل ميلشيت قائلاً: "بولك؟ إنه الشرطى المسئول عن قرية سانت مارى ميد. ماذا فعل؟".

"لقد التقط دبوساً، وكان فى سترته. فتراءى لى حينها أنه ربما قد التقطه بالفعل من منزل السيدة سبينلو".

"تماماً. تماماً. ولكن ما المهم فى ذلك. إنه مجرد دبوس؟ لقد التقط الدبوس بالفعل من جوار جثة السيدة

سبينلو. وقد أخبر سلاك بذلك أمس وأعتقد أنك أخبرته بذلك، ورغم أنني أتفق معك أنه ما كان ينبغي عليه أن يلمس شيئاً، إلا أنه مجرد دبوس. فما الذي يمكن أن يحدثه الدبوس؟ إنه ليس إلا دبوساً عادياً، أحد تلك الأشياء التي يمكن لأى امرأة أن تستخدمها".

"أوه. كلا أيها الكولونيل ميلشيت. إنك مخطئ في هذا. ربما يكون الدبوس عادياً من وجهة نظر الرجال. ولكنه لم يكن كذلك. لقد كان دبوساً من نوع خاص، ذا سن رفيع مدبب، إنه من نوعية تلك الدبابيس التي تستخدمها الخياطات".

فحدق إليها ميلشيت، وقد بدأ يتضح له الأمر شيئاً فشيئاً، بينما أخذت الآنسة ماربل تومئ برأسها عدة مرات باهتمام.

"نعم إن الأمر يبدو لي جلياً. لقد كانت ترتدي الكيمونو لأنها كانت على وشك أن تقيس فستانها الجديد، وذهبت إلى الحجرة الأمامية. وقد ذكرت الآنسة بوليت شيئاً فيما يتعلق بأخذ المقاسات وكانت تضع شريط القياسات حول رقبتها. والآن كل ما كان عليها أن تفعله هو أن تغرز الدبوس ثم تنزعه مرة ثانية بكل سهولة، كما سمعت. ثم تخرج وتغلق الباب وتقف هناك لتقرع وكأنها قد وصلت لتوها. ولكن الدبوس يدل على *أنها كانت بداخل المنزل بالفعل*".

"وهل كانت الآنسة بوليت هي التي قامت بالاتصال بالسيد سبينلو؟".

"نعم. اتصلت من مكتب البريد في تمام الثانية والنصف وقت وصول الحافلة، في هذا الوقت يكون مكتب البريد خالياً".

فرد الكولونيل ميلشيت قائلاً: "ولكن بحق السماء يا عزيزتي ماربل. ما الدافع إلى هذا؟ لا توجد جريمة قتل بلا دافع".

"حسناً. أعتقد يا كولونيل ميلشيت، ومن خلال ما سمعت، أن الدافع إلى الجريمة يرجع إلى زمن بعيد. إنها تذكرني بابني عمي، أنتوني وجوردون. لم يكن أنتوني يفعل شيئاً إلا ويأتي بفائدة عليه. على العكس من المسكين جوردون الذي كان يخسر دائما في سباق الأحصنة وهبطت أسهمه ودمر كل شيء وضاعت ممتلكاته. وهكذا أيضاً حال المرأتين؛ أرى أنهما قد تورطتا في الأمر معاً".

"في أي شيء تقصدين؟".

"في تلك السرقة التي وقعت منذ زمن طويل. أعني سرقة المجوهرات الثمينة كما سمعت. لقد تورطت فيها الوصيفة والخادمة. وذلك لأن هناك شيئاً لم يتم تفسيره وهو: عندما تزوجت الخادمة من البستاني، هل كان لديهما من المال ما يكفي لامتلاك محل للزهور؟".

"والجواب على هذا يكمن في نصيبها من الغنيمة المسروقة، كما يجب أن تسمى. إن كل شيء كانت تفعله

كان يسير فى مساره الصحيح ويعود عليها بالفائدة، والمال يأتى بالمال. ولكن ماذا عن الأخرى؟ أعنى: الوصيفة. من المؤكد أنها لم يحالفها الحظ. وآل بها الحال إلى أن تصبح مجرد خياطة بقرية. ثم تقابلا مرة ثانية. ويبدو الأمر طبيعياً لأول وهلة إلى أن ظهر تيد جيرارد على الساحة.

لقد كانت السيدة سبينلو كما تعلم تشعر بوخز ضميرها، وكانت تميل إلى أن تصبح امرأة متدينة. ومن المؤكد أن هذا الشاب قد حثها على أن تواجه الأمر ببسالة وأن تتطهر مما اقترفته، ويمكننى القول إنها قد دفعت إلى ذلك. ولكن الآنسة بوليت لم تكن ترى الأمر من هذا المنظور. وإنما كل ما تراءى لها أنه من الممكن أن يزج بها فى السجن لارتكابها سرقة منذ سنوات عديدة. ومن ثم فقد عزمت على وضع نهاية للأمر برمته. ويؤسفنى أن أقول بأنها كانت امرأة شريرة على الدوام، وما كان ليهتز لها جفن لو أن السيدة سبينلو الهادئة الحمقاء قد شنقت".

فرد الكولونيل ميلشيت ببطء قائلاً: "يمكننا التحقق من صحة نظريتك، إن هوية تلك المدعوة بوليت مع الوصيفة بمنزل آبركرومبى ـــ".

فقاطعته الآنسة ماربل مطمئنة إياه قائلة: "سيكون الأمر سهلاً للغاية. فهى تنتمى إلى نوعية تلك النساء اللاتى يصبن بالانهيار بمجرد مواجهتهن بالحقيقة. وقد حصلت على شريط القياس الخاص بها أمس عندما كنت أجرب الفستان، وعندما افتقدته ظنت أنه قد وقع فى

أيدى الشرطة. إنها امرأة حمقاء؛ فسوف تظن بأن الشريط سيثبت القضية عليها بطريقة ما".

ثم ابتسمت مشجعة إياه وهى تقول: "لن تواجهك أية مشكلة. فها أنا أؤكد لك ذلك". كانت نبرة صوتها هذه تشبه نبرة صوت عمته حينما أكدت له ذات مرة وهى مطمئنة أنه لن يخفق فى اجتياز امتحان القبول بساندهيرست.

وقد اجتازه.

قضية الخادمة المثالية

"أتسمحين لى بالحديث معك للحظة يا سيدتى؟".

ربما بدا هذا الطلب ضربًا من السخافة، لأن إدنا ـ خادمة الآنسة ماربل الصغيرة ـ كانت تتحدث بالفعل مع سيدتها فى هذه اللحظة.

ومع هذا ردت الآنسة ماربل مشجعة لخادمتها مدركة المفارقة: "بالطبع يا إدنا، ادخلى وأغلقى الباب خلفك، ماذا تريدين؟".

وعلى الفور أغلقت إدنا الباب، ودخلت الحجرة وهى تطوى طرف مئزرها بين أصابعها، ثم ازدردت لعابها مرة أو مرتين.

فقالت الآنسة ماربل لتحثها على الحديث: "ماذا لديك يا إدنا؟".

"إن الأمر يتعلق بابنة عمى، جلاديس".

فردت الآنسة ماربل فى دهشة، وقد شطح خيالها نحو الظن السيئ قائلة: "أوه. ماذا بها؟ هل وقعت فى مأزق؟".

فسارعت إدنا لتطمئنها قائلة: "كلا. كلا يا سيدتى ليس الأمر من هذا القبيل، كما أن جلاديس ليست هكذا ولكنها غاضبة حزينة؛ فقد فقدت وظيفتها".

"يؤسفنى أن أسمع هذا، لقد كانت تعمل لدى الآنسة سكينر فى أولد هول، أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدتى، تمامًا كما تقولين؛ ولذلك فإن جلاديس حزينة فى واقع الأمر للغاية".

"لقد غيرت جلاديس أماكن عملها كثيرًا مؤخرًا ـ أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدتى. إنها دائمًا ما تغير أماكن عملها. ولم يحدث أن شعرت باستقرار حقيقى فى مكان ما، ولكنها دائمًا ما تُعْلِم مخدوميها بالرحيل قبل أن تتركهم".

فتساءلت الآنسة ماربل قائلة: "ولكن العكس هو ما حدث هذه المرة، أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدتى، وهو ما أحزن جلاديس للغاية".

بدت الآنسة ماربل مندهشة بعض الشيء، وهى تتذكر جلاديس التى كانت تأتى إلى المطبخ فى أيام عطلتها لتحتسى الشاى؛ لقد كانت فتاة جريئة مرحة رزينة.

واستطردت إدنا قائلة: "إن ما أحزنها هى الطريقة التى تركت بها العمل، إنها حزينة من نظرة الآنسة سكينر للأمر".

فتساءلت الآنسة ماربل على الفور: "وكيف كانت الآنسة سكينر ترى الأمر؟".

وحينئذ تأهبت إدنا لتحكى نشرة أخبارها:

"لقد أصيبت جلاديس بصدمة عنيفة لم تتعرض لها من قبل يا سيدتى؛ فقد فُقِد أحد دبابيس الزينة الخاصة بالآنسة إيميلى، وعلى إثر هذا حدثت ضجة كبيرة ليس لها مثيل. وكما تعلمين يا سيدتى فإن حدوث أمر كهذا هو شىء مزعج للغاية، وعلى أية حال فقد اشتركت جلاديس فى البحث عن الدبوس فى كل مكان، وقالت الآنسة لافينيا بأنها سوف تبلغ الشرطة، ولكنها تراجعت حينما تم العثور عليه بمؤخرة أحد أدراج الخزينة، وحمدت جلاديس الله لهذا".

"وفى اليوم التالى مباشرة كُسِر أحد الأطباق فاستشاطت الآنسة لافينيا غضبًا، وأمرت جلاديس بأن تترك المنزل، فى نهاية الشهر؛ وقد شعرت جلاديس بأن الأمر لا يتعلق بالطبق، وإنما اتخذت الآنسة لافينيا ذلك ذريعة لطردها، وأنها على يقين من أن الأمر يتعلق بدبوس الزينة؛ فهم يعتقدون بأنها قد أرجعت الدبوس عندما سمعت باستدعاء الشرطة. ولكن من المستحيل أن تفعل جلاديس هذا، والآن فهى تخشى أن يشاع الأمر وتتلطخ سمعتها، وأنت تعلمين يا سيدتى قدر وأهمية السمعة لدى الفتاة".

فأومأت الآنسة ماربل برأسها، وعلى الرغم من أنه لم يكن يروق لها تبجح وغرور جلاديس إلا أنها كانت على

يقين إلى حد ما من أمانة الفتاة، وأنها قد انزعجت من الحادثة.

فقالت إدنا بحزن: "أليس بمقدورك أن تفعلى شيئًا حيال هذا الأمر يا سيدتى؟ إن جلاديس حزينة للغاية".

فردت الآنسة ماربل بحدة قائلة: "أخبريها ألا تكون سخيفة، وإذا لم تكن قد أخذت الدبوس - وأنا متأكدة من ذلك - فليس لديها إذن مبرر لقلقها".

فردت إدنا بكآبة قائلة: "ولكن الشائعات ستنتشر".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "سأمر بعد الظهر وأتحدث مع آل سكينر".

فشكرتها إدنا.

كان منزل أولد هول أحد المنازل الكبيرة ذات الطراز الفيكتورى المحاطة بالأشجار الكثيفة، وكان قد أعلن عنه أنه لا يؤجر ولا يباع، ولكن أحد المضاربين المغامرين قام بتقسيمه إلى أربع شقق مزودة بنظام مركزى للماء الساخن، على أن يتم الانتفاع بالأرض المحاطة به فيما بين السكان، وقد لاقت هذه التجربة قبولاً ورضا، وبالشقة الأولى، كانت تسكن امرأة عجوز ثرية غريبة الأطوار، ومعها خادمتها، وقد كانت هذه العجوز مولعة بنثر الحب للطيور كل يوم، وفى الشقة الثانية، كان يسكن أحد القضاة الهنود المتقاعدين ومعه زوجته، أما الشقة الثالثة

فقطنها زوجان حديثا الزواج، وتم تسكين الشقة الرابع منذ شهرين فقط لآنستين تحملان اسم سكينر؛ ولأنه لم يكن هناك شىء مشترك بين سكان الشقق الأربع فلم تكن هناك أيضًا علاقات متبادلة فيما بينهم، ويقال إن مالك العقار كان مسرورًا بذلك؛ فقد كان يخشى من نشأة الصداقات وما يليها من قدوم الأغراب؛ ومن ثم الشكاوى المتتالية.

وعلى الرغم من أن الآنسة ماربل لم تكن تعرف أحدًا منهم بعينه جيدًا، إلا أنها قد تعرفت على جميع السكان، وكانت الآنسة لافينيا سكينر هى العضو العامل بهذه الأسرة، أما أختها الأصغر الآنسة إيميلى فقد كانت تقضى معظم وقتها طريحة الفراش وهى تعانى من أمراض متنوعة، غير أن سكان سانت مارى ميد كانوا يرون هذه الأمراض أمراضًا تخيلية إلى حدٍ كبير، ولم يكن هناك سوى الآنسة لافينيا التى كانت تصدقها بقوة وتقدر كل ما تعانيه أختها؛ ومن ثم فقد كانت تجوب القرية بحثًا عن أشياء تتوق إليها أختها فجأة.

كان سكان سانت مارى ميد يرون أنه لو كان بالآنسة إيميلى بالفعل نصف ما تقوله لكان عليها أن تذهب للفحص عند الدكتور هايدوك منذ وقت طويل، ولكن الآنسة إيميلى حينما شعرت بذلك أغلقت عينيها فى سمو وترفع وهمهمت قائلة إن حالتها ليست بالحالة السهلة؛ فقد حار فيها أفضل الإخصائيين فى لندن، ولكن رجلاً رائعًا قد وضعها تحت برنامج علاجى مكثف، وهى تأمل

أن تتحسن حالتها الصحية إثر هذا النظام العلاجى، ولا حالتها لا يفهمها مجرد طبيب ممارس عام.

وقالت الآنسة هارتنل بصوتها الجهورى: "أرى أنها قد تصرفت بحكمة حينما رفضت الذهاب إلى الدكتور هايدوك، والذى ما كان سيزيد على أن يقول لها بطريقته المرحة إنها لا تعانى من شىء، وأن عليها أن تنهض ولا تحدث حولها جلبة".

وبهذه الحال استمرت الآنسة إيميلى طريحة الفراش ومن حولها علب الحبوب الصغيرة والغريبة، وترفض أن تتناول تقريبًا كل ما يُعَدُّ لها من طعام، وتطلب شيئًا ما يكون فى العادة صعبًا عزيز المنال.

فتحت جلاديس الباب للآنسة ماربل، كانت جلاديس تبدو كئيبة أكثر مما ظنت الآنسة ماربل، ونهضت الآنسة لافينيا لتستقبل الآنسة ماربل بحجرة الجلوس ــ التى كانت تمثل ربع مساحة حجرة الاستقبال فيما مضى؛ فقد قسمت لتضم حجرة طعام، وحجرة الاستقبال، وحماما، ودولابًا لخادمة المنزل.

كانت لافينيا سكينر امرأة هزيلة نحيلة فى العقد الخامس من عمرها، كان لها صوت أجش وأسلوب فظ جاف.

قالت: "مرحبًا. لقد سررنا بلقائك، إن المسكينة إيميلى طريحة الفراش بالداخل وحالتها سيئة اليوم، وإننى لآمل أن تتمكنى من رؤيتها فسوف يبهجها هذا كثيرًا، ولكنها تغيب عن وعيها ولا تشعر بأحد؛ فالمسكينة مريضة للغاية".

تعاملت الآنسة ماربل بلباقة، ولأن موضوع الخدم كان يمثل الجانب الأساسى فى المحادثات بقرية سانت مارى ميد فلم تكن هناك صعوبة فى أن تجرى المحادثة فى هذا السياق، فقالت الآنسة ماربل بأنها قد سمعت برحيل تلك الفتاة الجميلة جلاديس هولز.

فأومأت الآنسة لافينيا برأسها قائلة: "بعد أسبوع من الأربعاء القادم؛ إنها تكسر الأشياء، ولا أستطيع أن أتحمل ذلك".

فتنهدت الآنسة ماربل وقالت إننا يجب أن نتحمل ونصبر، فقد كان من الصعوبة بمكان أن نحصل على خادمات بالريف، فهل الآنسة سكينر تعتقد حقًا أنه من الحكمة أن تتخلى عن جلاديس؟

أقرت الآنسة لافينيا بذلك قائلة: "أعرف أنه من الصعب الحصول على خادمات، فحتى الآن لم تستطع عائلة ديفيرو الحصول على خادمة، ودائمًا ما يتشاجران، إنهما كذلك يستمعان إلى موسيقى الجاز طوال الليل، كما أنهما يتناولان الوجبات فى أى وقت، إن تلك الفتاة لا تعرف شيئاً من أمور تدبير المنزل وإننى لأشعر بالشفقة

على زوجها! ومنذ وقت ليس ببعيد فقدت عائلة لاركينز خادمتهم، ومن المؤكد أن السبب وراء ذلك هو القاضى الهندى بمزاجه المتقلب، فدائمًا ما يطلب أشياء غريبة حتى فى السادسة صباحًا، كما أن السيدة لاركينز هى الأخرى دائمًا ما تُحدِث جلبة، وعلى الرغم من أن جانيت خادمة السيدة كارميكيل يقال عنها إنها رزينة، إلا أننى أرى أنها امرأة مشاكسة للغاية، ودائمًا ما تضايق السيدة العجوز".

"ألا تعتقدين إذن أنك يجب أن تعيدى النظر فى قرارك بشأن جلاديس؟ إنها فتاة جيدة، فأنا أعرف أسرتها، فهى أسرة أمينة ورفيعة المقام".

فهزت الآنسة لافينيا رأسها وقالت بجدية: "إن لدىَّ أسبابى التى تدفعنى إلى ذلك".

فهمهمت الآنسة ماربل قائلة: "لقد فقدْتِ أحد دبابيس الزينة. إننى أرى أنه ــ".

"ومن أخبرك بهذا؟ أظن أنها هى التى أخبرتك. دعينى أقول لك بصراحة إننى شبه متيقنة من أنها أخذته، ثم شعرت بالخوف بعد ذلك فأرجعته، ولكن بالطبع لا يمكن للمرء أن يدعى شيئاً إلا إذا تيقن منه". ثم غيرت موضوع الحديث قائلة: "تعالى لترى الآنسة إيميلى فأنا متأكدة من أن هذا سيجعلها تتحسن".

وبهدوء تبعت الآنسة ماربل لافينيا التى قرعت أحد الأبواب ففُتِح، وأدخلت ضيفتها فى أفضل غرف الشقة،

وكانت هذه الغرفة ذات ضوء خافت، فقد شُدَّت ستائر نوافذها بعض الشىء لتحجب الضوء، وبالغرفة كانت الآنسة إيميلى راقدة فى فراشها وتبدو مستمتعة بضوء الحجرة الخافت وبمعاناتها المعروفة.

كانت تبدو فى ضوء الحجرة الخافت مخلوقة نحيلة هزيلة بشعرها الأصفر الضارب إلى اللون الرمادى، والذى بدا ملفوفًا حول رأسها بشكل مجعد غير مرتب وكأنه عش طير؛ لا يدعو حتى صاحبه لأن يفخر به، كانت الحجرة معبقة بمزيج من رائحة عطر قوى، ومخبوزات فاسدة والكافور.

وبعين نصف مغلقة، وبصوت رفيع واهن أوضحت الآنسة إيميلى أنها تمر بيوم سيئ.

وأخذت تهذى وتقول: "إن أسوأ ما فى المرض أن يشعر المرء بأنه يمثل عبئاً على الآخرين من حوله، إن لافينيا تعاملنى بشكل جيد للغاية، معذرة يا عزيزتى لافى، لا أحب أن أسبب إزعاجًا لك، ولكن ليت زجاجة الماء الساخن الخاصة بى كانت ممتلئة عن آخرها كما أحب فإنها إن كانت ممتلئة بشكل زائد على الحد تصيبنى بالتوتر ولا أستطيع تحملها، وعلى النقيض من ذلك، إذا لم تكن مملوءة عن آخرها فإنها سرعان ما تبرد!".

"معذرة يا عزيزتى. أعطنى إياها، وسوف أفرغ منها شيئًا يسيرًا".

"بما أنك ستفعلين هذا أتستطيعين إعادة ملئها؟. ألا يوجد بقسماط فى المنزل؟ كلا. كلا. حسنا. لا، أريد... بعضًا من الشاى الخفيف بالليمون. ألا يوجد ليمون؟ كلا. كلا. لا أستطيع أن أشرب الشاى بدون الليمون. أعتقد أن اللبن قد تغير طعمه قليلاً هذا الصباح. لقد جعلنى أكره تناول الشاى باللبن، لايهم يمكننى الاستغناء عن الشاى. إننى فقط أشعر بأننى واهنة للغاية، يقال عن المحار إنه مغذٍ، أتساءل إن كنت أستطيع الحصول على قليل منه؟! كلا لقد أشرف النهار على الزوال، ومحاولة الحصول عليه ستسبب مشقة كبيرة. يمكننى أن أصوم حتى الغد".

تركت لافينيا الحجرة وهى تهمهم بشىء غريب عن ركوب الدراجة والذهاب إلى القرية.

وبابتسامة واهنة لضيفتها قالت الآنسة إيميلى إنها لا تحب إزعاج الآخرين.

وأخبرت الآنسة ماربل إدنا بأن جهودها هذا المساء قد باءت بالفشل.

وقد أحزنها سماع الشائعات تجوب القرية حول عدم أمانة جلاديس.

وفى مكتب البريد تحدثت الآنسة ويذربى معها بصراحة قائلة: "عزيزتى جين، لقد منحوها شهادة حسن سير وسلوك مكتوبة تقول إن لديها الرغبة فى العمل، وإنها متزنة ومهذبة، ولكنهم لم يذكروا شيئًا فيما يتعلق بالأمانة. وهذا يبدو لى أمرًا مهمًا للغاية! لقد سمعت بوقوع

مشكلة بسبب أحد دبابيس الزينة، وإننى لأعتقد أن هناك شيئاً ما وراء هذا الأمر؛ وذلك لأن أحدًا لا يتخلى عن خادمته هذه الأيام إلا إذا كان هناك شىء خطير وسوف يجدون صعوبة بالغة فى الحصول على خادمة أخرى؛ وذلك لأن الفتيات ببساطة لن يذهبن إلى أولد هول، إنهن يتضايقن من العمل فى أيام عطلتهن، وسوف ترين هذا؛ فلن تتمكن الآنسة سكينر وأختها من العثور على خادمة أخرى، وحينئذ فربما ستضطر تلك الأخت المسكينة المصابة بوسواس المرض أن تنهض من فراشها للعمل!".

ألمّت بالقرية دهشة عظيمة إثر الإعلان عن قيام الآنسة لافينيا وأختها باستقدام إحدى الخادمات من أحد مكاتب التوظيف، وأنها بكل المقاييس خادمة نموذجية ومثالية للغاية.

"إن لديها شهادة حسن سير وسلوك لثلاث سنوات تشهد بأن هذه الخادمة تفضل الريف وتتقاضى أجرًا أقل مما تتقاضاه جلاديس؛ إننى أشعر حقًا بأن الحظ قد حالفنا".

فقالت الآنسة ماربل للآنسة لافينيا وهما تتحدثان فى متجر الأسماك: "ولكن هذا أجمل من أن يكون صحيحاً".

وأجمع سكان سانت مارى ميد على أن الخادمة المثالية سوف تحجم فى اللحظة الأخيرة وتنقض اتفاقها ولن تصل.

ولكن هذه التكهنات لم تتحقق، ورأى سكان القرية بأعينهم تلك المعجزة المعروفة باسم مارى هيجنز وهي تستقل إحدى سيارات تاكسى ريد عبر القرية، وفي طريقها إلى أولد هول. كانت تبدو حسنة المنظر، مهذبة للغاية، أنيقة الملبس.

وفى الزيارة للآنسة ماربل لأولد هول بمناسبة إحضار كراسى لدار العبادة فتحت مارى هيجنز الباب؛ كانت تبدو خادمة على قدر كبير من الجمال، فى حوالى الأربعين من عمرها على وجه التقريب، ولها شعر أسود أنيق، وخدود حمراء، وقوام ملفوف، كانت ترتدى ملابس سوداء محتشمة مع مئزر أبيض وغطاء للرأس، كانت تبدو خادمة من الطراز العتيق الحسن، كان صوتها متزنا غير جهورى ويتسم بالتهذيب ويختلف اختلافا كبيرًا عن صوت جلاديس الصاخب.

كانت الآنسة لافينيا تبدو هادئة بعض الشيء على غير العادة، وعلى الرغم من أنها أبدت أسفها لعدم تمكنها من إحضار أحد المقاعد بسبب ملازمتها لأختها إلا أنها عرضت التبرع ببعض المال للدار، ووعدت بأنها ستقوم بإرسال مجموعة من الأقلام والجوارب للأطفال.

وعلقت الآنسة ماربل على عظيم كرمها:

"إننى أشعر بامتنان كبير لمارى، كما أننى سعيدة للغاية بالتخلص من تلك الفتاة؛ إن مارى حقا لا تقدر بثمن، فهى تطهو الطعام بشكل جيد، وتحافظ على نظافة

شقتنا الصغيرة بشكل رائع ودقيق، كما أنها تقوم بترتيب الفراش كل يوم، وهى كذلك تحسن معاملة إيميلى للغاية".

فتساءلت الآنسة ماربل بسرعة عن إيميلى.

"يا للمسكينة. لقد أصبحت مؤخرًا مهووسة بالحديث عن الطقس، ولا تتوقف عن ذلك، فضلا عن أنها فى بعض الأحيان تصعِّب الأمور، فهى تطلب أطعمة بعينها، وعندما نأتى إليها بالأطعمة تقول إنها ليست لديها شهية للطعام الآن، وبمجرد أن تمضى نصف ساعة تعود لتطلب نفس الأشياء مرة ثانية، بعد أن تكون الأطعمة قد فسدت بالطبع؛ فنضطر إلى إعدادها مرة أخرى. إن طلباتها فى الحقيقة كثيرة للغاية، ولكن لحسن الحظ أن مارى لا تبدى اعتراضًا مطلقًا؛ فمن الواضح أنها معتادة على خدمة المرضى العاجزين، وتقول بأنها تتفهم ما يحتاجون إليه، إنها حقا إنسانة مريحة للغاية".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "لقد حالفك الحظ يا عزيزتى".

"نعم بالطبع. إننى لأشعر أن الله قد أغاثنا بمارى".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "إنها تبدو مثالية على نحو لا يصدق، ولو أنى مكانك لاتخذت قليلاً من الحذر".

لم تستطع لافينيا أن تدرك مغزى هذه الملاحظة فقالت: "أوه! إننى أؤكد لك أننى أفعل ما بوسعى كى

تشعر بالراحة، فأنا لا أدرى ما الذى أفعله إن رحلت عنا".

فردت الآنسة ماربل وهى تحدق فى مضيفتها بقوة قائلة: "لا أعتقد أنها سترحل إلا حينما تكون على أهبة الاستعداد لذلك".

فردت الآنسة لافينيا قائلة: "كم أتمنى لو أن المرء ليس لديه ما يشغل باله من الأعباء المنزلية. كيف حال خادمتك الصغيرة إدنا معك؟".

"إنها تبلى بلاءً حسنا، ولكنها بالطبع ليست كخادمتك مارى، غير أننى أعرف كل شىء عنها؛ فهى فتاة قروية".

وبينما خرجت إلى الردهة سمعت المريضة العاجزة تصيح قائلة: "لقد أصبحت هذه المرطبة جافة، وقد أوصى الدكتور آليرتون مشددًا على تجديد الرطوبة باستمرار. ضعيها هناك، هناك. دعيها. أريد كوبًا من الشاى مع بيضة مسلوقة، وتذكرى ألا تسلقى البيضة لأكثر من ثلاث دقائق فقط. أرسلى لى الآنسة لافينيا".

وعلى التو خرجت مارى ذات الكفاءة العالية من غرفة النوم وقالت للآنسة لافينيا: "إن الآنسة إيميلى تريدك يا سيدتى"، ثم تقدمت لتفتح الباب للآنسة ماربل، وبأسلوب رفيع مهذب ساعدتها على ارتداء معطفها وقدمت لها مظلتها.

أخذت الآنسة ماربل المظلة، فوقعت منها. وحينما انحنت لتلتقطها سقطت منها حقيبتها؛ فانحنت مارى بأدب لتعيد إلى الحقيبة ما تناثر منها؛ منديلا، ودفتر مواعيد، وحافظة نقود من الجلد ذات طراز عتيق، وشلنين، وثلاثة بنسات، وقطعة من كراميل النعناع منزوعة الغلاف.

فتلقت الآنسة ماربل قطعة الكراميل بدهشة قائلة:

"من المؤكد أن ابن السيدة كليمنت هو الذى وضعها هنا. إننى لا أزال أذكر أنه كان يمص فيها، ثم أخذ حقيبتى ليلعب بها. فمن المؤكد أنه وضعها بها. إنها لزجة. أليس كذلك؟".

"هل أنزعها يا سيدتى؟".

"أيمكنك ذلك؟ شكرًا جزيلا لك".

ثم انحنت مارى لتعيد إلى الحقيبة آخر ما تناثر منها؛ مرآة صغيرة. وحينما رأتها الآنسة مارى صاحت فى دهشة قائلة: "لحسن الحظ أنها لم تنكسر".

ثم انصرفت، بينما ظلت مارى واقفة بالباب، ممسكة بقطعة الكراميل منزوعة الغلاف دون أن تبدو على وجهها أية ملامح تعبيرية.

ولعشرة أيام ظلت قرية سانت مارى ميد تتناقل الكلام عن مميزات خادمة الآنسة لافينيا والآنسة إيميلى الرائعة.

وفى اليوم الحادى عشر استيقظت القرية على حادث صادم.

لقد اختفت مارى ـــ الخادمة المثالية ـــ وتبين أنها لم تبت فى فراشها، وعُثر على الباب الأمامى مواربًا. لقد تسللت بهدوء تحت جنح الظلام.

ولم تكن مارى وحدها هى التى اختفت، بل اختفى معها أيضًا اثنان من دبابيس الزينة، وخمسة خواتم للآنسة لافينيا، فضلاً عن ثلاثة خواتم، وقلادة، وسوار، وأربعة دبابيس زينة للآنسة إيميلى.

ولم يكن ذلك سوى جزء يسير من الكارثة!

فقد فقدت السيدة ديفرو حليها الماسية التى كانت تحتفظ بها بأحد الأدراج غير المغلقة، بالإضافة إلى بعض الفراء الثمين الذى كان قد أُهْدِى إليها فى زفافها، وكذلك سُرقَت مجوهرات القاضى وزوجته، ومبلغ من المال، أما السيدة كارميكيل فقد كانت الأكثر تضررًا؛ فلم تكن تحتفظ فى شقتها ببعض من الحلى الثمين فقط، بل كانت أيضًا تحتفظ بمبلغ كبير من المال سُرق هو الآخر، لقد كانت تلك الليلة هى راحة جانيت، بينما كانت السيدة كارميكيل تتجول كعادتها عند الغسق حول الحدائق، وهى تنادى على الطيور لتنثر لها بقايا الطعام. وقد بدا

واضحًا أن الخادمة المثالية مارى كان لديها مفاتيح تفتح جميع الشقق.

ولأن الآنسة لافينيا كانت كثيرًا ما تتفاخر وتتباهى بخادمتها الرائعة ـــ فلابد من القول إن أهالى سانت مارى ميد قد أمسوا شامتين بها.

"ولم تكن فى الحقيقة إلا سارقة وضيعة!".

وتوالت الاكتشافات المثيرة، فمارى لم تختف دون أن يعثر لها على أثر فحسب، بل إنّ المكتب الذى جاء بها والذى ضمن أوراق اعتمادها قد ذُهل حينما اكتشف أن مارى هيجنز التى تقدمت لديهم للعمل، والتى أيدوا شهادة حسن السير والسلوك الخاصة بها، ليس لها وجود، وأن الاسم كان يخص خادمة أخرى كانت تعيش مع أخت لأحد رجال الدين، ولكن مارى هيجنز الحقيقية كانت تنعم بهدوء فى مكان ما فى كورنوول.

وأقر المفتش سلاك قائلاً: "لقد دُبر الأمر بدهاء، ولكننى أرى أن تلك المرأة تعمل لدى عصابة، وقد كانت هناك قضية تشبه هذه القضية كثيرًا فى نورثمبرلاند منذ عام، ولم يتم العثور على أى أثر للممتلكات والأمتعة، كما أنه لم يتم القبض على من قامت بالسرقة، ولكننا هنا فى ماش بنهام سنبذل قصارى جهدنا وبشكل أكثر مما تم فى الحالة السابقة!".

كان المفتش سلاك رجلاً واثقًا من نفسه دائمًا.

ولكن مرت الأسابيع ولم يتم العثور على مارى، وعبثاً ضاعف المفتش سلاك من نشاطه الذى كان يناقض اسمه الذى يعنى شخصاً كسولاً.

أما الآنسة لافينيا فقد ظلت تذرف الدموع، بينما شعرت الآنسة إيميلى باستياء بالغ، وأحست بأن حالتها الصحية تستدعى الذهاب إلى الدكتور هايدوك.

كانت القرية بأكملها تتوق إلى معرفة رأى الدكتور هايدوك إزاء ادعاءات الآنسة إيميلى باعتلال صحتها، ولكنهم بالطبع لم يسألوه عن ذلك، إلا أن بعضًا من المعلومات المرضية قد انتشر من خلال السيد ميك مساعد الطبيب والذى كان على علاقة غرامية مع كلارا خادمة السيدة برايس ريدلى؛ فقد عُرف آنذاك بأن الدكتور هايدوك قد وصف للآنسة إيميلى مزيجًا من الحلتيت والناردين والذى يقول عنه السيد ميك إنه كان يُستَخدَم فى الجيش كعلاج للمتمارضين!

ثم عُرف بعد ذلك أن الآنسة إيميلى أصبحت غير راضية عن الرعاية الطبية التى كانت تتلقاها، وأنها تقول إنها تشعر بأن من واجبها ـ إثر حالتها الصحية ـ أن تذهب إلى لندن لتكون قريبة من ذلك الإخصائى الذى يفهم حالتها، وإن هذا سيكون تخفيفًا عن لافينيا.

وتم إعداد الشقة لعرضها للإيجار من الباطن.

لم تمض سوى أيام قليلة بعد هذه الأحداث، ثم ذهبت الآنسة ماربل غاضبة ثائرة إلى قسم الشرطة فى ماش بنهام وطلبت مقابلة المفتش سلاك.

لم تكن الآنسة ماربل تروق للمفتش سلاك، ولكنه كان يدرك أن رئيس الشرطة الكولونيل ميلشيت لا يشاركه ذلك الرأى؛ ومن ثَمَّ فقد استقبلها على مضض.

"مساء الخير يا آنسة ماربل. كيف يمكننى أن أساعدك؟".

"أوه. أخشى أن تكون على عجلة من أمرك".

فرد المفتش سلاك، قائلاً: "نعم لدىَّ أعمال كثيرة، ولكن يمكننى أن أتفرغ لك لبضع دقائق".

فردت الآنسة ماربل قائلة: "أوه. أتمنى أن أستطيع الإفصاح بوضوح عما أريد قوله فأنت تعلم مدى ما يلاقيه المرء من صعوبة فى الإفصاح عما بنفسه. ألا تظن ذلك؟ ربما لا تظن ذلك، ولكننى كما ترى لم أتلق تعليمًا بنظام حديث وكل ما تلقيته كان من خلال إحدى المربيات التى كانت تعلمنى تاريخ ملوك إنجلترا والمعرفة العامة، كحديثها لى عن الدكتور بريور وأنواع أمراض القمح الثلاثة؛ وهى الآفة الزراعية، العفن الفطرى... والآن ما هو المرض الثالث؟ هل هو السّناج؟".

فتساءل المفتش سلاك واحمر وجهه قائلاً: "هل جئت لتتحدثى عن السّناج؟".

فأنكرت الآنسة ماربل بسرعة أية رغبة لديها فى الحديث عن السناج قائلة:

"أوه، كلا، كلا. إنه مجرد توضيح فقط، أو نوع من الاستطراد، وكما تعلم فإن المرء لا يعلم كيف ينتقل إلى لب الموضوع مباشرة، وهو ما أريد القيام به. إن الأمر يتعلق بجلاديس خادمة الآنسة سكينر".

فرد المفتش سلاك قائلاً: "مارى هيجنز".

"نعم، نعم، ولكن مارى هى الخادمة الثانية. ولكننى أعنى جلاديس هولز تلك الفتاة المعتدة بنفسها، وهى أمينة للغاية، ولكنها بعيدة عن موضوع البحث فى حين أنه يجب أن ينظر إليها جيدًا بعين الاعتبار".

فرد المفتش سلاك قائلاً: "ولكن ليست هناك تهمة موجهة إليها حسب معلوماتى".

"كلا، إننى أعرف أنها ليست متهمة، ولكن هذا هو ما يزيد الأمر سوءًا؛ وذلك لأن الناس يستمرون فى اعتقادهم بأشياء معينة ـــ أعرف أننى يجب أن أوضح ما أقول. إن ما أعنيه حقًا هو أهمية العثور على مارى هيجنز".

فرد المفتش سلاك قائلاً: "بالطبع، هل لديك أية اقتراحات تتعلق بالموضوع؟".

فقالت الآنسة ماربل: "حسنا! إن لدىّ بعض الاقتراحات فى واقع الأمر. هل لى أن أطرح عليك سؤالاً؟ ألا يهمك أمر البصمات؟".

فرد المفتش سلاك قائلاً: "آه. لقد كانت ماكرة للغاية فيما يتعلق بهذا؛ فقد كانت تؤدى معظم أعمالها وهى ترتدى قفازًا من الإسفنج، أو قفازًا من تلك النوعية التى ترتديها الخادمات، وقد كانت حريصة للغاية فقد قامت بمسح كل شىء فى غرفة نومها، وعلى الحوض، ولم تتمكن من رفع بصمة واحدة من المكان".

"وإذا حصلت على بصماتها؟ فهل هذا يفيدك؟".

"ربما يا سيدتى، ربما يكون لبصماتها سجل فى سكوتلانديارد فأنا أعتقد أن هذه ليست المرة الأولى التى تقوم فيها بذلك".

فأومأت الآنسة ماربل بابتهاج. وفتحت حقيبتها وأخرجت منها صندوقًا صغيرًا من الورق المقوى، وبداخله قطعة من القطن عليها مرآة صغيرة.

وقالت الآنسة ماربل: "ستجد عليها بصمات الخادمة. أعتقد أنك ستجد البصمات فى حالة جيدة فقد قامت قبل أن تمسك بالمرآة بلمس مادة لزجة لمدة دقيقة".

فحدق إليها المفتش سلاك قائلاً: "هل تعمدت الحصول على بصماتها؟".

"بالطبع".

"لقد كنت ترتابين بها إذن؟".

"حسناً. إن مثاليتها التى لا تصدق قد أثارت دهشتى، وقد أخبرت بالفعل الآنسة لافينيا بذلك غير أنها لم تكترث لما قلته، ويؤسفنى أن أقول لك إننى ـ وكما تعلم ـ

لا أؤمن بالأشخاص المثاليين النموذجيين فلكل منا أخطاؤه، فضلاً عن أن الخدمة المنزلية تكشف عن هذه الأخطاء بسرعة".

فرد المفتش سلاك وهو يعتدل فى جلسته، قائلاً: "حسناً. إننى ممتن لك كثيراً. وسوف نرسل هذه البصمات إلى سكوتلانديارد وننتظر النتيجة".

ثم توقف بينما كانت الآنسة ماربل قد أمالت رأسها مصعرة خدها وكأنها تقول شيئًا.

"ألن تقوم أيها المفتش بإلقاء نظرة بالقرب من البيت؟".

"ماذا تعنين يا آنسة ماربل؟".

"من الصعب أن أوضح لك، ولكن حينما يمر المرء بشيء غريب فإنه يجذب انتباهه، على الرغم من أن الأشياء الغريبة هذه ربما تكون تافهة للغاية. وقد شعرت بذلك. أعنى فيما يتعلق بجلاديس وبالدبوس. فهى فتاة أمينة للغاية ولم تأخذ الدبوس، فلماذا تعتقد الآنسة لافينيا إذن بأنها فعلت ذلك؟ مع أن الآنسة سكينر ليست حمقاء! لماذا كانت مصرّة على رحيل خادمة جيدة فى حين أنه من الصعب الحصول على الخادمات؟ وكان هذا غريبًا، الأمر الذى أثار الكثير من التساؤلات، ولاحظت أيضًا شيئًا آخر غريبًا وهو أن الآنسة إيميلى مصابة بوسواس مرضى، ولم يحدث أن تم إرسالها لأحد الأطباء فى حين أن المصابين بالوسواس المرضى مولعون بالذهاب إلى الأطباء. ولكن الآنسة إيميلى لم تذهب لطبيب!!".

"ما الذى تقترحينه يا آنسة ماربل، إذن؟".

"حسنًا، إن ما أريد قوله هو أن الآنسة لافينيا والآنسة إيميلى شخصان غريبان فى أفعالهما؛ فالآنسة إيميلى تقضى تقريبًا معظم وقتها فى حجرة مظلمة، وإننى أراهن على أن شعرها هذا كان شعراً مستعاراً؛ ومن ثم فليس من الصعب أن تكون تلك المرأة الرفيعة الشاحبة ذات الشعر البنى اللون والصوت المشوب بالأنين هى نفسها تلك المرأة المكتنزة ذات الشعر الأسود، والخدود الحمراء. ومما يؤيد ذلك أن أحدًا لم ير الآنسة إيميلى ومارى هيجنز معًا فى وقت واحد.

لقد أتيح لها ما يكفى من الوقت لتحصل على نسخة من كل المفاتيح، وأن تعرف كل ما يتعلق بالسكان، ثم تتخلص بعد ذلك من الفتاة المحلية، ثم تقوم الآنسة إيميلى بجولة سريعة ذات ليلة لتصل فى اليوم التالى على أنها مارى هيجنز، ثم بعد ذلك، وفى التوقيت المناسب تختفى مارى هيجنز عن الأنظار وتفتعل صيحات الاحتجاج والمطاردة فى إثرها. سوف أخبرك بمكانها أيها المفتش؛ إنها هناك راقدة على أريكة الآنسة إيميلى سكينر. وما عليك إلا أن تحصل على بصماتها لتتحقق مما أقوله لك، وسوف تجد أننى محقة فيما أقول. إن الآنسة لافينيا والآنسة إيميلى سكينر ليستا إلا لصتين محترفتين، ولن أذكر لك ما يجب عمله من اتخاذ المواقع وعمل الحواجز أو الأسوار أو السياجات، أو أيًا كان ما تسمونها.

ولكنهما لن يفلتا بفعلتهما هذه المرة، ولن أسمح بتشويه سمعة فتاة قروية تتصف بالأمانة، إن أمانة جلاديس هولر واضحة كوضوح النهار، وسيعرف الجميع هذا. عمت مساءً".

خرجت الآنسة ماربل ببطء وشموخ قبل أن يضيف المفتش سلاك قائلاً:

"يا إلهى، إنى أتسائل إن كانت على صواب".

وسرعان ما اكتشف أن الآنسة ماربل كانت على صواب للمرة الثانية.

وقدم الكولونيل ميلشيت تهنئته للمفتش سلاك على كفاءته. أما الآنسة ماربل فقد دعت جلاديس لتحتسى الشاى مع إدنا وتحدثا معها بجدية حول استقرارها بمكان مناسب متى وجدته.

قضية المشرفة على المنزل

سأل الدكتور هايدوك مريضته، قائلاً: "حسنًا، كيف حالك اليوم؟".

فابتسمت الآنسة ماربل ابتسامة شاحبة وهى ترقد على الوسادة.

وقالت: "أعتقد أننى أشعر بتحسن بالفعل، ولكننى أحس باكتئاب شديد؛ فدائمًا ما أشعر بأن الأمر سيكون أفضل حالاً إذا ما مت؛ فأنا امرأة عجوز ليس لديها من يريدها أو يهتم لأمرها".

قاطعها الدكتور هايدوك بفظاظته المعتادة قائلاً: "نعم. إن ما تمرين به ليس إلا فترة النقاهة النموذجية التى تتبع مثل هذا النوع من الأنفلونزا. إن ما تحتاجين إليه هو شيء يأخذك بعيدًا عن نفسك، تحتاجين إلى منشط عقلى".

فتنهدت الآنسة ماربل وهزت رأسها.

واستمر الدكتور هايدوك فى حديثه قائلاً: "والأكثر من هذا، أننى قد أحضرت معى الدواء!".

ثم ألقى بمظروف طويل على السرير.

"إنه الدواء المناسب لك؛ لغز من تلك الألغاز التى تهوينها".

بدت الآنسة ماربل مندهشة وقالت: "لغز؟".

فقال الدكتور وقد احمر وجهه بعض الشيء: "إنها محاولة أدبية قمت بها فقد حاولت أن أكتب قصة تقليدية تحتوى على أشياء من قبيل: قال، قالت، ظنت الفتاة. وما إلى ذلك. ولكن وقائع تلك القصة مبنية على حقائق واقعية".

فتساءلت الآنسة ماربل: "ولكن لماذا اخترت أن تكتب لغزًا؟".

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الدكتور هايدوك قائلاً: "لأنى تركت لك تفسيره. فإننى أريد أن أعرف إن كنت لا تزالين تحتفظين بمهارتك أم لا".

وبهذه العبارة انصرف هايدوك.

فالتقطت الآنسة ماربل السيناريو وبدأت تقرأ:

تساءلت الآنسة هارمون قائلة: "والآن أين تلك العروس؟".

كانت القرية جميعها متلهفة لأن ترى تلك الزوجة الصغيرة التى تتمتع بالثراء والجمال، والتى عاد بها هارى لاكستون من الخارج. وساد بالقرية شعور عام بأن هارى ـ ذلك الوغد الشرير ـ قد حالفه الحظ تمامًا. نعم، لقد شعر الجميع بالتسامح نحو هارى حتى أصحاب النوافذ التى كانت تعانى من طلقات المرجام التى كان يطلقها هارى بلا تمييز ـ قد وجدوا أن مشاعر السخط والنقمة التى كانوا يشعرون بها نحو هارى قد تبددت إثر إعرابه عن ندمه

على كل ما بدر منه. لقد كان فيما مضى يقوم بكسر النوافذ وسرقة ثمار الفاكهة والأرانب. وها هو مؤخرًا أصبح غارقًا فى ديونه، حتى وقع فى شرك ابنة بائع التبغ بالقرية، ثم تخلص من كل ذلك وسافر إلى أفريقيا. وهمهمت القرية ممثلةً فى النساء العانسات الطاعنات فى السن وهن يقلن فى تسامح: "آه، حسنًا. سيستقر!".

والآن، ها هو ذلك المبذر قد عاد ثانية، ولم يكن يعانى من محنة عند عودته بل رجع منتصرًا. وكما يقال فإن هارى لاكستون قد أبلى بلاءً حسنًا. لقد استجمع قواه، وعمل بجد واجتهاد، وها هو فى النهاية يوقع فى حبه إحدى الفتيات الصغيرات ذات الأصول الأنجلو ـ فرنسية، والتى تمتلك ثروة كبيرة.

كان من الممكن أن يعيش هارى بلندن، أو أن يقوم بشراء أراضٍ وأطيان بإحدى المقاطعات الراقية التى تشتهر بالصيد. ولكنه آثر أن يعود ثانية إلى مسقط رأسه. وبطريقة خيالية استطاع أن يشترى العزبة المهجورة فى بيت الأرملة الذى قضى به أيام طفولته.

لقد ظل منزل كينجزدين غير مأهول لقرابة سبعين عامًا، إلى أن أصابه التلف تدريجيًا وأصبح مهجورًا، إلا من رجل عجوز يعمل وكيلاً للمنازل كان يعيش مع زوجته فى الجانب الصالح للسكن من المنزل. لقد كان منزلاً ضخمًا كبيرًا غير جذاب، فقد نمت الأشجار من حوله

بكثافة وهى تتدلى عليه لتجعله يبدو كأنه وكر لأحد السحرة.

لقد كان منزل الأرملة منزلاً جميلاً متواضعًا بسيطًا. وقد ترك لسنوات عديدة للرائد لاكستون، والد هارى. وعندما كان هارى غلامًا صغيرًا كان يجوب عزبة كينجزدين وكان يعرف كل بوصة من الأشجار الكثيفة. وكان معجبًا للغاية بالمنزل القديم.

لقد مات الرائد ميتكالف لاكستون منذ بضع سنوات. ومن ثم فربما لم يبق لهارى ما يعود من أجله. ولكن مسقط رأسه الذى قضى به أيام طفولته هو الذى جعله يعود بعروسه. فهدم منزل كينجزدين القديم، وجرد للمكان جمعاً غفيراً من البنائين والمقاولين. وفى غضون فترة وجيزة بشكل لا يصدق وبفضل الثروة والمال انتصب المنزل واقفًا بلونه الأبيض يتلألأ بين الأشجار.

ثم جاء عدد كبير من البستانيين ـ ثم تلاهم وصول موكب من العربات المحملة بالأثاث.

وأصبح المنزل جاهزًا، ووصل الخدم، وأخيرًا ومن سيارة ليموزين فخمة غالية الثمن نزل هارى وزوجته عند الباب الأمامى.

واحتشدت القرية للاستقبال. وقامت السيدة برايس التى كانت تمتلك منزلاً كبيرًا، والتى كانت تعتبر نفسها رأس المجتمع ــ بإرسال بطاقات الدعوة لحضور حفل "لاستقبال العروس".

كان حدثًا عظيمًا، فقد قامت سيدات كثيرات بشراء عباءات جديدة من أجل هذه المناسبة. كان الجميع مبتهجًا، ومتلهفًا فى فضول لرؤية تلك المخلوقة الرائعة، وقالوا: "إن الأمر يبدو كأنه أسطورة".

وقامت الآنسة هارمون والتى كانت امرأة عانسًا أثرت حرارة الشمس فى وجهها بطرح أسئلتها وهى تشق طريقها عند باب حجرة الاستقبال المكتظة بالحاضرين، بينما الآنسة برنت العانس الشمطاء بجسدها النحيل تتفوه بالمعلومات فى ارتباك واهتياج.

"يالها من امرأة ساحرة فاتنة، مهذبة الأخلاق؛ صغيرة السن. إنها تجعل المرء يشعر بالجمال وهو يرى فتاة تجمع بين كل هذه المميزات على هذا النحو؛ جمال ومال وأدب. ويا للعجب لا يوجد ثمة شىء مشترك بينها وبين هارى!".

فقالت الآنسة هارمون: "آه. ولكنهما لا يزالان فى أيامهما الأولى!".

فارتعش أنف الآنسة برنت الرفيع ابتهاجًا وهى تقول: "هل تعتقدين حقًا يا عزيزتى ــ".

فقالت الآنسة هارمون: "إن الكل يعلم من هو هارى".

"نحن نعلم حاله فى الماضى، أما الآن ــ".

فقالت الآنسة هارمون: "إن الرجال لا يتغيرون. والمخادع لا يترك الخداع أبداً".

فقالت الآنسة برنت وهى تبدو أكثر سعادة: "يا لها من مسكينة تلك الفتاة الصغيرة! إننى أتوقع أنها ستتعرض لمشكلات معه. يجب أن يخبرها أحد ويحذرها. إننى أتساءل عما سيحدث إذا ما سمعت أى شىء عن القصة القديمة؟".

وقالت الآنسة برنت: "إن هذا يبدو ظلمًا. ويا له من أمر مؤسف لاسيما أن بالقرية صيدلية واحدة".

إن ابنة بائع التبغ أصبحت الآن متزوجة من السيد إيدج الصيدلانى.

واستطردت الآنسة برنت قائلة: "لو أن السيدة لاكستون اشتغلت ببيع الأحذية فى ماش بنهام لكان ذلك أفضل لها كثيرًا".

فردت الآنسة هارمون قائلة: "أرى أن هارى لاكستون هو الذى سيقترح عليها ذلك بنفسه"

ثم نظرا إلى بعضهما البعض وقالت الآنسة هارمون: "ولكنى أعتقد أنها يجب أن تعرف".

صاحت كلاريس فين بسخط وهى تتحدث إلى عمها الدكتور هايدوك قائلة: "يا لهم من وحوش أوغاد".

فنظر إليها فى فضول.

كانت طويلة القوام، سمراء، جميلة، رقيقة القلب نشطة. وقد بدت عيناها الواسعتان بلونهما البنى يلتمعان الآن سخطًا وهى تقول:

"كل هاته الشمطاوات يقلن أشياء ويلمحن إلى أشياء".

"عن هارى لاكستون؟".

"نعم، بخصوص علاقته بابنة بائع التبغ".

فهز الدكتور هايدوك كتفيه وقال: "هكذا! إن كثيرًا من الشباب لديهم مثل هذا النوع من العلاقات".

"نعم. لديهم ذلك، وقد انتهت تلك العلاقة، فلماذا نفتش عنها ونظهرها على الساحة بعد أن مرت عليها سنوات طويلة؟ إن الأمر يبدو مثل الغول الذى ينبش القبور ليعيش على جثث الموتى".

"إنه يبدو هكذا بالنسبة لك يا عزيزتى، ولكن هؤلاء كما تعلمين ليس لديهن ما يتحدثن عنه. ويؤسفنى القول بأنهن يعشن على نبش فضائح الماضى، ولكن الذى يثير فضولى هو سبب استيائك الشديد".

فعضت كلاريس فين على شفتها، واحمر وجهها. وقالت بصوت خافت: "إنهما يبدوان سعيدين، والحب يملأ حياتهما. وما يضايقنى هو إفساد سرورهما بالهمزات واللمزات".

"لقد فهمت إذن".

واستطردت كلاريس قائلة: "لقد كان معى للتو. وقد بدا سعيدًا، مسرورًا للغاية، بل مفعمًا بالإثارة لنجاحه

فى تحقيق أمنية قلبه بإعادة بناء كينجـزدين، فهـو مولع به وكأنه طفل. أما هى، فـلا أظـن أنهـا قـد مـرت بشيء سيئ فى حياتها، فلم يحدث يومـاً أن افتقدت أى شيء فى حياتها. وبما أنك قد رأيتها، فما رأيك بها؟".

لم يجب الطبيب على الفور، فقد يـرى الـبعض لويز لاكستون فى حال تحسد عليها وأنها مترفة الثـراء، ولكن بالنسبة له فهـى تـذكره بلازمـة متكررة بإحـدى الأغانى الشعبية سمعت منذ سنوات عديـدة، تقـول هـذه اللازمة:

مسكينة هى تلك الفتاة الصغيرة الثرية -

كانت صغيرة الجسم، رقيقة، ذات شـعر شـبيه بلـون الكتان متموج حول وجهها، وكانـت لهـا عينـان واسـعتان زرقاوان بهما مسحة من الحزن.

شعرت لويز بدوار خفيـف؛ فقـد أرهقهـا ذلـك الموكب الطويل من مقـدمى التهـانى، وكانـت تأمـل فـى أن يحـل وقت الرحيل بسرعة، حتى هارى ربمـا يـشعر الآن بـنفس الشعور. ونظرت إليه وهى تجلس بجواره. كان يبـدو فـارع الطول، عريض المنكبين وسعيدًا للغاية بذلك الحفـل الممل والفظيع.

مسكينة هى تلك الفتاة الصغيرة الثرية -

ندت عنها آهة تنم عن شعورها بالارتياح.

فاستدار هارى لينظر إليها فى سرور وهو يقـود الـسيارة بعيدًا عن مكان الحفل.

فقالت: "يا لها من حفلة بغيضة يا حبيبى".

فضحك هارى قائلاً: "نعم إنها حفلة فظيعـة. ولكـن لا عليك يا حبيبتى، فقد كان مـن الـضرورى إقامتهـا. فـضلاً عن أن كل هؤلاء الآنسات العجائز يعرفننى منـذ أن كنـت غلامًا صغيرًا أعـيش هنـا، وكـن سيـشعرن بـالحزن لـو لم يستطعن رؤيتك عن قرب".

فكـشرت لـويز قائلـة: "هـل سنـضطر إلى رؤيـة الكـثير منهن؟".

"ماذا؟ كلا. كلا. بل سيأتين فقط فى زيارات للتهنئـة، ثم تردين لهم تلك الزيارات. ثم لن تكـونى بحاجـة إلى أن تزعجى أحدًا. ويمكنك عمل صـداقات هنـا أو بـأى مكـان آخر يروق لك".

وبعد دقيقة أو اثنتين قالـت لـويز: "ألا يوجـد شـخص مسل يعيش هنا؟".

"بالطبع هناك سكان المقاطعة، غير أنك ربما ستجدين أن حياتهم تبعث علـى الملـل هـم أيـضًا؟ فـأكثر اهتمـامهم بـالزهور، والكـلاب، والجيـاد، وهنـاك فـى "إجلينتـون" حصان جميل أود أن تريه، فهو جواد مدرب بشكل رائع. وليس به عيب سوى أنه كثير النشاط".

أبطأ هارى من سـرعة الـسيارة لينعطـف نحـو بوابـات منزل كينجزدين. وفى منتصف الطريق ظهرت أمامه فجـأة

امرأة غريبة الشكل. فلوى هارى مقود السيارة بسرعة وهو يشتم ويسب حتى تفادى الاصطدام بتلك المرأة الغريبة التى وقفت ملوحة بقبضتها وتصيح من خلفهم.

فتأبطت لويز ذراعه قائلة: "من هذه المرأة العجوز؟".

فرد هارى وقد ارتسمت على وجهه ملامح الغضب قائلاً: "إنها العجوز مورجا ترويد. فقد كانت هى وزوجها وكيلين للمنزل القديم وعاشا به لقرابة الثلاثين عامًا".

"ولماذا تلوح بقبضتها إليك؟".

فاحمر وجه هارى قائلاً: "لأنها مستاءة من هدم المنزل، على الرغم من أنها قد صرفت من الخدمة، فقد مات زوجها منذ عامين. ويقال إنها أصيبت بمس من الجنون إثر موته".

"إنها لا تجد قوتها، أليس كذلك؟".

كانت أفكار لويز تتسم بالغموض والميلودراما إلى حد ما. فالثراء يحول بين المرء وبين الاتصال بالواقع.

واستشاط هارى غضبًا وهو يقول: "يا إلهى! ما الذى تتحدثين عنه يا لويز؟! لقد أعطيتها تعويضًا كافيًا، ودبرت لها كوخًا جديدًا".

فتساءلت لويز فى ذهول قائلة: "فلماذا تعترض إذن؟".

فالتقى حاجبا هارى فى عبوس وتجهم قائلاً: "يا إلهى! وكيف لى أن أعرف سبب اعتراضها؟ إنه الجنون! فقد كانت تحب المنزل".

"ولكنه كان منزلاً خربًا، أليس كذلك؟".

"بالطبع كان هكذا، فقد كان متصدعًا؛ سقفه يسرب الماء. لم يكن آمنًا، ولكنه كان يعنى شيئًا بالنسبة لها، فقد عاشت به حينًا من الدهر، بيد أنه قد تصدع".

فقالت لويز فى قلق: "أعتقد أنها تصب علينا لعناتها. أتمنى لو أنها لم تفعل يا هارى!".

شعرت لويز بأن منزلها الجديد قد أصبح مشئوماً منحوسًا من جراء هيئة تلك المرأة العجوز المشحونة بالحقد والغل. وكلما خرجت بالسيارة، أو امتطت صهوة جوادها، أو تمشت بجوار كلابها كانت ترى دومًا تلك المرأة جاثمة، وقبعتها متدلية إلى الوراء من فوق خصلات شعرها ذى اللون الرمادى وهى تهمهم ببطء بلعناتها المتواصلة.

واقتنعت لويز بأن هارى كان محقًا بشأن تلك المرأة العجوز؛ لقد كانت مجنونة. ولكن هذا لم يجعل الأمور تبدو سهلة. وذلك لأن السيدة مورجاترويد لم تحاول مطلقًا أن تدخل المنزل بالفعل، أو أن تأتى بتهديدات واضحة، أو تتعامل بعنف. وإنما كل ما كانت تفعله هو أنها ظلت جاثمة بجوار المنزل من الخارج. فلن تكون هناك إذن فائدة من إبلاغ الشرطة بالأمر. فضلاً عن أن هارى لاكستون كان يعارض بشدة مثل هذا الإجراء الذى كان يرى أنه سوف يثير تعاطف الأهالى تجاه تلك العجوز. لقد كان هارى ينظر إلى الأمر بهدوء أكثر من لويز.

"لا تقلقى بشأنها يا حبيبتى، فسوف تسأم من لعناتها السخيفة. ومن المحتمل أنها فقط تقوم بذلك كتجربة أو اختبار لجس النبض".

"كلا يا هارى. إنها تضمر لنا الكراهية! إننى أستشعر ذلك. إنها تنتقم منا".

"إنها ليست ساحرة يا حبيبتى، حتى وإن كانت هيئتها توحى بذلك، فلا تهتمى بها".

التزمت لويز الصمت، وها هى الإشارة الأولى المصاحبة للسكن فى المنزل الجديد قد انتهت. وشعرت بوحدة غريبة لا تنتهى، فقد كانت معتادة على الحياة فى لندن وشواطئ الريفيرا. ولم تكن لديها خبرة أو تذوق للحياة فى الريف الإنجليزى، ولم تكن تعرف شيئًا عن الحدائق فيما عدا تنسيق الزهور، ولم يكن لديها اهتمام بالكلاب. وكلما كانت تقابل جيرانها كانت تشعر بالملل. لم تجد متعة سوى فى ركوب الخيل مع هارى، فى بعض الأحيان. وبمفردها حينما يكون هارى مشغولاً فى تدبير أمور المزرعة. كانت تتجول وسط الأشجار الكثيفة وفى الممرات الضيقة وهى تستمتع بخبب الحصان الذى اشتراه لها هارى. حتى الأمير هال، الذى كان يحب الجياد ذات اللون الكستنائى ــ لم يكن ليستشعر لها جمالاً فى وجود تلك المرأة العجوز المتلئة حقدًا".

وذات يوم، وبينما كانت تتمشى استجمعت لويز شجاعتها. ومرت بالآنسة مورجا ترويد متظاهرة بأنها لم

ترها ثم استدارت فجأة وذهبت نحوها قائلة بأنفاس مكتومة: "ما الأمر؟ ماذا هناك؟ ماذا تريدين؟".

فنظرت إليها المرأة العجوز وعيناها تطرفان على نحو متكرر، وبصوت يشى بالتهديد قالت: "أتسألين عما أريده؟ تسألين عما أحتاج إليه! إننى أحتاج ما أخذ منى. من الذى طردنى من منزل كينجزدين، الذى عشت فيه طوال عمرى لقرابة الأربعين عامًا؟ لقد كان عملاً أسود حينما قام بطردى منه، وسوف يجلب عمله الأسود هذا الشؤم والحظ العثر عليكما".

فقالت لويز: "ولكنك حصلت على كوخ جميل، و ـــ".

انزعجت حينما لوحت إليها المرأة العجوز بذراعيها وهى تصرخ قائلة: "وبماذا يفيدنى هذا؟ إننى لا أريد سوى منزلى، ومدفأتى التى جلست بجوارها لسنوات طويلة، وها أنا أخبرك وإياه بأنكما لن تنعما بسعادة فى هذا المنزل الجديد الجميل، ولن يجلب عليكما سوى الحزن الأسود! وسوف تنصب عليكما لعناتى، فلتذهبى إلى الجحيم".

فاستدارت لويز بعيدًا عنها وهى تسرع فى خطاها، وتقول: *يجب أن أهرب من هنا! يجب أن نبيع المنزل! يجب أن نرحل بعيدًا!*

وبدا لها هذا الحل سهلاً فى تلك اللحظة. ولم يصدها عنه سوى هارى بعدم إدراكه المطلق، والذى تعجب قائلاً: "أنرحل عن هنا؟ أنبيع المنزل؟ فقط بسبب تهديدات امرأة عجوز مجنونة؟ من المؤكد أنك قد جننتِ".

"كلا، ولكنها تثير ذعرى. أخشى أن يحدث شىء ما".

فرد هارى لاكستون بتجهم قائلاً: "دعى السيدة مورجاترويد لى، فسوف أتولى أمرها!".

نشأت صداقة بين كلاريس فين والسيدة الصغيرة لويز لاكستون. ورغم أن كلتا الفتاتين كانتا فى عمر متقارب إلا أنه كان هناك اختلاف فى شخصية كل منهما وذوقها. وبصحبة كلاريس التى كانت تتمتع بالثقة والاعتماد على نفسها، شعرت لويزا بالطمأنينة، وحينما أخبرت كلاريس بأمر السيدة مورجاترويد وتهديداتها نظرت كلاريس إلى الأمر بوصفه شيئاً يبعث على الضجر أكثر مما يبعث على الخوف.

وقالت: "يا له من عمل أحمق مزعج لك".

"إننى أشعر فى بعض الأحيان بأننى مذعورة، وأشعر بقلبى يرتجف خوفاً".

"هذا هراء. يجب ألا تسمحى لشىء سخيف كهذا بأن ينال منك، وسوف تسأمين على الفور منه".

ظلت صامتة لدقيقة أو اثنتين، فقالت كلاريس: "ما الأمر؟".

توقفت لويز لبرهة قبل أن ترد باندفاع قائلة: "كم أكره هذا المكان! أكره بقائى به. إننى أمقت تلك الغابة، وهذا

المنزل، وذلك الصمت الرهيب ليلاً، وتلك الضوضاء المرعبة التى تحدثها أصوات البوم، بل أكره الناس أيضًا، وأكره كل شىء".

"الناس! أى ناس تقصدين؟".

"أهالى القرية، أعنى هؤلاء النسوة العجائز وما يتصفن به من فضول وحب للقيل والقال".

فقالت كلاريس بحدة: "وماذا يقلن؟".

"لا أدرى، لا أعرف شيئًا بعينه، ولكنهن يتمتعن بعقول قذرة، وإذا ما تحدثت معهن فسوف تشعرين بعدم الثقة فى أحد".

فردت كلاريس بصرامة قائلة: "دعك منهن، فليس لديهن ما يقمن به سوى القيل والقال، وأكثر ما يتحدثن به ليس إلا أمورًا مختلقة".

فقالت لويز بصوت هادئ: "أتمنى لو لم نأت إلى هنا. ولكن هارى يهيم بهذا المكان حبًا".

فتساءلت كلاريس بينها وبين نفسها: *كيف يمكن أن تهيم هى به حبًا*، ثم قالت بسرعة وفجأة: "يجب أن أنصرف الآن".

"سوف أوصلك بالسيارة. لئلا تتأخرى عن زيارتك التالية".

فأومأت كلاريس برأسها وشعرت لويز بارتياح إزاء زيارة صديقتها الجديدة، وكذلك هارى شعر بالسعادة

حينما رأى أنها تبدو أكثر سرورًا، ومنذ ذلك الحين أخذ يحثها على دعوة كلاريس لزيارتها بالمنزل.

وذات يوم قال لها: "لدىَّ أخبار سارة لك يا حبيبتي".

"حقا؟ ماذا هناك؟".

"لقد سويت أمر السيدة مورجاترويد، إن لها ابنًا يعيش في أمريكا، وقد دبرت لها أمر اللحاق به، وسوف أدفع لها مصاريف سفرها".

"أوه! يا له من أمر رائع يا هارى! أعتقد أن منزل كينجزدين ربما سيروق لى".

"سيروق لك؟ إنه أكثر الأماكن روعة فى العالم".

فسرت رعدة يسيرة بأوصال لويز؛ فهى لم تستطع أن تخلص نفسها بسهولة مما كان ينتابها من مخاوف.

إذا كانت نساء قرية سانت مارى ميد يطمحن إلى الشعور بفرحة الإفصاح للعروس عن ماضى زوجها، فإن هارى لاكستون كان يعاجلهن ويحرمهن تلك الفرحة.

فبينما كانت الآنستان هارمون وكلاريس بمحل السيد إيدج، الأولى تشترى بعضًا من النفتالين، والثانية تشترى علبة من البوريك - دخل هارى لاكستون وزوجته.

وبعد أن ألقى التحية على السيدتين، استدار هارى نحو منضدة المحل ليطلب فرشاة أسنان، وبينما كان يطلب ذلك توقف فجأة وتعجب بحماس قائلاً: "حسنا. حسنًا. مَنْ هنا؟ بيلا!".

فأسرعت السيدة إيدج حينئذ من مؤخرة الردهة لتتعامل مع ما لديها من زبائن وهى تبتسم إليه بابتهاج حتى بدت أسنانها الكبيرة البيضاء، لقد كانت فيما مضى فتاة سمراء جميلة، ولكنها الآن - ورغم زيادة وزنها، وظهور التجاعيد الخشنة على وجهها - لا تزال تبدو امرأة جميلة إلى حد ما بعينيها الواسعتين ذواتى اللون البنى، واللتين كانتا تشعان دفئاً وحرارة حينما ردت قائلة: "نعم، أنا بيلا يا سيد هارى، ويسعدنى رؤيتك بعد كل هذه السنوات الطويلة".

فاستدار نحو زوجته قائلاً: "إن بيلا محبوبتى القديمة يا لويز، وقد كنت متيمًا بحبها. أليس كذلك يا بيلا؟".

فردت السيدة إيدج قائلة: "نعم، كما تقول".

فضحكت لويز وقالت: "إن زوجى سعيد برؤية كل أصدقائه القدامى ثانية".

فردت السيدة إيدج قائلة: "لم ننسك يوماً يا سيد هارى، إن زواجك وبناءك لمنزل جديد بدلاً من منزل كينجزدين المتصدع يبدو قصة خيالية".

فرد هارى قائلاً: "إنك تبدين بحال جيدة وفى قمة الجمال والنشاط".

فضحكت السيدة إيدج وقالت إنها على ما يرام وتساءلت عن فرشاة الأسنان.

وبينما كانت ترى تلك النظرة الدالة على الحيرة والتى ارتسمت على وجه الآنسة هارمون ـ قالت كلاريس لنفسها بابتهاج: *حسنًا فعلت يا هارى، لقد أفسدت خططهن.*

قال الدكتور هايدوك لابنة أخيه باهتياج: "ما كل هذا الهراء بشأن السيدة مورجاترويد العجوز التى تتسكع حول منزل كينجزدين ملوحة بقبضتها وهى تصب لعناتها على الملاك الجدد؟".

"إنه ليس هراء، بل حقيقة، وقد تضايقت منه لويز".

"أخبريها أنها ليست بحاجة إلى أن تشعر بالقلق. فحينما كانت السيدة مورجاترويد وزوجها يتوليان أمر الإشراف على المنزل كانا دائمًا ما يتذمران ويشكوان من المكان، ولم يمكثا به إلا لأن مورجاترويد كان مدمنًا للشراب ولم تكن لديه وظيفة أخرى".

فردت كلاريس بارتياب قائلة: "سوف أخبرها بذلك، وإن كنت أرى أنها لن تصدق ذلك، فالمرأة العجوز لا تتوقف عن صراخها الثائر".

"لقد كانت مولعة بهارى حينما كان صغيرًا، لا أدرى ماذا حدث".

فقالت كلاريس: "حسنا، سوف يتخلصون منها قريبًا، وسوف يقوم هارى بتحمُّل نفقات سفرها إلى أمريكا".

وبعد ثلاثة أيام وقعت لويز من فوق حصانها وماتت.

وشهد الحادث اثنان من الرجال كانا يستقلان سيارة صغيرة؛ فقد رأوا لويز ممتطية صهوة جوادها، خارجة من بوابة المنزل، ورأوا المرأة العجوز قد قامت فجأة واقفة فى منتصف الطريق وهى تلوح بذراعيها وتصيح بقوة، فوثب الحصان باهتياج، ثم انطلق فارًا بجنون ملقيًا لويز لاكستون من فوق رأسه قبل أن يطرحها أرضًا.

واقترب أحدهما من لويز التى كات غائبة عن الوعى لا يدرى ماذا يفعل، بينما انطلق الآخر بسرعة نحو المنزل طلبًا للمساعدة.

فهرول هارى لاكستون إلى الخارج وقد بدا وجهه شاحبًا كالموتى، ثم قاموا بخلع أحد أبواب السيارة وحملوها عليه نحو المنزل، وقبل أن تستعيد وعيها، وقبل أن يصل الطبيب لفظت أنفاسها الأخيرة.

(نهاية سيناريو الدكتور هايدوك)

حينما وصل الدكتور هايدوك فى اليوم التالى بدت عليه السعادة لمَّا رأى الآنسة ماربل متوردة الوجه، ومفعمة بالنشاط والحيوية.

فقال: "حسنا! والآن ما هو حلك؟".

فردت على نحو مضاد لقوله قائلة: "ما هى المشكلة يا دكتور هايدوك؟".

"أوه. أيجب علىَّ أن أخبرك بها يا عزيزتى؟".

فقالت الآنسة ماربل: "أعتقد أنها تكمن في ذلك السلوك الغريب لوكيلة المنزل. لماذا تصرفت على هذا النحو الغريب؟ إن الناس يعارضون من يطردهم من منازلهم القديمة، ولكن ذلك المنزل لم يكن منزلها. وقد اعتادت في حقيقة الأمر على التذمر والشكوى حينما كانت تعيش به. فالأمر يبدو غريبًا حقًا ويفتقر إلى المنطق. بالمناسبة، ما الذي حدث لها بعد ذلك؟".

"لقد فزعت من الحادث ففرت هاربة إلى ليفربول وهي تظن أنها ستنتظر قارِبها هناك".

فقالت الآنسة ماربل: "كلا هذا يبدو مألوفًا لأي أحد. وإنني لأعتقد أن المشكلة التي تكمن في سلوك وكيلة المنزل يمكن حلها بسهولة؛ بالرشوة، أليس كذلك؟".

"هل هذا هو ما توصلت إليه من حل؟".

"حسنا. إن لم يكن مألوفًا لها أن تتصرف بهذه الطريقة، فمن المحتمل أنها كانت تقوم بتمثيل ما كانت تفعله؛ وهذا يعني أن هناك من استأجرها لتفعل ما فعلته".

"وهل تعرفين ذلك الشخص؟".

"أوه. أعتقد ذلك، أخشى أن يكون الدافع إلى ذلك هو المال أيضًا؛ فدائمًا ألاحظ أن النبلاء يميلون عادة إلى الانجذاب إلى مَنْ هم على شاكلتهم".

"لا أفهم ما تقصدينه".

"كلا. إن الأمور مرتبطة ببعضها البعض. فقد كان هاري لاكستون معجبًا ببيلا إيدج؛ تلك الفتاة السمراء المفعمة بالنشاط والحيوية، تمامًا مثل ابنة أخيك كلاريس. ولكن تلك الزوجة الصغيرة المسكينة لم تكن تنتمي لتلك النوعية، لقد كانت مختلفة؛ شقراء الشعر وترتدي الملابس الضيقة. إنها لم تكن من تلك النوعية التي تروق له على الإطلاق؛ ومن ثَمَّ فمن المؤكد أنه قد تزوجها لأجل مالها، وقتلها من أجل مالها أيضًا!".

"هل قلت كلمة قتل؟".

"حسنا. إنه يبدو من ذلك النوع من الرجال: ساحر للنساء، منعدم الضمير، وأعتقد أنه أراد الاحتفاظ بأموال زوجته، وأن يتزوج بابنة أخيك، وعلى الرغم من أنه ربما قد شوهد وهو يتحدث مع السيدة إيدج إلا أنني لا أظن أنه كان متعلقًا بها على الإطلاق. ومن هنا يمكنني القول بأنه قد جعل المرأة المسكينة تعتقد أنه قد توقف عن علاقاته النسائية. لقد تمكّن من خداعها".

"فكيف قتلها إذن، إن كنت تعتقدين هذا؟".

فحدقت الآنسة ماربل أمامها لبضع دقائق بعينيها الزرقاوين ممعنة في الخيال.

"لقد كان التوقيت مناسبًا بمرور سيارة الخباز ليكون شاهدًا على الحادث. فسوف يرون المرأة العجوز، وبالطبع سوف يعزون هياج الحصان إليها، ولكنني أرى أن هناك طلقة هوائية أو ربما طلقة مرجام هي التي أثارت هياج

الحصان، ولِمَ لا فقد عُرف عن هارى مهارته فى استخدام المرجام، وبينما كان الحصان يهم بالخروج من البوابة، وثب قافزًا، وبالطبع وقعت السيدة لاكستون من فوقه".

وحينئذ توقفت مقطبة جبينها.

ثم استطردت قائلة: "ربما تكون قد لقيت حتفها إثر سقوطها ولكن من أين له أن يتأكد من ذلك؟! لاسيما أنه ينتمى إلى تلك النوعية من الرجال الذين يصنعون خططهم بإحكام ولا يدعون شيئاً للمصادفة، فضلاً عن أن السيدة إيدج كان بإمكانها أن تحضر له شيئًا ما دون علم زوجها. نعم، إننى أعتقد أن هارى كان لديه عقار ذو فعالية سريعة قوية يمكنه إعطاؤه لها قبل أن تصل أنت. وإذا ما سقطت امرأة ما من فوق حصانها، وتعرضت لإصابات بالغة وماتت قبل أن تسترد وعيها، فلن يرتاب أى طبيب فى الأمر. وسوف يعزو سبب الوفاة إلى صدمة أو إلى شىء من هذا القبيل".

فأومأ الدكتور هايدوك

وسألته الآنسة ماربل: "ولكن لماذا ارتبت أنت به؟".

فقال الدكتور هايدوك: "لم تكن هذه مهارة منى. وإنما الذى أوحى لى بذلك هى تلك الحقيقة المبتذلة البالية، والتى تتمثل فى إعجاب وزهو القاتل بدهائه، الأمر الذى يجعله لا يتوخى الحذر. فحينما كنت أقوم بتقديم العزاء ومواساة الرجل نهض من أريكته ليتظاهر بالحزن فسقطت حينئذ من جيبه حقنة تُستخدَم للحقن تحت الجلد.

فاختطفها بسرعة وبدا خائفًا مذعورًا مما جعلنى أتساءل: إن هارى لاكستون لا يتعاطى أية عقاقير، فهو يتمتع بصحة جيدة. فماذا كان يفعل بتلك الحقنة إذن؟ فقمت على أثر هذا بتشريح الجثة بقصد التحقق من بعض الاحتمالات، فاكتشفت وجود مادة الاستروفانتين السامة، ثم بدا الأمر سهلاً بعد ذلك. فقد عُثِر على مادة الاستروفانتين بحوزة لاكستون، وحينما استجوبت الشرطة بيلا إيدج انهارت واعترفت بجلبها إليه، وفى النهاية اعترفت السيدة العجوز مورجاترويد بأن هارى لاكستون هو الذى حرَّضها على فعل ما فعلته.

"وهل اقتنعت ابنة أخيك بذلك؟".

"نعم، فقد كانت معجبة بالرجل، ولكن هذا الإعجاب لم يستمر طويلاً".

وحينئذ التقط الدكتور السيناريو الذى كتبه.

وقال: "إنك تستحقين الدرجة النهائية يا آنسة ماربل، وكذلك أنا أستحق الدرجة النهائية عن الدواء الذى وصفته لك. ها أنت قد استرددت عافيتك ثانية".

شقة الطابق الثالث

قالت بات: "ياله من أمر مثير للضيق!".

كانت باتريشيا جارنت مقطبة جبينها وهي تفتش بقوة في ذلك الشيء التافه الذى تسميه حقيبة المساء، بينما يقف أمام الباب المغلق لشقتها شابان معهما فتاة يرقبونها في قلق وترقب.

قالت بات: "يا إلهي! لا فائدة. إنه ليس هنا، ماذا سنفعل إذن؟".

فهمهم جيمي فولكينر، والذى كان يبدو شابًا قصيرًا عريض المنكبين ذا عينين زرقاوين توحيان بمزاجه الهادئ، قائلاً: "كيف تبدو الحياة بدون مفتاح للمزلاج؟".

فاستدارت إليه بات في غضب قائلة: "لا تمزح يا جيمي، فالأمر جد خطير".

فرد دونوفان بايلي بصوته الرقيق الذى يوحي بالكسل، والذى كان متماشيًا مع بنيته الهزيلة السمراء، قائلاً: "ابحثي مرة أخرى. لابد أنه هنا أو هناك".

وقالت الفتاة الأخرى ميلدرد هوب: "ربما أخرجته من الحقيبة؟".

فردت بات قائلة: "بالطبع أخرجته، أعتقد أننى قد أعطيته لأحدكما"، ثم استدارت نحو دونوفان ناظرة له نظرة اتهامية قائلة: "لقد طلبت منك أن تأخذه معك".

ولكن لم يكن من السهل أن تجد مَنْ تحمّله المسئولية. فقد أنكر دونوفان بشدة، وأيده جيمى فى إنكاره.

حيث رد جيمى قائلاً: "لقد رأيتك بنفسى وأنت تضعينه فى حقيبتك".

"حسنًا. أحدكما قد أوقعه إذن حينما أخذتما حقيبتى، فقد تأكدت من وجوده بالحقيبة لمرة أو مرتين".

فرد دونوفان قائلاً: "لمرة أو مرتين؟ لقد كنت توقعينه مرات عديدة، فضلاً عن نسيانك له فى كل مناسبة".

فردت ميلدرد قائلة: "إن المشكلة الآن هى: كيف سندخل؟".

كانت فتاة حساسة دائمًا ما تلمس لب الموضوع، ولكنها لم تكن فى مثل جاذبية بات المندفعة المتهورة.

ونظر الأربعة نحو الباب نظرة حيرة وذهول.

فتساءل جيمى قائلاً: "ألا يستطيع البواب أن يساعدنا، أليس لديه مفتاح عمومي، أو شىء من هذا القبيل؟".

هزت بات رأسها؛ فلم يكن هناك سوى مفتاحين، واحد بداخل الشقة معلق فى المطبخ، أما الآخر فقد كان ـ أو من المفترض أن يكون ـ بالحقيبة اللعينة.

وصاحت بات وهى تنوح قائلة: "لو كانت الشقة بالدور الأرضى، لكان بإمكاننا أن نكسر إحدى النوافذ. ألا تستطيع أن تتسلق وكأنك لص منازل يا دونوفان؟".

فرفض دونوفان بقوة وبأدب أن يتسلق كلصوص المنازل.

ورد جيمى قائلاً: "يمكننا الدخول عن طريق إحدى شقق الدور الرابع".

فتساءل دونوفان قائلاً: "ماذا عن سلم الطوارئ؟".

"لا يوجد سلم طوارئ".

فرد جيمى قائلاً: "من الضرورى أن يكون هناك سلم للطوارئ لاسيما فى مبنى مكون من خمسة طوابق".

قالت بات: "أظن ذلك، ولكن الحديث عما كان ينبغى لن يأتى بفائدة. كيف سأدخل إلى شقتى؟ هذه هى المشكلة".

فرد دونوفان قائلاً: "ألا يوجد حل قد نسيناه. أعنى أليس هناك شىء ما يستخدمه التجار فى إحضار السلع والكرنب إلى الشقة؟".

فقالت بات: "مصعد السلع ! أوه، نعم، ولكنى أعتقد أنه مجرد سلة مشدودة بحبل. أوه، انتظر، ماذا عن مصعد الفحم؟".

فقال دونوفان: "إنها فكرة جيدة".

وردت ميلدرد باقتراح مثبط للهمة قائلة: "سيكون موصدًا. أعنى سيكون المطبخ موصدًا من الداخل".

ولكن قولها تم نقضه بقوة.

فقال دونوفان: "إنه ليس موصدًا".

وقال جيمى: "إن *بات* لا تغلق أو توصد الأشياء من الداخل".

فقالت بات: "لا أظن أننى قد أوصدته، فقد أفرغت صندوق القمامة هذا الصباح، وأنا متأكدة أننى لم أغلقه أو حتى أقترب منه منذ ذلك الحين".

فرد دونوفان قائلاً: "حسنًا. إن هذه الحقيقة ستفيدك كثيرًا هذه الليلة، ولكن فى الوقت نفسه دعينى أقل لك إن إهمالك هذا سيجعلك عرضة للصوص المنازل الماكرين كل ليلة".

لم تأبه بات لهذه التحذيرات.

ثم صاحت قائلة: "هيا بنا"، ثم نزلت بسرعة عبر مجموعة السلالم الأربعة، ثم تبعها الآخرون، ثم تقدمتهم عبر مكان داخلى مظلم ملىء بعربات الأطفال، ثم مروا بباب آخر يؤدى إلى المصعد الموجود على الجانب الأيمن، وكان به أحد صناديق القمامة فأخرجه دونوفان، ثم خطا بحذر شديد نحو منبسط الدرج وقال:

"أشم رائحة كريهة، ولكن هل سأذهب وحدى فى هذه المغامرة؟".

فرد جيمى قائلاً: "سأذهب معك".

ثم خطا ليقف بجوار دونوفان.

واستطرد بارتياب قائلاً: "أعتقد أن المصعد سيحملنا نحن الاثنين".

فقالت بات التى دائمًا ما كانت خفيفة الوزن: "إن وزنك لا يزيد على وزن طن من الفحم".

فرد دونوفان بابتهاج وهو يجذب الحبل قائلاً: "سنرى ذلك على أية حال".

ثم غابوا عن الأنظار مصحوبين بضجة مزعجة.

فقال جيمى وهم يمرون وسط الظلام:

"إن هذا الشىء يُحدث ضجة كبيرة. ترى ماذا سيظن سكان الشقق الأخرى؟".

فرد دونوفان قائلاً: "سيعتقدون أننا أشباح أو لصوص منازل، إن شد الحبل عمل شاق؛ ما كنت أظن أن البواب يقوم بعمل شاق هكذا. جيمى، هل قمت بعدّ الشقق؟".

"أوه. يا إلهى! لقد نسيت".

"حسنًا. لقد عددتها أنا. ها نحن نمر بالطابق الثالث الآن، سننزل بالرابع".

فدمدم جيمى قائلاً: "والآن أعتقد أننا بعد كل هذا سنجد أن بات قد أوصدت الباب".

ولكن هذه المخاوف لم تحدث؛ فقد فُتِح الباب الخشبى بلمسة واحدة، وخطا جيمى ودونوفان وسط الظلام الدامس بمطبخ بات.

وقال دونوفان: "كان من المفترض أن يكون معنا كشاف لهذا العمل الغريب ليلاً، فأنا أعرف بات؛ إنها تترك الأشياء ملقاة على الأرضية وسوف نتعثر ونصطدم بالكثير

من الأوانى الفخارية، قبل أن نصل إلى مفتاح الضوء. لا تتحرك يا جيمى حتى أضىء المصابيح".

أخذ يتحسس طريقه بحذر، وهو يلعن بغيظ عندما اصطدمت ضلوعه بمائدة المطبخ. وعندما وصل إلى زر الضوء انطلقت منه لعنة أخرى وسط الظلام، فتساءل جيمى: "ما الأمر؟".

"إن الضوء لا يعمل. أعتقد أن المصباح محروق، ولكن انتظر برهة فسوف أشغل مصباح حجرة الجلوس".

كانت حجرة الجلوس فى مقابل الممر مباشرة فسمع جيمى دونوفان خارجًا من الباب، ولم يلبث أن سمع وابلا من اللعنات المكتومة، فتحسس هو الآخر طريقه بحذر عبر المطبخ.

"ما الأمر؟".

"لا أدرى، ولكنى أظن أن الغرف قد أصابها السحر ليلاً، فالمكان يبدو لى مختلفًا للغاية. والمقاعد والموائد متبعثرة فى كل مكان. أوه اللعنة! ها قد اصطدمت بشىء آخر".

وفى هذه المرة نجح جيمى فى العثور على زر المصباح الكهربى فضغط عليه، ونظر الرجلان كلاهما إلى الآخر فى صمت رهيب.

لم تكن الغرفة هى حجرة جلوس بات؛ فقد أخطأوا الشقة.

فقد كانت أكثر ازدحامًا بالأشياء من حجرة بات، وهو ما فسّر ارتباك دونوفان الذى مشى فى الشقة وهو يصطدم على نحو متكرر بالمقاعد والموائد. وفى منتصف الحجرة كانت هناك مائدة ضخمة دائرية الشكل ومغطاة بقطعة قماش من النسيج الأخضر الذى تكسى به موائد البلياردو، وفى النافذة كانت هناك مزهرية بها نبات الإسبيدسترا، وقد تيقّن الشابان من أن الحجرة من نوعية تلك الغرف التى يصعب على المرء تحديد هوية صاحبها، وبصمت رهيب حدق كلاهما نحو المائدة التى كان عليها كومة من الخطابات.

فالتقط دونوفان أحد الخطابات وقرأ الاسم وهمس قائلاً: "السيدة إيرنشتاين جرانت. يا إلهى أتعتقد أنها قد سمعتنا؟".

فرد جيمى قائلاً: "إنها لمعجزة لو لم تكن قد سمعتنا، لاسيما ما كنت تصيح به من لعنات وأنت تصطدم بالأثاث. هيا. لنخرج من هنا بسرعة".

وبسرعة أطفأ النور، ثم عادا أدراجهما على أطراف أصابعهما إلى المصعد، فتنفس جيمى الصعداء حينما انطلق بهما المصعد بسرعة دون أن يحدث مزيدًا من الضوضاء.

فقال جيمى: "أحب المرأة التى تستغرق فى نومها".

ثم استطرد فى استحسان قائلاً: "إن للسيدة إيرنشتاين مميزاتها الخاصة".

فرد دونوفان قائلاً: "لقد أدركت الآن لماذا أخطأنا الطابق؛ فقد بدأنا العد من الدور الأرضى"، ثم سحب الحبل وقال: "ولكننا لم نخطئ هذه المرة".

فقال جيمى وهو يخطو خارجًا نحو ظلام دامس آخر: "أرجو من كل قلبى ألا نكون قد أخطأنا ثانية؛ فأعصابى لن تحتمل المزيد من صدمات أخرى من هذا النوع".

ولكنهما لم يتعرضا هذه المرة لتوتر عصبى، فبمجرد أن أشعلا النور وجدا نفسيهما فى مطبخ بات، ثم لم يلبثا أن فتحا الباب الأمامى للفتاتين اللتين كانتا تنتظران بالخارج.

فدمدمت بات قائلة: "لقد استغرقتما وقتًا طويلاً. ومنذ وقت طويل ونحن فى انتظاركما أنا وميلدرد".

فرد دونوفان قائلاً: "لقد كانت مغامرة، وكان من الممكن أن نساق إلى قسم الشرطة كمجرمين خطرين".

ذهبت بات إلى حجرة الجلوس وأضاءت النور، ثم ألقت بمعطفها على الأريكة وهى تستمع باهتمام وطرب إلى دونوفان وهو يحكى مغامرته.

فعلقت قائلة: "يسعدنى أنها لم تمسك بكما، فهى عجوز سريعة الغضب، وقد تلقيت منها رسالة هذا الصباح؛ كانت تريد رؤيتى لسبب ما. أعتقد أنها تريد أن تشكو لى من عزفى للبيانو، إننى لأرى أن هؤلاء الذين لا يحبون سماع البيانو يجب ألا يأتوا للعيش فى شقق.

دونوفان، لقد جرحت يدك، إنها ملطخة بالدماء، اذهب واغسلها تحت الصنبور".

فنظر دونوفان إلى يده فى دهشة، ثم خرج من الحجرة وهو ينادى على جيمى.

فرد جيمى قائلاً: "ماذا هناك؟ إنك لم تجرح يدك جرحًا غائرًا، أليس كذلك؟".

"إننى لم أجرح نفسى أساسًا".

كان صوت دونوفان يوحى بشىء غريب فحدق إليه جيمى فى دهشة، فرفع دونوفان يده التى غسلها فلم ير جيمى بها أثرًا لجرح من أى نوع.

فقال مقطبًا جبينه: "إنه لشىء غريب، لقد كانت ملطخة بالدماء. فمن أين جاءت تلك الدماء؟" وحينئذ أدرك جيمى ما رآه صديقه سريع البديهة، فقال: "من المؤكد أنها من الشقة"، ثم توقف وهو يفكر فى الاحتمالات التى تضمنتها كلماته، ثم قال: "هل أنت متأكد من أنها كانت دماءً؟ ألم تكن طلاءً؟".

هز دونوفان رأسه وقال وهو يرتعد: "لقد كانت دماءً".

فنظر كلاهما إلى صاحبه، وهما يفكران نفس التفكير، ولكن جيمى هو الذى نطق به أولاً فقال: "أتعتقد أننا يجب أن ننزل ونلقى نظرة على المكان؟".

"ولكن ماذا عن بات وميلدرد؟".

"لن نخبرهما بشىء. وسوف تقوم بات بارتداء مريلتها لتعد لنا عجة، وعندما تلاحظان غيابنا سنكون قد عدنا".

فقال دونوفان: "حسنا. هيا بنا، علينا أن ننتهي من هذا الأمر، ولا أظن أننا سنجد شيئًا سيئًا".

ولكن نبرة صوته كانت تفتقر إلى الاقتناع، واستقلا المصعد ثم هبطا إلى الطابق السفلي، وشقا طريقهما عبر المطبخ دون صعوبة كبيرة، ثم أنارا مصباح حجرة الجلوس مرة ثانية.

وقال دونوفان: "من المؤكد أنها هنا، فلم ألمس شيئًا بالمطبخ".

ونظر حوله، وكذلك جيمي ثم قطب كل منهما جبينه، فقد بدا كل شيء مرتبًا وبمكانه.

وفجأة أمسك جيمي بذراع صاحبه بقوة قائلاً:

"انظر!".

فنظر دونوفان حيث أشار جيمي، وبدوره تعجب هو الآخر؛ فقد كانت هناك قدم امرأة ناتئة من تحت الستائر السميكة ذات النسيج الصوفي المضلع.

فذهب جيمي إلى الستائر وأزاحها بعيدًا فإذا بجثة امرأة جاثمة في تجويف النافذة وحولها بركة من الدماء، لقد كانت ميتة. لم يكن هناك شك في ذلك، وعندما حاول جيمي أن يرفعها أوقفه دونوفان، قائلاً: "يجب ألا تفعل ذلك، يجب ألا يلمسها أحد حتى تأتي الشرطة".

"الشرطة! يا له من أمر فظيع. من هذه المرأة برأيك؟ السيدة إيرنشتاين جرانت؟".

"إنها تبدو مثلها، على أية حالة فلو أن هناك أحدًا لا يزال بالشقة فمن المؤكد أنه يمزح".

فتساءل جيمي: "ما الذي سنفعله بعد ذلك؟ هل نجري ونحضر شرطيًا، أم نتصل من شقة بات؟".

"أعتقد أنه من الأفضل أن نتصل من شقة بات، هيا نخرج من الباب الأمامي فلن نقف الليل بطوله ونحن نصعد في هذا المصعد برائحته الكريهة".

وافقه جيمي، وحينما همّا بالخروج من الباب توقف قائلا: "أتعتقد أن أحدنا يجب أن يظل هنا ليراقب المكان ريثما تأتي الشرطة؟".

"نعم، أنت محق في ذلك. لتظل هنا وسوف أصعد وأتصل بالشرطة سريعًا".

صعد الدرج بسرعة، ودق جرس الشقة بالطابق الأعلى، ففتحت بات الباب وهي تبدو جميلة متوردة الوجه مرتدية مريلة الطهو، ثم اتسعت عيناها في دهشة.

"أنت؟ كيف خرجت يا دونوفان؟ هل حدث شيء؟".

فأمسك يديها بكلتا يديه قائلاً: "لا تقلقي يا بات، فقط اكتشفنا اكتشافًا سيئًا في الشقة بأسفلنا: امرأة ميتة".

فشهقت قائلة: "أوه! يا له من أمر فظيع. هل تعرضت لنوبة مرضية أو شيء من هذا القبيل؟".

"كلا. إنها تبدو بحالة جيدة ـ بل تبدو مقتولة".

"أوه، دونوفان!".

"أعرف أن الأمر فظيع حقًا".

ظلت يداها متشبثتين بيديه، كم كان يحبها، فهل كانت تهتم به؟ ربما ظن ذلك فى بعض الأوقات، وأحياناً كان يخشى من جيمى فولكينر ـ وحينما تذكر أن جيمى منتظر على أحر من الجمر بأسفل شعر بالذنب؛ فسارع قائلاً:

"يجب أن نتصل بالشرطة".

فانبعث خلفه صوت يقول: "إن السيد على صواب. وفى الوقت نفسه، وبينما ننتظر الشرطة يمكننى أن أقدم ولو مساعدة يسيرة".

كانا واقفين عند باب الشقة، وأخذا يحدقان نحو منبسط الدرج، فإذا بشخص واقف فوق السلم بدرجات قليلة ثم هبط حيث يرونه.

كانا يحدقان فى رجل صغير الحجم ذى شارب كث، ورأس بيضاوى الشكل يرتدى عباءة متأنقة وفى قدمه خف مطرز، وانحنى بأناقة وهو يحيى بات قائلاً:

"آنستى! ربما تعرفين أننى أسكن بالشقة العلوية، فأنا أحب أن أسكن بأعلى حيث الهواء والاستمتاع برؤية لندن فى الأفق. قد استأجرت الشقة باسم السيد أوكونور، ولكننى لست أيرلنديًا، بل أحمل اسمًا آخر، ولهذا فإننى أتجرأ على أن أضع نفسى فى خدمتك. فلتسمحى لى!".

وحينئذ أخرج من جيبه بطاقة، وبتباهٍ أعطاها لـ"بات"، فقرأت:

"السيد. هركيول بوارو. أوه!" ثم حبست أنفاسها: "وهل أنت السيد بوارو؟ التحرى الشهير؟ وهل ستساعدنا؟".

"هذا ما أنوى القيام به يا سيدتى. وقد عرضت مساعدتى تقريبًا فى وقت مبكر من هذا المساء".

فبدت علامات الدهشة على بات.

"لقد سمعتكم وأنت تتحدثون عن كيفية الدخول إلى شقتك، ولأنى ماهر فى فتح الأقفال فقد كان بمقدورى بلا شك أن أفتح لكم الباب ولكنى أحجمت عن أن أعرض هذا خشية أن ينتابك الشك فىّ".

فضحكت بات.

وتوجه بوارو نحو دونوفان قائلاً: "والآن ادخل يا سيدى واتصل بالشرطة، وسوف أنزل إلى الشقة بأسفل".

هبطت بات الدرج معه فوجدا جيمى واقفًا يراقب المكان، فشرحت له بات وجود بوارو، فقام بدوره يشرح له مغامرته مع دونوفان.

"أتقول إن باب المطبخ لم يكن موصدًا؟ فدخلتما المطبخ ولكن الأضواء لم تعمل".

ثم خطا نحو المطبخ وهو يتحدث وضغط بأصابعه على المفتاح الكهربائي. وحينما أضاء المصباح قال: "إنه يعمل الآن. إننى أتعجب!".

وحينئذ رفع إصبعه ليصمت الجميع. فقطع الصمت صوت خافت؛ وكان صوت شخير واضح.

ثم خطا على أطراف أصابعه عبر المطبخ إلى حجرة صغيرة ففتح بابها وأنار الضوء. كانت الحجرة أشبه بحجرة كلب، ولكنها صممت بحيث تتسع لفرد واحد. فقد كان السرير يشغل تقريبًا كل مساحة الحجرة، وعلى السرير كانت ترقد فتاة ذات خدود حمراء. كانت راقدة على ظهرها وفمها مفتوح عن آخره وهي تشخر في هدوء.

فأطفأ بوارو النور ثم رجع خطاه قائلاً:

"لن نوقظها، سنتركها نائمة حتى تصل الشرطة".

ثم عاد إلى حجرة الجلوس، فانضم إليهم دونوفان وقال حابسًا أنفاسه: "ستصل الشرطة سريعًا، وينبغي ألا نلمس شيئًا".

فأومأ بوارو قائلاً: "لن نلمس شيئًا، بل سنلقي فقط نظرة على المكان".

وذهب إلى الحجرة، وكانت ميلدرد قد انضمت إليهم مع دونوفان، فوقف الأربعة عند الباب وهم يراقبونه باهتمام حابسين أنفاسهم.

فقال دونوفان: "إن ما لا أستطيع فهمه يا سيدي هو أنني لم أقترب من النافذة - فكيف جاء الدم إلى يدي؟".

"إن الإجابة على هذا أمامك مباشرة. فما هو لون غطاء المائدة؟ أحمر أليس كذلك؟ من المؤكد إذن أنك قد وضعت يدك على المائدة".

"نعم فعلت ذلك. هل هذا --"، ثم توقف فأومأ إليه بوارو برأسه وهو يتكئ مستندًا على المائدة مشيرًا بيده إلى بقعة سوداء على اللون الأحمر.

ثم قال بهدوء: "لقد ارتُكِبَت الجريمة هنا ثم نُقِلَت الجثة بعد ذلك".

ثم نهض واقفًا، وأخذ يجوب بعينيه ببطء في أرجاء الغرفة دون أن يتحرك أو يلمس شيئًا بينما ظل الأربعة الآخرون يراقبونه وكأنه قد استطاع بنظره الثاقب أن يكشف سر كل قطعة أثاث في ذلك المكان الكريه.

وأومأ بوارو برأسه وكأنه راض عن شيء، ثم خرجت منه تنهيدة على نحو تلقائي قائلاً: "لقد فهمت".

فتساءل دونوفان في فضول قائلاً: "فهمت ماذا؟".

فقال بوارو: "لقد فهمت ما شعرت أنت به؛ أن الحجرة مكتظة بالأثاث".

فارتسمت ابتسامة حزينة على وجه دونوفان، قائلاً: "لقد أقحمت نفسي بين قطع الأثاث، فقد كان كل شيء مختلفًا عن حجرة بات، ولم أستطع أن أكتشف ذلك".

فرد بوارو قائلاً: "ليس كل شيء".

فنظر إليه دونوفان مندهشًا.

فقال بوارو على نحو اعتذاري: "أعني أن هناك بعض الأشياء التي دائمًا ما توجد في أماكن واحدة دون اختلاف؛ ففي مبنى يحتوي على مجموعة من الشقق

يكون الباب والنافذة والمدفأة فى مكان موحد فى الغرف التى تلى بعضها البعض".

فتساءلت ميلدرد وهى تنظر إلى بوارو نظرة باهتة تنم عن عدم استحسانها لما يجرى قائلة: "ألا يبدو حديثكما هذا متعلقًا بأمور هامشية وبعيدًا عن جوهر الموضوع الرئيسي؟".

فرد بوارو: "يجب على المرء أن يتحدث دائمًا بدقة متناهية، وهذا هو ما يمكن أن نسميه واحدة من هواياتى البسيطة".

وحينئذ سُمع صوت أقدام على الدرج. ودخل ثلاثة رجال: مفتش شرطة، وشرطى، وطبيب جراح. وحينما رأى المفتش بوارو ألقى عليه تحية توقير وتبجيل ثم استدار نحو الآخرين.

واستهل حديثه قائلاً: "سأحصل على أقوال كل منكم على حدة، ولكن أولاً ـــ".

فقاطعه بوارو قائلاً: "لدىَّ اقتراح يسير. سنصعد إلى الشقة بالطابق الأعلى، وسوف تقوم هذه السيدة بإعداد ما كانت تنوى القيام به ـ ستعد لنا العجة فأنا أحبها كثيرًا. وبعد أن تنتهى من إعدادها ستأتى إلينا، وتسأل ما بدا لك".

وسارت الأمور وفقًا لهذا الاقتراح، وصعد بوارو معهم.

وتوجهت بات إليه قائلة: "أعتقد أنك رجل لا تفوتك فائتة، وسوف تستمتع بالعجة اللذيذة فأنا مميزة فى إعدادها".

"حسنا سيدتى، ذات مرة كنت أحب فتاة إنجليزية صغيرة، وكانت تشبهك كثيرًا، ولكن للأسف! لم تكن تعرف الطهو. على أية حال أعتقد أن الأمور قد سارت على ما يرام".

كان صوته يوحى بحزن خافت فنظر إليه جيمى فولكينر بفضول.

لقد بذل قصارى جهده بكلامه السابق كى يجعل الأمور تبدو مسلية، فنسى الجميع تقريبًا تلك المأساة البشعة بأسفل.

وتناول الجميع العجة، وأثنوا عليها، وحينئذ سمعوا صوت أقدام المفتش قادمًا ومعه الطبيب بينما ظل الشرطى بأسفل.

وقال: "حسناً سيد بوارو، إن الأمر يبدو واضحًا لا خداع فيه ومع ذلك فربما سنجد صعوبة فى الإمساك بالجانى. والآن فإننى أود أن أعرف كيف تم اكتشاف الجريمة".

فأخذ جيمى ودونوفان يقصّان أحداث المساء، فاستدار المفتش نحو بات موبخًا إياها بقوله:

"يجدر بك ألا تتركى باب المطبخ مفتوحاً. يجب ألا تفعلى ذلك".

فردت بات برعشة قائلة: "لن أتركه مفتوحًا مرة ثانية، فربما يدخل أحدهم ويقتلنى مثل تلك المرأة المسكينة بأسفل".

فقال المفتش: "آه! على الرغم من أنهم لم يدخلوا بهذه الطريقة".

فقال بوارو: "ستحكى لنا ما الذى اكتشفته، أليس كذلك".

"لا أدرى، لا يجدر بى أن ـــ ولكن كما ترى يا سيد بوارو ـــ".

فقال بوارو: "نريد خلاصة الوقائع، ولن يتفوه هؤلاء الشباب بشىء".

فرد المفتش قائلاً: "ستعرف الصحافة بهذه الجريمة فى وقت قريب، وعلى أية حال، فليس بالأمر سر، فقد أتيت بالبواب ليتعرف على الجثة وتبين أنها جثة السيدة جرانت، والتى كانت فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمرها، كانت جالسة على المائدة حينما أطلق عليها شخص ما ـ ربما كان جالسًا على المائدة أيضًا فى مقابلها ـــ الرصاص من مسدس آلى من العيار الصغير فسقطت للأمام؛ وهذا يفسر لنا كيف لُطخت المائدة بالدماء".

فتساءلت ميلدرد قائلة: "ولكن ألم يسمع أحد صوت المسدس؟".

"لقد كان المسدس مزودًا بكاتم للصوت؛ ومن ثم فلا يمكن أن يسمع أحد شيئاً، وبالمناسبة هل سمعت صرخة

الذعر التى أطلقتها الخادمة حينما علمت بمقتل سيدتها؟ إن هذا يوضح لنا أن أحدًا لم يسمع صوت المسدس".

وتساءل بوارو: "أليس لدى الفتاة ما تقوله لنا؟".

"لقد كان هذا المساء هو يوم خروجها، وكان لديها مفتاح خاص بها، ودخلت فى حوالى العاشرة؛ ولأن كل شىء كان يبدو هادئاً فقد ظنت أن سيدتها قد نامت".

"ألم تلق نظرة على حجرة الجلوس".

"بلى، فقد أخذت الخطابات التى جاءت عن طريق البريد المسائى ووضعتها هناك، غير أنها لم تر شيئاً يلفت انتباهها تمامًا مثلما حدث مع السيد فولكينر والسيد بايلى؛ وذلك لأن القاتل كان قد أخفى الجثة بإحكام خلف الستائر".

"ولكن ألا تعتقد أن ذلك كان تصرفًا غريبًا منه؟".

رغم أن صوت بوارو كان رقيقًا للغاية إلا أنه كان يشى بشىء جعل المفتش ينظر بسرعة لأعلى، قائلاً:

"لقد تعمد ذلك حتى لا تُكتشف الجريمة قبل هروبه".

"ربما ـ ربما ـ ولكن استمر فيما كنت تقول".

"لقد خرجت الخادمة فى الساعة الخامسة، وقد حدد الطبيب أن الوفاة قد حدثت تقريبًا منذ أربع أو خمس ساعات، أليس كذلك؟".

فما كان من الطبيب الذى كان قليل الكلام إلا أن أومأ برأسه مؤكدًا ما قيل.

"إنها الآن الثانية عشرة إلا ربع، وأعتقد أن الوقت الفعلى من الممكن أن ينقص ساعة على وجه التقريب".

ثم أخرج ورقة مجعدة وقال:

"لقد أخرجنا هذه الورقة من جيب فستان القتيلة، يمكنك أن تمسك بها فليست عليها بصمات".

فبسط بوارو الورقة، فوجد عليها بعض الكلمات مطبوعة بالأحرف الكبيرة وبشكل صغير منمق تقول:

"*سآتى لرؤيتك فى تمام السابعة والنصف هذا المساء - ج. ف*".

فعلّق بوارو وهو يرجع الورقة للمفتش قائلاً: "لماذا يترك خلفه وثيقة تعرّضه للشبهة؟".

فقال المفتش: "حسناً، إنه لم يعرف أن هذه الورقة كانت بجيبها؛ فقد ظن أنها قد تخلصت منها. والدليل على ذلك أنه كان رجلاً حذرًا حريصًا؛ فقد عثرنا على المسدس المستعمل فى الجريمة تحت الجثة دون أن يكون عليه بصمات، فقد أزيلت البصمات بعناية باستخدام منديل حريرى".

فقال بوارو: "وكيف عرفت أن ذلك تم بمنديل من الحرير؟".

فرد المفتش فى زهو قائلاً: "لأننا قد عثرنا عليه، ومن المؤكد أن المنديل قد سقط منه دون أن يدرى حينما كان يشد الستائر".

ثم ناول بوارو منديلاً أنيقًا كبيرًا من الحرير.

ولم يكن بوارو فى حاجة إلى أصابع المفتش كى تشير إلى العلامة الموجودة بمنتصف المنديل؛ لقد كان المنديل موسومًا بعلامة واضحة وبشكل أنيق.

وبصوت عالٍ قرأ بوارو:

"جون فريجر".

فرد المفتش قائلاً: "إن الأحرف المختصرة على الورقة: ج. ف — تشير إلى هذا الاسم، جون فريجر؛ ومن هنا يمكن القول بأننا حينما نكتشف القليل عن المرأة المقتولة وعلاقاتها فسوف نحصل على خيط يوصلنا إليه".

فقال بوارو: "إننى مندهش يا سيدى. فقد كنت أظن إلى حد ما أنه لن يكون من السهل أن نتوصل إلى هويته؛ فهو رجل غريب حقًا، فتارة يكون حذرًا حينما يضع علامة على منديله، ثم يقوم بمسح البصمات عن المسدس الذى ارتكب به الجريمة، وتارة يكون مهملاً حينما يفقد منديله، ولا يقوم بالبحث عن خطاب ربما يمثل دليل إدانة ضده".

فرد المفتش قائلاً: "لقد كان مضطربًا".

فقال بوارو: "نعم، من المحتمل. ولكن ألم يُر داخلاً المبنى؟".

"إن المبانى الكبيرة غالبًا ما يدخل ويخرج منها الناس على اختلاف أنواعهم"، ثم توجه إلى الأربعة مخاطباً إياهم قائلاً: "ألم ير أحدكم شخصًا ما خارجًا من الشقة؟".

فهزت بات رأسها، قائلة: "لقد خرجنا مبكرًا، فى حوالى الساعة السابعة".

فنهض المفتش واقفًا وهو يقول: "لقد فهمت". ثم اصطحبه بوارو إلى الباب وسأله قائلاً:

"هل لك أن تُسدى إلىَّ صنيعًا بسيطًا؟ هل تسمح لى بأن أتفحص الشقة بأسفل؟".

"بالطبع يا سيد بوارو، فأنا أعرف رأى القيادة فيك. لدىَّ مفتاحان، سأترك لك واحدًا، ستجدها خالية فقد غادرتها الخادمة وذهبت إلى بعض أقاربها لخوفها من بقائها فيها بمفردها".

فشكره بوارو، ثم عاد إلى الشقة وهو يفكر مليًا.

فقال له جيمى: "ألست مقتنعًا؟".

فرد بوارو قائلاً: "كلا، لست مقتنعًا".

فنظر إليه دونوفان فى فضول قائلاً: "ما الذى يثير قلقك؟".

لم يجب بوارو، بل ظل صامتًا مقطبًا جبينه لدقيقة أو اثنتين، وكان يفكر، ثم أتى بحركة مفاجئة بكتفيه.

وقال لـ"بات": " تصبحين على خير يا سيدتى، فمن المؤكد أنك تشعرين بالإجهاد لأنك قمت بأعمال كثيرة من الطهو".

فضحكت بات قائلة: "لم أعِدّ شيئًا سوى العجة، ولم أطهُ شيئًا للغداء فقد جاء دونوفان وجيمى وخرجنا معهما إلى مكان صغير فى سوهو".

"وبلا شك، فقد ذهبت إلى المسرح. أليس كذلك؟".

"نعم، شاهدنا مسرحية عيون كارولين البنية".

فقال بوارو: "آه. كان يجب أن تسمى العيون الزرقاء — عيون الآنسة الزرقاء".

ثم أومأ إيماءة مهذبة وتمنى للمرة الثانية ليلة سعيدة لـ"بات"، وكذلك لـ"ميلدرد"، التى طلبت منها بات أن تقضى الليلة معها لخشيتها من بقائها بمفردها تلك الليلة الرهيبة.

اصطحبه الشابان، وعندما أغلق الباب وهما على وشك أن يودعاه عند منبسط الدرج، قال:

"لقد سمعتمانى يا أصدقائى وأنا أقول بأننى لستُ مقتنعًا؟ حسنًا، فسوف أذهب الآن لعمل بعض التحريات اليسيرة، وسوف تأتيان معى، أليس كذلك؟". فوافقا على الفور وتقدمهما بوارو إلى الشقة، ثم وضع المفتاح الذى أخذه من المفتش فى الباب. عندما دخل لم يذهب إلى حجرة الجلوس كما توقعا، بل ذهب مباشرة إلى المطبخ، وفى تجويف صغير كان يستخدم كحجرة لغسل الأطباق وجد سلة كبيرة، ففتح بوارو غطاءها وانحنى وهو يفتش فيها بقوة وسرعة كبيرة.

ظل جيمى ودونوفان يحدقان إليه فى دهشة.

وفجأة وبصيحة انتصار اعتدل واقفًا رافعًا بيده زجاجة صغيرة مقفلة بسدادة.

وقال: "لقد عثرت على ما كنت أبحث عنه"، ثم أخذ يشمها بحذر قائلاً: "إننى عبقرى، لقد وجدت ما كنت أبتغيه".

فأخذ دونوفان الزجاجة وبدأ يشم بدوره، غير أنه لم يشم رائحة، فنزع السدادة ورفع الزجاجة إلى أنفه قبل أن يصيح بوارو محذرًا إياه.

وبينما يخر ساقطًا كجذع شجرة وثب بوارو فأدركه قبل وقوعه.

ثم صاح قائلاً لجيمى: "يا له من أحمق معتوه! كيف ينزع السدادة بهذا الشكل المتهور؟! ألم ير كيف أننى تعاملت معها بحذر شديد؟ ألا تتكرم يا سيد جيمى وتحضر لى بعضًا من العصير. فقد لاحظت ثلاجة مشروبات بحجرة الجلوس.

وأسرع جيمى ذاهبًا، وحينما عاد وجد دونوفان جالسًا وقد استرد وعيه، بينما بوارو يلقى إليه محاضرة قصيرة عن أهمية وضرورة الحذر عند شم مادة ربما تكون سامة.

فقال دونوفان وهو ينهض مترنحًا على قدميه: "أعتقد أننى سأذهب إلى المنزل، هذا إن لم يكن هناك داع لوجودى فمازلت أشعر باعتلال يسير".

"بالطبع، وهذا هو خير ما تقوم به. انتظر هنا لبرهة يا سيد فولكينر سأعود على الفور".

ثم اصطحب دونوفان إلى الباب، وأخذا يتحدثان معًا بالخارج على منبسط الدرج لدقائق قليلة. وحينما عاد بوارو

ثانية إلى الشقة وجد جيمى واقفًا بحجرة الجلوس وهو يحدق حوله بعينين حائرتين.

فقال: "حسنا سيد بوارو، وماذا بعد ذلك؟".

"لا شىء، لقد انتهت القضية".

"ماذا؟".

"لقد عرفت كل شىء الآن".

فحدق إليه جيمى قائلاً: "من خلال الزجاجة الصغيرة التى عثرت عليها؟".

"تمامًا. من خلال تلك الزجاجة الصغيرة".

فهز جيمى رأسه قائلاً: "لا أفهم شيئاً. ولكن لسبب أو لآخر يمكننى أن أرى أنك غير مقتنع بدليل الإدانة ضد جون فريجر، أيًا كان".

فكرر بوارو بهدوء: "أيًا كان. هذا إن كان هناك شخص ما يحمل هذا الاسم أصلاً".

"لا أفهم".

"إنه مجرد اسم تم نقشه بعناية على منديل".

"ولكن ماذا عن الخطاب؟".

"هل لاحظت أنه قد كتب مطبوعًا؟ فلماذا؟ سأخبرك. إن الكتابة بخط اليد يمكن تمييزها بسهولة، ومن السهل جدًا أن يقتفى أثر خطاب مكتوب بخط اليد؛ ومن ثَمَّ فلو أنه كان هناك شخص حقيقى يحمل اسم جون فريجر كتب هذا الخطاب فما كان سيترك هذين الدليلين لإدانته؛ ومن هنا، فقد كتب الخطاب عن عمد، ووضعه فى جيب

الجثة لكى نعثر عليه. ليس هناك أحد باسم جون فريجر".

فنظر إليه جيمى في دهشة.

فاستطرد بوارو قائلا: "ومن ثم فقد توصلت إلى ذلك الاستنتاج الذى أذهلنى فى البداية، لقد سمعتنى أقول بأن هناك بعض الأشياء التى يتوحد مكانها فى غرفة ما لظروف معينة، وقد ذكرت ثلاثة أمثلة. والمثال الرابع يا صديقى هو مفتاح المصباح الكهربائى".

ظل جيمى محدقًا دون أن يفهم شيئاً، بينما استطرد بوارو قائلاً:

"إن صديقك دونوفان لم يقترب من النافذة، وإنما تلطخت يداه بالدماء حينما استند بها على المائدة. وسألت نفسى: لماذا استند بيديه هناك على المائدة؟ ما الذى كان يفعله وهو يتجول بهذه الغرفة فى الظلام؟ ولتتذكر جيدًا يا صديقى أن مفتاح المصباح الكهربائى دائمًا ما يكون فى مكان واحد بعينه ـ بجوار الباب، فلماذا ـ حينما دخل هذه الحجرة ـ لم يتحسس مكان الزر ويشغله؟ لقد كان هذا هو الشيء الطبيعي والعادى الذى كان عليه أن يفعله. وطبقًا لقوله، فقد حاول أن يشغل مفتاح الإضاءة ولكنه لم ينجح، إلا أننى حينما جربت نفس المفتاح كان يعمل بشكل جيد. فهل كان يريد إذن ألا يضيء النور فى تلك اللحظة؟ وذلك لأنه لو أضاء النور لاكتشفتما على الفور

أنكما قد أخطأتما الشقة، ومن ثَمَّ فلن يكون هناك سبب يدعو إلى دخول هذه الحجرة".

"ما الذى تلمح إليه سيد بوارو؟ إننى لا أفهم ما الذى تعنيه؟".

"إننى أعنى ــ هذا".

ورفع بوارو مفتاحًا.

فتساءل جيمى: "وهل هو مفتاح هذه الشقة؟".

"كلا، بل مفتاح الشقة العلوية، إنه مفتاح شقة الآنسة باتريشيا، والذى أخذه دونوفان بايلى من حقيبتها فى وقت ما هذا المساء".

"ولكن لماذ ... لماذا؟".

لكى يتمكن من فعل ما أراد، وهو دخول هذه الشقة بطريقة محكمة لا تدعو إلى الارتياب. وقد تأكد فى وقت مبكر من هذا المساء من أن باب المطبخ غير موصد".

"أين عثرت على المفتاح؟".

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه بوارو قائلاً: "لقد عثرت عليه للتو فى جيب دونوفان. إن تلك الزجاجة الصغيرة التى تظاهرت بعثورى عليها لم تكن سوى حيلة وخُدع بها دونوفان. فقد فعل الشيء الذى كنت أعرف أنه سيفعله ـ لقد نزع السدادة وأخذ يشم فى الزجاجة التى تحتوى على مادة إيثيل الكلورايد وهى مادة مطهرة قوية المفعول، وقد أفقدته الوعى لدقيقة أو اثنتين وهى المدة التى كنت أحتاج إليها، وأخرجت من جيبه الشيئين

اللذين كنت أعرف أنهما معه. أحدهما، هذا المفتاح والآخر هو ـــ".

وحينئذ توقف، ثم استطرد قائلاً:

"لقد تساءلت حينما ذكر المفتش السبب الذى جعل الجانى يخفى الجثة خلف الستائر. وكان الجواب: ليكسب وقتًا! كلا، بل كان هناك ما هو أهم من ذلك. ومن هنا أخذت أفكر فى شىء واحد. البريد. ذلك البريد المسائى الذى يصل فى حوالى الساعة التاسعة والنصف. ولنفترض أن القاتل لم يجد شيئًا مما كان يتوقع العثور عليه، وأن هذا الشىء ربما يأتى عن طريق البريد. فلابد إذن أن يعود ثانية، ولكن يجب ألا تكتشف الخادمة الجريمة عند عودتها وإلا ستصبح الشقة فى أيدى الشرطة. لذلك فقد أخفى الجثة خلف الستارة، وبالتالى لم ترتب الخادمة فى شىء، فوضعت الخطابات كالمعتاد على المائدة.

"الخطابات؟".

فأخرج بوارو شيئًا من جيبه وقال: "نعم، الخطابات، وهذا هو الشىء الثانى الذى أخذته من دونوفان حينما كان فاقدًا للوعى!"، ثم أظهر له مظروفًا مكتوبًا عليه بالآلة الكاتبة وموجهًا للسيدة إيرنشتاين جرانت. ثم استطرد قائلاً: "ولكن دعنى أسألك أولاً يا سيد فولكينر قبل أن نلقى نظرة على محتوى هذا الخطاب: ألا تحب الآنسة باتريشيا؟".

"إننى أهتم بها كثيرًا. للأسف. ولكننى لم أتخيل يومًا أن تواتينى الفرصة".

"أتعتقد أنها تهتم بدونوفان؟ ربما بدأت تهتم به، ولكن ذلك لم يكن سوى بداية يا صديقى. وعليك أن تجعلها تنسى ذلك؛ بأن تقف بجوارها فى محنتها".

فرد جيمى فى حدة قائلاً: "محنة؟".

"نعم، إنها محنة، وسوف نبذل قصارى جهدنا كى نبقيها بعيدًا عن القضية، ولكن من المستحيل أن يتم ذلك بشكل تام، فقد كانت بمثابة الدافع إلى الجريمة".

ثم فتح المظروف الذى كان معه وأخرج محتواه. كان الخطاب عبارة عن مذكرة من مكتب محاماة.

سيدتى العزيزة.

إن الوثيقة التى أرفقتها صحيحة تمامًا، فضلاً عن أن إبرام الزواج فى بلد أجنبى لا يبطلها بحال من الأحوال.

المحامون

وحينئذ بسط بوارو المرفقات التى كانت عبارة عن عقد زواج بين دونوفان بايلى وإيرنشتاين جرانت منذ ثمانى سنوات.

فصاح جيمى قائلاً: "يا إلهى! لقد ذكرت بات بأنها قد تلقت رسالة من المرأة تطلب رؤيتها، ولكنها لم تتوقع أن يكون الأمر مهمًا".

فأومأ بوارو قائلاً: "لقد ذهب دونوفان ليرى زوجته هذا المساء قبل أن يصعد إلى شقة باتريشيا، ولسخرية القدر أن تلك المرأة ذات الحظ العثر جاءت لتعيش فى هذا المبنى حيث تعيش ضرتها. لقد قتلها بوحشية، ثم ذهب ليرفه عن نفسه فى المساء، ومن المؤكد أن زوجته قد أخبرته بأنها قد أرسلت عقد الزواج إلى محاميها، وأنها تنتظر منهم ردًا. ومما لا شك فيه أنه قد حاول أن يقنعها بأن عقد الزواج به خطأ ما".

فسرت رعدة فى أوصال جيمى، قائلاً: "لقد بدا مبتهجًا طوال المساء فهل ستدعه يفلت؟".

فرد بوارو بثقة قائلاً: "لا تخف، فلن يهرب".

فقال جيمى: "إنها بات التى أهتم بأمرها كثيرًا، فقد كانت بالفعل تهتم به".

فقال بوارو برقة: "وهذا هو دورك يا صديقى أن تجعلها تهتم بك أنت وتنساه. ولا أعتقد أنك ستجد صعوبة فى ذلك!".

مغامرة جونى ويفرلى

قالت السيدة ويفرلى للمرة السادسة تقريباً: "بإمكانك تفهم مشاعر الأم".

كانت عيناها تفيضان بالاستعطاف وهى تنظر نحو بوارو؛ صديقى الضئيل الذى يظهر فى العادة تعاطفاً مع الأمهات المكلومات، فأومأ برأسه مطمئناً إياها.

"نعم، نعم، إننى أتفهم الأمر تماماً، عليك أن تثقى فى بوارو".

فبدأ السيد ويفرلى حديثه قائلاً: "لكن الشرطة ـــ"

فلوحت زوجته مقاطعة: "لا أريد سماع المزيد عن الشرطة. لقد وثقنا بهم وانظر ماذا حدث! لكننى سمعت الكثير عن السيد بوارو وعن أعماله الرائعة التى قام بها، مما جعلنى أشعر أن بإمكانه مساعدتنا. إن مشاعر الأم ـ"

وبسرعة أوقف بوارو تكرارها للجملة بإيماءة ذكية. إن مشاعر السيدة ويفرلى تبدو صادقة، لكن تلك المشاعر اختلطت على نحو غريب مع هيئتها الصارمة والجامدة. ولا عجب فى ذلك، فحين سمعتُ مؤخراً أنها ابنة رجل صناعة الصلب الشهير فى مدينة برمنجهام والذى شق

طريقه فى الحياة، بدءاً من خادم فى مكتب إلى ما هو فيه الآن من مكانة رفيعة، أدركتُ أنها قد ورثت العديد من صفات والدها.

كان السيد ويفرلى رجلاً ضخماً، متورد الوجه بشوشاً، وقد جلس مباعداً بين قدميه وبدا كأحد ملاك الأرض الريفيين.

"أظنك تعرف كل شيء عن الأمر سيد بوارو؟".

بدا السؤال غير وجيه، فمنذ عدة أيام مضت والصحف تمتلئ بالأخبار المثيرة عن اختطاف جونى ويفرلى الصغير، ذلك الطفل الذى يبلغ من العمر ثلاث سنوات ووريث ماركوس ويفرلى، سليل عائلة ويفرلى كورت، وهى إحدى أقدم عائلات إنجلترا!

"إننى أعرف الحقائق الأساسية بالقطع، لكن أعد علىّ القصة بكاملها، وبكل تفاصيلها إذا سمحت".

"حسناً، أظن أن بداية الأمر كانت منذ عشرة أيام خلت حين تلقيت خطاباً من مجهول ــ ذكر فيه أموراً وحشية على كل حال ـ لم أستطع إيجاد بداية لها من نهاية. وكان لكاتب الخطاب طلب رئيسى وهو أن أدفع خمسة وعشرين ألف جنيه ـ خمسة وعشرين ألف جنيه سيد بوارو! وإذا لم أوافق على الدفع فإنه سيخطف ابنى جونى. وبالطبع ألقيت بالخطاب فى سلة المهملات دون فعل شيء. وقد ظننت أن الخطاب مجرد مزحة. لكننى بعد خمسة أيام تلقيت خطاباً آخر يقول: "إن لم

تدفع فسيتم اختطاف ابنك فى يوم التاسع والعشرين من الشهر". كان ذلك الخطاب فى يوم السابع والعشرين وبدأت أدا حينئذٍ تشعر بالقلق، لكن لم يكن باستطاعتى النظر للأمر على نحو جدى. اللعنة، إننا فى إنجلترا، حيث لا أحد يخطف أطفالاً ويطالب بفدية مقابل إرجاعهم".

فقال بوارو: "إنه عمل غير دارج بالفعل. تابع الحكاية سيدى".

"حسناً، لم ترحمنى أدا. ولهذا قمت ـ ولحماقتى ـ بإبلاغ شرطة سكوتلاند يارد بالأمر. ويبدو أنهم لم يأخذوا الأمر على نحو جدى ـ فقد مالوا إلى ما رأيته من أن الأمر لا يعدو كونه مزحة سخيفة. وفى الثامن والعشرين من الشهر تلقيت خطاباً آخر: "أنت لم تدفع، ولدك سيُخطف فى الحادية عشرة من ظهر الغد، الموافق التاسع والعشرين، وستكلفك استعادته خمسين ألفاً". فتوجهت من فورى إلى سكوتلاند يارد مرة أخرى. وقد اهتموا هذه المرة، ومالو إلى أن الخطاب قد كتب بشكل طائش، وأن الاحتمال الغالب أنه محاولة من نوع ما ستنفذ فى الساعة المحددة، وأكدوا لىّ أنهم سيتخذون كل الاحتياطات اللازمة، وأن المفتش ماكنيل ومعه قوة كافية سيأتيان إلى ويفرلى غداً ويتسلمون زمام الأمر.

عدت إلى بيتى أكثر ارتياحاً، لكن مشاعرنا ظلت كما هى من حيث الإحساس بوجود حصار حولنا. أصدرت

أوامرى بمنع اقتراب الغرباء، وعدم مغادرة أى شخص للمنزل. وقد مر الليل من دون أى حوادث غير منتظرة. ولكن فى صباح اليوم التالى كانت زوجتى على غير ما يرام وبملاحظتى حالتها، أرسلت فى طلب الدكتور داكرز. وقد حيرته الأعراض التى كانت عليها، وبينما كان هو متردداً فى تشخيص الحالة على أنها حالة تسمم، أدركت أن هذا هو ما يجول بخاطره. لم يكن فى الأمر خطورة حسب ما أكد لى، لكن الأمر سيستغرق يوماً أو اثنين حتى تتمكن من مغادرة الفراش ثانية. وحين عدت إلى غرفتى، صعقت حين وجدت رسالة وضعت على وسادتى، كانت بنفس خط اليد الذى كتبت به الخطابات الثلاثة واحتوت على ثلاث كلمات فقط: "فى الثانية عشرة".

وأعترف سيد بوارو أننى استشطت غضباً! فهذا الشخص فى المنزل، إنه أحد خدمى فى هذا البيت. فجمعتهم وأسمعت الجميع كلاماً قاسياً من يمنتهم إلى يسرتهم. إنهم لم يشوا ببعضهم قبل ذلك قط، لكن الآنسة كولينز، مساعدة زوجتى، أخبرتنى أنها رأت ممرضة جونى تتسلل مبكرة هذا الصباح. فواجهتها بذلك القول فانهارت. لقد تركت الطفل لمساعدة التمريض لتقابل صديقاً لها ــ رجل! إنها أخبار سارة! ونفت أن تكون هى من وضع الرسالة على وسادتى. ربما كانت تقول الحقيقة. لا أعلم، لكننى شعرت أنه ليس علىّ المخاطرة بترك ممرضة الطفل التى قد تكون طرفاً فى المؤامرة. إن

أحد هؤلاء الخدم كان متورطاً وإننى على ثقة من ذلك وفى النهاية فقدت أعصابى وطردت الجميع، طردت الممرضة، وطردت الكل. سمحت لهم بساعة يحزمون فيها أمتعتهم ويغادرون المنزل".

زادت حمرة وجه السيد ويفرلى بمقدار الضعف لمجرد تذكره حالة غضبه تلك.

قال بوارو: "ألم يكن هذا التصرف متسرعاً بعض الشىء يا سيدى؟ فلربما تكون قد سهلت مهمة عدوك بتصرفك هذا".

فحدق فيه السيد ويفرلى قائلاً: " لا أعتقد ذلك. لقد فصلت كل الطاقم الذى لدىّ. تلك كانت فكرتى. وأرسلت إلى لندن لاستقدام طاقم جديد، ولم يبق فى البيت سوى أهل ثقتى وهم الآنسة كولينز مساعدة زوجتى وتردويل رئيس الخدم والذى كان فى المنزل منذ كنت غلاماً".

"وماذا عن الآنسة كولينز هذه، منذ متى وهى تعمل لديكم فى المنزل؟".

قالت السيدة ويفرلى: "عام واحد فقط، وهى لا تعوض بالنسبة لى كمساعدة، فضلاً عن أنها مديرة منزل ماهرة".

"وماذا عن الممرضة؟".

"إنها تعمل لدىّ منذ ستة أشهر. وقد التحقت للعمل لدينا بتوصيات ممتازة. لكنى لم أكن أحبها قط، رغم أن جونى كان مولعاً بها".

"لكن ما علمته حتى الآن، أنها كانت قد غادرت العمل لديكم وقت حدوث المصيبة. لو تفضلت سيد ويفرلى لتكمل ما بدأت".

فتابع السيد ويفرلى قصه للرواية.

"وصل المحقق ماكنيل فى حوالى الساعة العاشرة والنصف. كان الخدم قد غادروا جميعاً، وقد أعلن عن ارتياحه الشخصى للإجراءات التى اتخذت بالمنزل. كان لديه كثير من الرجال الموزعين فى الحديقة ومداخل المنزل، وقد أكد المحقق أنه لو لم يكن الأمر كله مجرد خدعة، فإننا سنقبض على هذا المرسل الغامض دون شك".

أخذت جونى إلى جوارى. وكنت أنا وهو والمحقق مجتمعين فى غرفة نسميها غرفة التشاور. وقد أغلق المحقق الباب علينا. كان بالغرفة ساعة حائط كبيرة تعود لجدى، وبينما كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة كانت درجة عصبيتى تضاهى عصبية هر فى هذه اللحظة ولا أجد حرجاً فى الاعتراف بذلك. سمعت صوت تحرك العقرب ثم دقت الساعة تمام الثانية عشرة. أمسكت جونى بشدة فى تلك اللحظة. فقد كان لدىّ شعور بأن رجلاً قد يهبط من السماء ليأخذه. ومع آخر دقات الساعة، سمعنا صوت اضطراب شديد خارج المنزل ـ كان صياحاً وهرولة. فأسرع المحقق نحو النافذة، وأقبل عليه أحد الضباط عدواً.

قال الضابط: "لقد أمسكنا به سيدى. لقد كان يتسلل عبر الأشجار وقد تمت السيطرة عليه بشكل كامل".

فأسرعنا نحو المشى حيث وجدنا ضابطين يمسكان برجل تبدو عليه سمات التوحش ويرتدى ملابس رثة، وكان ينثنى ويتلوى فى محاولات يائسة للتملص. وقد أظهر أحد رجال الشرطة لفافة مفتوحة كان قد انتزعها من الرجل. كانت اللفافة تحتوى على قطعة من القطن والصوف وزجاجة من مخدر الكلوروفورم. وقد غلى دمى لرؤيتى هذه الأشياء. وكان فى اللفافة أيضاً رسالة موجهة إلىّ، ففتحتها ووجدت بها الكلمات التالية: "كان عليك أن تدفع. ولكى تفدى ابنك الآن عليك دفع خمسين ألفاً. فرغم كل احتياطاتك التى اتخذتها، تم اختطافه فى الساعة الثانية عشر من يوم التاسع والعشرين كما قررت".

وضحكت عالياً لهذه الكلمات، كانت ضحكة ارتياح، لكنى بعد ذلك سمعت زمجرة محرك ينطلق وصيحة شخص ما. وحينما استدرت وجدت سيارة تسير باتجاه الكوخ الجنوبى بسرعة جنونية. كانت السيارة رمادية اللون منخفضة الارتفاع وطويلة. كان قائدها هو من صاح تلك الصيحة. لكن ذلك لم يصبنى بالرعب الشديد، بل رؤيتى لشعر جونى المتجعد، لقد كان ولدى داخل هذه السيارة بجواره.

وانطلق المحقق فى حديثه وهو يقسم فى سخط.

صرخ قائلاً: "لقد كان الولد هنا قبل دقيقة"، وحانت منه التفاتة نحونا، فقد كان الجميع موجوداً؛ أنا وتردويل والآنسة كولينز. قال المحقق: "متى تركته آخر مرة سيد ويفرلى؟".

عدت بذهنى إلى الوراء محاولاً التذكر. فحين ناداني الضابط، جريت إلى الخارج مع المحقق، ونسيت أمر جونى كلية.

"بعد ذلك سمعنا صوتاً أفزعنا جميعاً. لقد كانت دقات ساعة القرية تصل إلينا من داخل القرية، وصدرت عن المحقق آهة حينما أخرج ساعته ونظر فيها فإذا هي الساعة الثانية عشرة تماماً. وفى توافق كامل جرينا جميعاً نحو غرفة التشاور، وكانت الساعة بها قد وصلت إلى الحادية عشرة وعشر دقائق. لقد عبث أحدهم بالساعة عمداً، لأننى لم أرها تقدم أو تؤخر مطلقاً قبل الآن. إنها ساعة دقيقة جداً".

توقف ويفرلى وضحك بوارو فى نفسه، ثم عدل سجادة صغيرة كان الوالد المذعور قد أزاحها جانباً.

غمغم بوارو قائلاً: "مشكلة بسيطة وممتعة. سوف أقبل التحقيق فيها بكل سرور. لقد تم التخطيط لها بشكل *رائع حقاً*".

فرمقته السيدة ويفرلى بنظرة توبيخية، ثم صرخت قائلة: "ولكن ولدى".

استعاد بوارو اتزانه وتقمص شخصية الرجل العطوف ثانية، ثم قال: "إنه بأمان سيدتى، ولم يمسه أذى، وثقى أن خاطفيه الأوغاد سيعتنون به كل العناية، أليس هو الأوزة - لا بل الدجاجة - التى تبيض لهم ذهباً؟".

"سيد بوارو، إننى واثقة من أن شيئاً واحداً ينبغى القيام به - وهو دفع الفدية. إننى كنت رافضة لذلك فى بداية الأمر - ولكن الآن! مشاعر الأم —"

فصاح بوارو بسرعة: "لكننا قاطعنا الرجل فى سرده لما حدث".

فقال السيد ويفرلى: "أظن أنك تعلم بقية ما حدث على نحو جيد من الصحافة. لقد اتجه المحقق ماكنيل نحو الهاتف فى الحال، وسرعان ما تم توزيع نشرة بأوصاف السيارة وقائدها. وبدا الأمر أنه سيسير على ما يرام، فقد وافقت إحدى السيارات الأوصاف المعروضة، وبها رجل وطفل صغير، وقد مرت السيارة بعدة قرى، ويبدو أنها كانت متوجهة نحو لندن، وقد توقفت فى مكان ما، ولوحظ أن الطفل يبكى وبدا أنه خائف من مرافقه. وحين أعلن المحقق ماكنيل أن السيارة قد تم إيقافها واحتجاز الرجل والطفل، شعرت بالارتياح التام. وأنت تعرف البقية، فلم يكن الولد هو جونى، وكان قائد السيارة رجلاً موتوراً مغرماً بالأطفال، وقد أخذ معه طفلاً صغيراً، يلعب فى شوارع إيدنسويل، وهى قرية تبعد بحوالى خمسين ميلاً عنا، وكان الرجل قد أقله معه متلطفاً. وشكراً للحماقة

المؤكدة لجهاز الشرطة. فلو لم يتعقبوا السيارة، لربما وجدوا ولدى الآن".

"هدئ من روعك سيدى. إن الشرطة مجموعة من الرجال الشجعان الأذكياء. وقد كان خطؤهم خطأ طبيعياً للغاية. فقد كانت الخطة فى غاية المهارة. وبالنسبة للرجل الذى قبض عليه، علمت أنه أصر على الإنكار فى دفاعه. وأعلن أن الرسالة المكتوبة والطرد اللذين كانا معه قد أعطيا له ليسلمهما فى ويفرلى كورت. والرجل الذى سلمه الطرد أعطاه ورقة بعشرة شلنات ووعده بعشرة شلنات أخرى إذا سلم الطرد فى غضون عشر دقائق أو إحدى عشرة دقيقة على الأكثر. فاقترب الرجل من المنزل وطرق الباب الجانبى".

فقالت السيدة ويفرلى بحرارة: "إننى لا أصدق كلمة من هذا. إنه طرد من الأكاذيب".

فقال بوارو بشكل تلقائى: "فى الواقع، إن القصة تبدو متباعدة، لكنه مصر حتى الآن على أقواله. وأعلم أيضاً أنه قد توجه باتهام ما؟".

كانت نظرته استفهامية نحو السيد ويفرلى. فازداد وجه هذا الأخير احمراراً.

"لقد بلغ بهذا الرجل الوقاحة إلى أن يشير إلى تردويل على أنه هو من أعطاه الطرد. عليه اللعنة، أيتهم تردويل الذى ولد فى هذا المنزل؟!".

ابتسم بوارو قليلاً نتيجة سخط ذلك الرجل الريفى، وقال: "لكنك قد اشتبهت بالفعل فى أن يكون أحد الأشخاص من داخل المنزل متورطاً فى عملية الاختطاف".

"نعم، اشتبهت، لكن إلا فى تردويل".

فسأل بوارو السيدة ويفرلى وهو يستدير نحوها فجأة: "وأنت، سيدتى؟".

"لا يمكن أن يكون تردويل هو من بعث الرسالة ولا الطرد - إن كان هناك أصلاً من بعثهما - فأنا لا أصدق ذلك. لقد قال إن الطرد أعطى له فى العاشرة، وفى العاشرة كان تردويل مع زوجى فى غرفة التدخين".

"هل استطعت رؤية وجه الرجل الذى كان فى السيارة سيدى؟ هل كان يشبه تردويل بأى درجة؟".

"لقد كان أبعد من أن أتمكن من رؤية وجهه".

"هل لدى تردويل أخ تعرفه؟".

"كان لديه الكثير من الإخوة، لكنهم ماتوا جميعاً، آخرهم قتل فى الحرب".

"إننى لم أتثبت بعد من أمر ساحات المنزل. لقد كانت السيارة تسير باتجاه الكوخ الجنوبى، هل هناك مدخل آخر للمنزل؟".

"نعم. نسميه الكوخ الشرقى. بالإمكان رؤيته من الجانب الآخر للمنزل".

"يبدو غريباً، ألا يتمكن أحد من ملاحظته وهو يدخل المنزل".

"إن عدداً كبيراً من السيارات يدخل هناك، ولابد أن الرجل قد وقف بسيارته فى المكان المناسب وانطلق ناحية المنزل فى اللحظة التى حدث فيها الهرج الذى لفت انتباهنا جميعاً".

فقال بوارو: "لو لم يكن بالمنزل فعلاً، فهل هناك أى مكان بالمنزل يمكنه الاختباء فيه؟".

"الحقيقة أننا لم نقم بتفتيش المنزل من قبل، فلم تبد لنا حاجة فى ذلك. ربما اختبأ فى مكان ما بالمنزل، لكن من الذى قد يسمح له بالدخول؟".

"سنأتى على ذلك فيما بعد. خطوة خطوة ــ دعنا نكن منهجيين. أليس هناك ملجأ للاختباء فى ويفرلى كورت؟ فهو مكان قديم، وربما كان فيه ما يسمونه حفر الاختباء".

"يا إلهى، إن لدينا حفرة اختباء تفتح فى إحدى فتحات أرضية الصالة".

"هل هى بجوار غرفة المشاورات؟".

"إنها خارج باب هذه الغرفة مباشرة".

"هذه إذن!".

"لكن أحداً لا يعرف بوجودها سواى أنا وزوجتى".

"وماذا عن تردويل؟".

"حسناً ــ ربما يكون قد سمع بها".

"والآنسة كولينز؟".

"إننى لم أذكر ذلك لها قط".

ففكر بواور للحظة ثم قال:

"حسناً، سيدى. الخطوة التالية بالنسبة لى هى القدوم إلى ويفرلى كورت. هل يناسبكم إذا وصلت بعد ظهر اليوم؟".

فصاحت السيدة ويفرلى قائلة: "أوه، بأسرع ما يمكن سيد بوارو. ولتقرأ ذلك ثانية".

سلمته فى يده آخر رسالة وصلتهم من الخاطف فى هذا الصباح والتى جعلتهم يلجأون إلى بوارو. لقد كان بالرسالة توجيهات واضحة وذكية بشأن دفع الفدية، وانتهت بتهديد مفاده أن حياة الولد ستكون مقابل أية خيانة من جانبهم. وبات واضحاً أن حب المال لدى السيدة ويفرلى يتصارع بشدة مع حبها المتأصل لولدها، وأن حبها لولدها كانت له الغلبة فى النهاية هذا اليوم.

مال بوارو على السيدة ويفرلى من خلف زوجها ليسألها:

"سيدتى، قولى لى الصدق، هل تتفقين مع زوجك بخصوص رئيس الخدم، تردويل؟".

"ليس لدىّ ما يدينه سيد بوارو، ولا يمكننى تصور اشتراكه فى أمر كهذا، لكننى ـ حسناً، إننى لم أحبه قط".

"شىء آخر سيدتى، هلا أعطيتنى عنوان المرضة؟".

"١٤٩ طريق نيتراول، هامرسميث. لا يمكنك تخيل ــ".

"إننى لا أتخيل مطلقاً. أنا أقوم فقط بتشغيل هذه الخلايا الرمادية الضئيلة، وأحياناً، أحياناً فقط، تواتينى فكرة ما".

عاد بوارو ثانية إلىّ بعد أن أغلق الباب.

"إذن فالسيدة لا تحب هذا الخادم. إنه أمر مثير للاهتمام، أليس كذلك هاستنجز؟".

ورفضت الانزلاق إلى الخدعة، لقد خدعنى بوارو مرات كثيرة. أما الآن فإننى حريص للغاية، فهناك دائماً فخاخ فى مكان ما.

بعد أن دخلنا دورة مياه عمومية، انطلقنا نحو طريق نيتراول. وكنا محظوظين بما يكفى، فقد وجدنا الآنسة جيسى ويذر فى منزلها. كانت امرأة جميلة فى الخامسة والثلاثين من العمر، وكانت تبدو بارعة وناضجة. ولم أستطع أن أتخيل أن تكون متورطة فى أمر كهذا. كانت ساخطة بشدة على الطريقة التى طردت بها، لكنها اعترفت بأنها كانت مخطئة. إنها مرتبطة برسام بغرض الزواج منه وقد تصادف وجوده فى الجوار، فأسرعت لمقابلته. وقد بدا ذلك طبيعياً تماماً، إننى لم أستطع فهم بوارو، فقد بدت كل أسئلته بعيدة عن الموضوع؛ حيث إنه قد اهتم فى أسئلته بالحديث عن روتينها اليومى فى قلعة ويفرلى. والحقيقة أنى شعرت بالملل من تلك الأسئلة، وسعدت حين قرر بوارو الرحيل.

قال بوارو وهو يوقف سيارة أجرة فى طريق هامرسميث ويأمر سائقها بالتوجه إلى ووترلو: "إن الخطف عملية سهلة يا عزيزى، كان من الممكن أن يختطف هذا الطفل بسهولة كبيرة فى أى يوم على مدار الأعوام الثلاثة الماضية".

علقت ببرود على أسئلته قائلاً: "لا أرى أن ذلك يساعدنا كثيراً".

"على العكس، إنه يساعدنا بالكثير. لكن بشكل بشع! إذا أردت أن تضع مشبكاً فى ياقتك يا هاستنجز فعليك أن تضعه فى المنتصف تماماً. وفى الوقت الحالى فإنه على الأقل موضوع ناحية اليمين قليلاً".

كان ويفرلى كورت قصراً قديماً جميلاً وقد تمت استعادة بهائه حديثاً ببعض الذوق والاهتمام. وقد أرانا السيد ويفرلى غرفة التشاور والحديقة وكل الأجزاء التى تتعلق بالقضية فى المنزل، وفى النهاية وبناءً على طلب بوارو ضغط السيد ويفرلى على زر زنبركى فى الحائط، فانزاح جزء من الحائط وظهر ممر قادنا إلى حفرة الاختباء.

قال السيد ويفرلى: "كما ترى لا شيء هنا".

كانت الغرفة الصغيرة خالية تماماً، ولم يكن بها حتى أثر قدم على أرضيتها. تبعت بوارو حين مال باهتمام نحو علامة فى الركن.

"ماذا تفعل بهذه يا صديقى؟".

كانت هناك أربع بصمات مجتمعة.

فضحك قائلاً: "إنها لكلب".

"كلب صغير جداً يا هاستنجز".

"كلب من نوع البوم".

"بل أصغر من البوم".

فقلت متشككاً: "فهل يكون جريفون مثلاً؟".

"بل أصغر من كلب جريفون. إنه من سلالة لا يعرفها نادى مجتمع الكلاب".

نظرت إليه. كان وجهه مضيئاً بالإثارة والرضا.

غمغم قائلاً: "لقد كنت على حق، كنت أعلم أننى على حق. تعال يا هاستينجز".

خرجنا من الغرفة نحو الصالة وأغلقت الفتحة وراءنا، فى الوقت الذى مرت فيه سيدة شابه تخرج من باب بعيد إلى الممر، فعرفنا بها السيد ويفرلى قائلاً:

"الآنسة كولينز".

كانت الآنسة كولينز فى الثلاثين من عمرها تقريباً، وكانت تتصرف بطريقة رشيقة ونشيطة، كان لها شعر جميل، لكنه غير مصفف، وكانت ترتدى نظارة أنيقة.

وبناء على طلب بوارو، عبرنا إلى غرفة صباحية صغيرة، وبدأ فى سؤالها بشأن الخدم وخصوصاً ترودويل، وقد اعترفت بأنها لا تحبه.

وقالت موضحة: "إنه يعطى نفسه أكبر من قدره".

ثم سألها بعد ذلك عن الطعام الذى تناولته السيدة ويفرلى ليلة الثامن والعشرين، وأوضحت الآنسة كولينز

أنها شاركتها الطعام من نفس الأصناف فى غرفة جلوسها العلوية. لم تشعر بهذه الأعراض. وبينما كانت تسير مغادرة الغرفة، غمزت بوارو.

همست له قائلاً: "اسألها عن الكلب".

فابتسم ابتسامة عريضة وقال: "أوه، نعم، الكلب! هل هناك أى كلب يتم الاحتفاظ به هنا على أى نحو يا آنستى؟".

"يوجد اثنان من كلاب الصيد فى بيت الكلاب بالخارج".

"لا، إننى أقصد كلباً صغيراً، كلب لعبة".

"كلا ــ لا يوجد شيء من هذا القبيل".

فسمح لها بوارو بالانصراف. ثم دق الجرس، ومال نحوى قائلاً: "إنها تكذب، وربما فعلت الشيء ذاته لو كنت فى مكانها. والآن إلى رئيس الخدم".

كان تردويل رجلاً مهيباً. وقد حكى ما لديه فى ثبات كامل، وقد كان كما رواه السيد ويفرلى بشكل رئيسى. وقد أقر بمعرفته بسر حفرة الاختباء. وحين انصرف على طريقته الوقورة، نظرت فى عينى بوارو المتسائلة:

"ما الذى تستخلصه من هذا كله يا هاستنجز؟".

فكررت السؤال: "ماذا ترى أنت؟".

"كم أصبحت حذراً يا هاستنجز. إنك لا تشغل الخلايا الرمادية أبداً إلا إذا حفزتها. أوه، ولكننى لن أراودك أكثر

من ذلك. دعنا نقم باستنتاجات معاً، ما هى النقاط التى واجهتنا وتمثل صعوبة فى الحل؟".

فقلت: "هناك شىء واحد يحيرنى؛ لماذا خرج الخاطف من الناحية الجنوبية، ولم يخرج من الشرق حيث لا يستطيع أحد رؤيته؟".

"هذه نقطة جيدة يا هاستنجز، بل نقطة ممتازة. وسأقر أنا بنقطة أخرى؛ وهى لماذا قام بتحذير أسرة ويفرلى أولاً؟ لماذا لم يقم بخطف الطفل ثم طلب الفدية من والديه؟".

"لأنه طمع فى الحصول على المال دون التورط فى الفعل".

"وبالطبع لم يكن من المحتمل دفع المال مقابل مجرد تهديد؟".

"وقد أرادوا أيضاً تركيز الانتباه على الساعة الحادية عشرة حتى إذا ما قبض على الرجل الذى معه الخطاب، تمكن الآخر فى الدخول عبر مخبئه والخروج بالطفل دون أن يلاحظه أحد".

"هذا لا يغير حقيقة أنهم قاموا بعمل صعب فى سهولة شديدة. فلو لم يحددوا وقتاً أو تاريخاً لكان من اليسير جداً عليهم أن يستغلوا أى فرصة ويختطفوا الطفل داخل سيارة فى وقت يكون هو خارج المنزل مع المربية".

فوافقته فى تردد: "نعم".

"فى الحقيقة يبدو أن هناك تدبيرا مقصوداً للمشهد! والآن دعنا نتناول الأمر من جانب آخر. كل الشواهد تؤكد أن هناك مشاركة من داخل المنزل فى هذا الأمر. والنقطة الأولى تتمثل فى تسميم السيدة ويفرلى، والثانية هى تثبيت الخطاب بوسادة السيد ويفرلى، والثالثة هى تأخير الساعة عشر دقائق. أما الحقيقة الإضافية التى ربما لا تكون قد لاحظتها فهى أن حفرة الاختباء خالية من الغبار. لقد تم كنسها بمكنسة.

والآن، إذن، لدينا أربعة أفراد فى المنزل. يمكننا استبعاد المربية لأنه ليس بإمكانها تنظيف حفرة الاختباء، رغم أنها كانت حاضرة فى الأحداث الثلاثة الأولى. فلدينا إذن أربعة أشخاص: السيد والسيدة ويفرلى، وتردويل، رئيس الخدم، والآنسة كولينز. ولنأخذ فى البداية الآنسة كولينز. ليس لدنا الكثير ضدها، عدا أننا لا ندرى عنها سوى القليل، وأنها كما يبدو شابة ذكية للغاية، وأنها فى المنزل منذ عام واحد فقط".

فذكرته بالقول: "ولكنك قلت إنها كذبت بخصوص الكلب".

ابتسم بوارو ابتسامة غامضة وقال: "أوه، نعم، الكلب. دعنا ننتقل إلى تردويل. هناك شكوك كثيرة حوله. وهذا لسبب واحد وهو اتهام ذلك المتسكع له بأنه هو من أعطاه الطرد فى القرية".

"لكن لدى تردويل حجة غياب فى هذا الوقت".

"وغير هذا، فهو يستطيع وضع السم للسيدة ويفرلى. ويستطيع تثبيت الملحوظة على وسادة السيد ويفرلى. ويمكنه تأخير الساعة وكنس حفرة الاختباء. لكن على الجانب الآخر، فإن تردويل قد ولد ونشأ فى خدمة عائلة ويفرلى. ولا يبدو أنه قد يشارك فى خطف أحد أطفال العائلة؛ فالصورة ليست على هذا الشكل".

"حسناً! ثم ماذا؟".

"علينا أن نسير بالأمر بشكل منطقى - رغم ما قد يبدو من سخف الظنون. سنفترض باختصار أن السيدة ويفرلى هى المختطفة. لكننا سنجد أنها ثرية. والمال مالها الذى استعادته بعد خسارتها له. وليس لديها سبب يدفعها لخطف ابنها ثم دفع مالها إليها ثانية، وفى الحقيقة لدىّ تصور أن السيدة ليست مغرمة بمشاركة أحد فى مالها إلا لسبب وجيه. أما السيد ويفرلى فيبدو أنه هدفنا".

فغمغمت قائلاً: "مستحيل".

"ليس مستحيلاً على الإطلاق. فمن الذى صرف الخدم؟ إنه السيد ويفرلى. باستطاعته أيضاً كتابة الخطابات، ودس السم لزوجته، وتأخير الساعة، وترتيب حجة غياب قوية لخادمه المخلص تردويل. إن تردويل لم يحب السيدة ويفرلى قط. لقد كان مكرساً نفسه لسيده ومستعداً لطاعة أوامره دون تردد. لقد تورط فى هذا الأمر ثلاثة: ويفرلى، وتردويل، وشخص ثالث من أصدقاء ويفرلى. وهنا يقع خطأ الشرطة التى لم تقم باستقصاءات إضافية حول هوية

الشخص الذى قاد السيارة الرمادية مع الطفل الخطأ. لقد كان ذلك الرجل هو الشريك الثالث. لقد كان أحد أطفال القرية المجاورة، وقد ورد أنه طفل له شعر مجعد، ثم دخل بالسيارة من ناحية الكوخ الشرقى ثم خرج من الناحية الجنوبية فى اللحظة المناسبة تماماً، ملوحاً بيده وهو يصيح. لم يكن بمقدورهم رؤية وجهه أو رؤية رقم السيارة، لذا فإنه من الواضح أنهم لم يروا وجه الطفل كذلك. ثم قصد إلى رحلة وهمية باتجاه لندن، وفى ذلك الوقت كان تردويل قد أتم الجزء الخاص به بشأن الطرد والخطابات وسلمهما إلى ذلك الرجل فظ المظهر، فى حين تمكن سيده من توفير حجة غياب له بخصوص تمييز ذلك الشخص له، وذلك رغم حلفه ببراءة خادمه. أما بالنسبة للسيد ويفرلى فبمجرد حدوث الجلبة خارج المنزل، واندفاع المحقق خارجاً، قام بإخفاء الطفل داخل حفرة الاختباء، ثم تبع المحقق. وبعد ذلك وفى نفس اليوم، وبعد إزاحة المحقق والآنسة كولينز من الطريق، سهل عليه أن يتجه بالطفل إلى مكان آمن بسيارته الخاصة".

فسألته: "ولكن ماذا عن الكلب وكذب الآنسة كولينز فى شأنه؟".

"تلك كانت مزحة صغيرة. لقد سألتها إن كان هناك أية كلاب لعب هنا فى المنزل فقالت لا، لكن لا شك أنه كان فى المنزل بعض منها - فى حجرة نوم الطفل! لقد

وضع السيد ويفرلى بعضاً من اللعب فى حفرة الاختباء كى يظل جونى مستمتعاً وهادئاً".

دخل السيد ويفرلى الغرفة وقال: "سيد بوارو، هل اكتشفت أى شيء؟ هل وجدت أى دليل على المكان الذى أخذ إليه ولدى؟".

أعطاه بوارو ورقة وقال: "هذا هو العنوان".

"لكنها ورقة فارغة".

"هذا لأننى أنتظر منك تدوين العنوان فيها".

تحول لون وجه السيد ويفرلى إلى اللون القرمزى وهو يقول: "ما الذى ـــ".

"إننى أعرف كل شيء يا سيدى. وأنا أمنحك الآن أربعاً وعشرين ساعة لإعادة الصبى، وبراعتك ستكون كفيلة بتفسير ظهوره ثانية، وإلا فإننى سأخبر السيدة ويفرلى بالتسلسل الكامل للأحداث".

انهار السيد ويفرلى على كرسى وأخفى وجهه بيديه وقال: "إنه لدى ممرضتى العجوز، على بعد عشرة أميال من هنا. وهو سعيد ويحظى بالرعاية الكاملة".

"لا شك لدىّ فى ذلك. فلو أننى لم أقتنع بأنك أب حنون طيب القلب لما منحتك فرصة أخرى".

"الفضيحة ـــ".

"بالضبط. إن اسم عائلتك عريق وشريف. فلا تلوثه ثانية. طاب مساؤك يا سيد ويفرلى. آه، بالمناسبة، إليك هذه النصيحة. لا تنس كنس الأركان أبداً".

الطيور السوداء الأربعة والعشرون

كان هيركيول بوارو يتناول عشاءه مع صديقه هنرى بوننجتون، فى مطعم جالانت إندافور بشارع كينجز رود بمدينة تشيلسى.

كان السيد هنرى بوننجتون شغوفاً بهذا المطعم فهو يحب جوه الهادئ، ويفضل أن يكون الطعام "بسيطاً" و"إنجليزياً" وبعيداً عن الخلطات العجيبة.

حيته مولى، نادلة المطعم العطوف، كصديق قديم. وقد عودت نفسها على تذكر ما يحبه وما يكرهه الزبائن فيما يخص الطعام.

قالت والرجلان يأخذان مكانهما على طاولة بأحد الأركان: "مساء الخير، سيدى أنت محظوظ هذه الليلة، فلدينا الرومى المحشو بالكستناء، وهو المفضل لديك، أليس كذلك؟ ولدينا أفضل ما قد تصادفه من جبنة ستيلتون الشهية! هل ستتناول الحساء أولاً أم السمك؟".

تم الاتفاق على ما يريدونه من طعام، ثم مال السيد بوننجتون إلى الخلف مع تنهيدة وهو ينفض منديل المائدة بينما كانت مولى قد انصرفت مسرعة.

قال مستحسناً: "إنهـا فتـاة ممتـازة، كانـت ذات يـوم بارعـة الحـسن حتـى أن الفنـانين اعتـادوا رسمهـا فـى لوحاتهم. كما أنها غزيرة المعرفة بأمور الطعام ـ وهذا أهم ما فيها، فليس لدى النساء حس فيما يخص الطعام بشكل عام. فهناك الكثير من النساء اللواتى إن رافقن أحداً يبدأن فى سرد قصص عديمة النفع، ولا يلحظن حتـى مـا أكلنـه من طعام، ويطلبن أول صنف يعرض عليهن".

هز هيركيول بوارو رأسه وقال بالفرنسية: "هـذا شـىء فظيع".

فتابع بوننجتون متمماً فكرته: "أما الرجال، فهم ليسوا كذلك، ولله الحمد".

فقال هيركيول بوارو وهـو يغمـز بعينـه: "ليـسوا كـذلك أبداً؟".

فقـال الـسيد بوننجتـون فـى إذعـان: "حـسناً، ربمـا يكونـون كـذلك فـى شـبابهم المبكـر، فكـل الـشباب الآن يشبهون بعضهم تماماً فى كل شيء ـ فـلا شـجاعة لـديهم ولا قوة تحمل. إنهـم يكرهـوننى ـ وأنـا"، ثـم تـابع فـى إصرار: "وأنا أكـرههم. وربمـا كـانوا علـى صـواب! لكنـك حين تسمع بعضاً منهم يتحدث تظن أنه لم يعـد مـن حـق من تجاوز الستين مواصلة *الحياة!* ومـن العجيـب أنهـم لا يساعدون أقاربهم من العجائز فى آخر أيام حياتهم".

قال هيركيول بوارو: "مـن الممكـن فعـلاً أن يكـون هـذا دأبهم".

"إن لديك عقلاً رائعاً يـا بـوارو. لكنـى أرى أن أعمالـك البوليسية هذه تسلبك مثلك العليا".

فقال بوارو مبتسماً: "ولكن من الممتع جداً التحقيق فـى سلسلة من حالات الوفاة العارضة وأنت تتجاوز الستين من العمر. إننى على ثقة من أنها ستزيد مـن الحـس الفـضولى. لكن أخبرنى يا صديقى العزيز عـن أحوالـك أنـت، كيـف تسير الحياة بك؟".

فقال السيد بوننجتون: "تسير فى حـال مـن الفوضـى، فهذه هى حال العالم فى هذه الأيام؛ الكثير مـن الفوضـى، والكثير جداً من زخرف الكلام، فالكلام المزخـرف يـساعد على إخفاء حالة الفوضى، مثـل الـصلصة الرائعـة الرائحـة التى تخفى حقيقة السمك المتعفن تحتها. أعطنـى شـريحة لحـم صـافية بـدون أى إضـافات، ولا أريـد تلـك الـصلصة الفوضوية مهما كانت الرائحة".

وقد قدمت له مولى هـذه الـشريحة فـى تلـك اللحظـة، فغمغم هو فى إشارة رضا، ثم قال: "إنـك تعلمـين حقـاً مـا أحبه يا عزيزتى".

"حسناً، إنك تأتى هنا بانتظام سيدى، ألـيس كـذلك؟ وكان لزاماً علىّ أن أعرف ما تحب".

فقال هيركيول بوارو: "هل يميـل النـاس، إذن، لحـب الأشياء ذاتها دائماً، ألا يفكرون فى التغيير أحياناً؟".

"هذه ليست عادة الرجال، النـساء هـن اللاتـى يحـببن التنوع ـ لكن الرجال يدأبون على حب الأشياء ذاتها".

فقال بوننجتون: "ما الذى أخبرتك بـه منـذ قليـل؟ لا يتصف النساء بالحكمة حين يتعلق الأمر بالطعام".

ثم نظر فى أرجاء المطعم وقال:

"إن هذا العـالم غريـب حقـاً، هـل تـرى ذلـك العجـوز غريب الهيئة؛ ذلك الملتحى الذى يجلس فـى الـركن؟ إن مولى ستخبرك بأنه يأتى هنا فـى ليـالى الثلاثـاء والخميس على الدوام. وهو يسير على هذا المنوال طيلة ما يقرب من عشر سنوات حتى الآن ـ لقد أصبح علماً مـن أعـلام هـذا المكان. ومع ذلك، فما من أحد هنـا يعـرف اسمـه ولا أيـن يعيش ولا ماذا يعمل. إن الأمر غريب حقاً حين تمعن فيه التفكير".

وحين قدمت مولى ومعها أجزاء من لحم الديك الرومى، قال: "أرى أن ذلك العجوز ما زال يأتيك بانتظام".

"هذا صحيـح يـا سيدى. إنـه يـأتى مساء كـل ثلاثـاء وخميس. تلك هى أيامه دائماً ولم يغير هذه القاعـدة سوى بقدومه يوم *الإثنين* فى الأسبوع الماضي! وقد أزعجنى ذلك بشدة! فقد حسبت أننى قـد أخطـأت فـى حسـاب أيـامى وأن اليوم هو الثلاثاء دون أن أعلم! لكنـه أتـى فـى الليلـة التالية أيضاً ـ فلنقل أن الاثنين إذن كان مجرد زيادة على عادته الأصيلة".

فغمغم بوارو قائلاً: "تغـيير فـى العـادة مـثير للاهتمـام. إننى أفكر فى السبب الذى قد يدفعه لذلك".

"حسناً، إذا سألتنى رأيى سيدى، فإننى أظن أنه كـان قلقاً ومنزعجاً من أمر ما".

"ما الذى جعلك تفسرين الأمر هكذا؟ هل هو مزاجه فى تلك الليلة؟".

"لا سيدى، لم يكن مزاجـه بالـضبط ـ فقـد كـان هادئـاً تماماً كما اعتدتـه؛ فلـم يكـن ينطـق سـوى بعبـارة "مسـاء الخير"، حين يأتى وحين يغادر ـ كلا، إننى أظن أن هـذا كان بسبب *طلبه للطعام*".

"طلبه للطعام؟".

فقالت مولى وهى خجلة: "أخشى أنك قد تـسخر مـنى سيدى، لكن حين يداوم رجل على القدوم إلى هـذا المكـان طيلة عشر سنوات، فإن هذا يجعلك تعرف مـا يحبـه ومـا يكرهه من أنواع الطعام. فهو لا يطيق أبداً نقـانق اللحـم أو فطائر التوت الأسود، ولم أعلم أبـداً أنـه أقـدم علـى طلـب حساء دسم، لكنه فى ذلك اليوم طلـب فـى طعامـه حسـاء طماطم دسماً وشريحة لحم بقرى وشحوم كلى وفطيرة توت أسود. فبدا وكأنه لم يكن مدركاً لما قد طلبه".

فقال هيركيـول بـوارو: "هـل تعلمين أننـى أرى الأمـر مثيراً للاهتمام على نحو غير عادى".

بدت مولى ممتنة لذلك ثم غادرتهم.

فقال هنرى بوننتجـون متضاحكاً: "حسـناً يـا بـوراو، لنستمع الآن لبعض استنتاجاتك لهـذا الأمـر، وبأفـضل مـا يمكنك".

"بل إننى أريد سماع استنتاجاتك أنت أولاً".

"هل تريدنى أن أكون واطسون؟ يبدو أن هذا الرجل العجوز قد ذهب لطبيبه الذى طلب منه تغيير نظامه الغذائي".

"يغير نظامه الغذائى ليتكون من حساء الطماطم الدسم، وشحم الكلى، وفطيرة توت أسود".

"ألا تصدق هذا يا صديقى العجوز؟ إن الأطباء هذه الأيام قد يقترحون عليك أى شيء".

"هل هذا هو التفسير الوحيد الذى تراءى لك؟".

فقال بوننجتون: "حسناً، إننى وعلى نحو جدى أرى أن هناك احتمالاً وحيداً، فصديقنا المجهول هذا ربما كان مصاباً بنوبة شديدة من التوتر الذهنى، شغلته على نحو كبير مما جعله يطلب أشياء لم يميزها بالفعل". ثم توقف لدقيقة وأضاف: "قد تقول لى إنك تعلم بالضبط *ما* يدور بعقله، وأنه قد قرر ارتكاب جريمة قتل".

ثم ضحك من اقتراحه.

لكن هيركيول لم يضحك.

بيد أنه اعترف فى تلك اللحظة بأنه قد شعر بالقلق على نحو جدى. ووجد أن عليه إذن الإلمام بما قد يحدث مع هذا الرجل.

وقد أكد له أصدقاؤه أن هذه ستكون فكرة رائعة.

كان قد مر ما يقرب من ثلاثة أسابيع حين التقى هيركيول بوارو وبوننجتون مرة ثانية ــ وكان لقاؤهما هذه المرة فى قطار الأنفاق، فأشارا لبعضهما وترنحا فى القطار، وتعلقا بالحلقات المثبتة فى أعلى العربة. وحين أقبلت محطة بيكادلى سيركس نزل جمع غفير من القطار فى تلك المحطة، ومن ثم فقد وجدا مقعدين على يمين النهاية الأمامية للعربة ــ فقد كانت زاوية آمنة لا يمر بها أحد أثناء الدخول أو الخروج.

قال السيد بوننجتون: "بالمناسبة، هل تذكر ذلك العجوز الذى لفت انتباهنا فى جالانت إندافور؟ إننى لن أعجب لو علمت أنه انتقل إلى عالم أفضل. فهو لم يأت إلى المطعم طيلة أسبوع، وهو الأمر الذى أزعج مولى كثيراً".

فقام بوارو واقفاً، وقال: "حقاً؟، حقاً؟".

فقال بوننجتون: "هل تذكر تفسيرى بأنه قد ذهب إلى طبيبه فغير له نظامه الغذائى؟ إن النظام الغذائى شيء أراه من الهراء ولا شك عندى فى ذلك ـ لكننى لن أعجب فى أنه استشار طبيباً فى أمر صحته وأن ما قاله له الطبيب قد أصابه بصدمة، وأن هذا هو ما دفعه لتلك الطلبات الغريبة عليه، والتى لم يدرك أنه قد طلبها وتناولها. ومن المحتمل أن تلك الصدمة قد عجلت برحيله عن هذا العالم على نحو لم يكن يتوقع سرعته. إن على الأطباء أن يكونوا حذرين فيما يخبرون به الناس".

فقال هيركيول بوارو: "إنهم كذلك عادة".

قال السيد بوننجتون: "إن هذه محطة نزولى. إلى اللقاء. ولا تظن أننا سنتمكن من معرفة هذا الرجل أو حتى اسمه، فياله من عالم غريب حقاً!".

وأسرع للخروج من العربة.

جلس هيركيول بوارو عابساً فى مقعده، ولم يبد أنه كان يفكر فى غرابة هذا العالم. فقد توجه إلى بيته وأعطى بعض التعليمات لخادمه المخلص جورج.

مرر هيركيول بوارو إصبعه على قائمة من الأسماء. وكانت سجلاً لحالات الوفاة التى حدثت فى منطقة معينة.

ثم أشار بإصبعه، وقال:

"هنرى جاسكوين؛ تسعة وستون عاماً. ربما كان هذا أول اسم ينبغى البدء به".

وفى وقت لاحق من نفس اليوم كان بوارو جالساً فى عيادة الجراحة الخاصة بالدكتور ماك أندرو التى تطل على شارع كينجز رود مباشرة. كان الدكتور ماك أندرو رجلاً طويلاً أحمر الشعر اسكتلندى الملامح وتبدو على وجهه أمارات النباهة.

قال: "جاسكوين؟ نعم، هذا صحيح. إنه ذلك العجوز غريب الأطوار. لقد كان يعيش وحده فى أحد تلك المنازل المتداعية القديمة التى تُزال فى هذه الآونة لبناء مجمع من الشقق الحديثة. إنه لم يكن قط أحد مرضاى الذين أقوم

على متابعتهم، لكننى كنت أراه من قبل وأعرف من يكون. وقد كان بائعو اللبن هم من كشفوا ما حل به، فقد بدأت قوارير اللبن فى التراكم أمام شقته، وفى النهاية بعث جيرانه فى طلب الشرطة، فكسروا الباب ووجدوه قد سقط من أعلى الدرج فانكسر عنقه. كان يرتدى رداء نوم منزلى قديماً به حزام ممزق، مما يشير إلى أنه قد تعثر به".

فقال بوارو: "أفهم ما تعنى. يبدو أنها كانت ببساطة مجرد حادثة".

"هذا صحيح".

"هل كان له أى أقارب؟".

"كان له ابن أخ، وقد اعتاد القدوم لزيارة عمه مرة كل شهر تقريباً. اسمه رامزى، جورج رامزى، وهو أيضاً طبيب يعيش فى ويمبلدون".

"كم ساعة كانت قد مرت على موت السيد جاسكوين حين اكتشفت وفاته؟".

فقال الدكتور ماك أندرو: "ها قد أتينا للأمور الرسمية. كان قد مر على موته أكثر من أربع وعشرين ساعة وأقل من اثنين وسبعين ساعة. لقد اكتشفت وفاته صباح السادس من هذا الشهر. والحقيقة أننا اقتربنا من التوقيت أكثر فقد وجدنا فى جيب ردائه المنزلى خطاباً كتب فى يوم الثالث، وأرسل من ويمبلدون فى مساء ذلك اليوم، وسُلم له قرب التاسعة والثلث. وهذا يجعل موعد وفاته فيما بعد الساعة التاسعة والثلث من مساء يوم الثالث من

هذا الشهر، وهذا ما يوافق محتويات معدته وعمليات الهضم؛ فقد تناول وجبة قبل وفاته بساعتين، وقد فحصته فى صباح السادس فوجدت الوضع يتفق مع حدوث الوفاة منذ ما يقرب من ستين ساعة - أى فى حوالى الساعة العاشرة من صباح الثالث من الشهر".

"إن هذا يبدو متسقاً تماماً. لكن أخبرنى متى كانت آخر مرة شوهد فيها حياً؟".

"لقد شوهد فى كينجز رود فى حوالى الساعة السابعة مساء نفس اليوم، مساء الثلاثاء، وقد تناول عشاءه فى مطعم جالانت إندافور فى حدود السابعة والنصف. يبدو أنه يتناول عشاءه هناك فى أيام الثلاثاء والخميس من كل أسبوع".

"هل كان له أقارب آخرون؟ بخلاف ابن أخيه؟".

"كان له أخ توأم، وقصتهما مثيرة للعجب، فلم يريا بعضهما منذ سنين، وحين كان هنرى شاباً اتجه للعمل كفنان، وهى كما تعلم مهنة فى غاية السوء. ويبدو أن الأخ الآخر أنتونى جاسكوين، قد تزوج من امرأة فاحشة الثراء واعتزل الفن - فتنازع الأخوان فى هذا الأمر ولم يعد أحدهما يرى الآخر منذ ذلك الحين، على حسب ظنى. لكن الغريب، أنهما *قد ماتا فى ذات اليوم*، فقد مات التوأم الأكبر فى الساعة الواحدة من يوم الثالث من الشهر. هذا وقد سمعت من قبل بموت متزامن للتوائم - ويعتبر هذا مصادفة فى كثير من أنحاء العالم - لكنه يحدث".

"هل مازالت زوجة الأخ الآخر حية؟".

"لا، لقد ماتت منذ ما يقارب العام".

"أين كان يعيش أنتونى جاسكوين؟".

"كان لديه منزل فى كينجستون هيل، وقد كان على ما أظن، وكما أخبرنى الدكتور رامزى، يعيش فى انعزال تام عن العالم".

أومأ بوارو برأسه مفكراً.

فنظر له الرجل ذو الملامح الاسكتلندية، على نحو متوتر وسأله بلهفة: "ما الذى يدور فى رأسك بالتحديد يا سيد بوارو؟ لقد أجبت على أسئلتك - بحكم واجبى وبعد التيقن من أوراقك. لكنى لا أفهم عن أى شىء يدور هذا كله".

فقال بوارو ببطء: "الأمر يدور حول قضية وفاة عارضة بسيطة - وهذا ما تقوله أنت. وأنا أفترض شيئاً فى ذات البساطة - وهو دفعة بسيطة".

فنظر الدكتور ماك أندرو مذهولاً.

"أنت تعنى جريمة قتل! هل لديك دلائل تؤيد هذا الاعتقاد؟".

فقال بوارو: "لا، كل ما هنالك مجرد افتراض".

فأصر الآخر قائلاً: "بل هناك شيء ـــ".

لم يرد بوارو.

فقال ماك أندرو: "إن كان رامزى هو محل اشتباهك فاسمح لى بالقول بأنك تسير فى الاتجاه الخاطئ. فرامزى

كان يلعب البريدج فى ويمبلدون من الثامنة والنصف وحتى منتصف الليل، وهذا ما تبين عند استجوابه".

فغمغم بوارو: "وهو ما يُفترض أن الشرطة قد تأكدت من صحته، فهم قوم حريصون".

قال الطبيب: "ربما لديك شيء ما ضده؟".

"إننى حتى لم أكن أعرف بوجوده إلا حين ذكرته لى".

"إذن فهل تشك بشخص آخر؟".

"لا، لا على الإطلاق. فهذه قضية عادات روتينية لمخلوق بشرى. وهذا فى غاية الأهمية. والسيد جاسكوين المتوفى لم يكن فى لياقته فسقط، فالموت نتيجة خطأ كما ترى".

"إننى حقاً لا أفهم".

فابتسم بوارو ووقف هو والطبيب.

فقال أندرو: "أتعلم. إننى وبكل أمانة لا أرى أى شبهة جنائية فى وفاة السيد هنرى جاسكوين".

فمد الرجل القصير يده مصافحاً وقال: "إننى رجل عنيد ـ رجل يملك فكرة ضئيلة، ولا يجد ما يدعمها به! بالمناسبة، دكتور ماك أندرو، هل كان لدى هنرى جاسكوين أسنان صناعية؟".

"لا، بل كانت لديه أسنانه الأصلية فى حالة ممتازة، لقد كانت رائعة بالنسبة لعمره".

"هل كان يهتم بها جيداً ـ هل كانت بيضاء وحسنة التنظيف؟".

"نعم، لقد لاحظتها بعد أن لفتت انتباهى".

"ألم يتغير لونها لأى سبب من الأسباب؟".

"لا، فهو لم يكن مدخناً، إذا كان ذلك ما تقصده".

"لم أقصد ذلك بالتحديد ـ كان ذلك خاطراً بعيداً، لن يكون صائباً على الأرجح. إلى اللقاء دكتور ماك أندرو وشكراً على لطفك".

وصافح الطبيب ثم مضى وهو يقول:

"والآن إلى الخاطر البعيد".

فى مطعم جالانت إندافور جلس بوارو على ذات الطاولة التى شارك فيها بوننجتون تناول العشاء. ولم تكن الفتاة التى كانت على خدمته هى مولى، فقد أخبرته الفتاة أن مولى فى إجازة.

كانت الساعة تقارب السابعة، ولم يجد هيركيول بوارو صعوبة فى بدء حوار مع الفتاة حول أمر السيد جاسكوين.

قالت الفتاة: "نعم، لقد كان يأتى هنا لسنوات وسنوات، لكن أياً منا لم يعرف اسمه. لقد علمنا بأمر التحقيق فى شأن موته بالصحف. ونشرت صورته فقلت لولى هذا هو الوالد العجوز كما اعتدنا تسميته".

"أظن أنه قد تناول عشاءه هنا فى ليلة موته، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح. كان ذلك فى يوم الخميس، ثالث أيام الشهر. لقد كان دائماً يأتى فى أيام الخميس ـ الخميس والثلاثاء ـ لقد كان دقيقاً كالساعة".

"قد لا تذكرين، حسب ظنى، ما طلبه تلك الليلة طعاماً لعشائه، أليس كذلك؟".

"دعنى أفكر، لقد طلب حساء الدجاج، نعم هذا صحيح، وطلب شريحة لحم بقرى أو ربما طلب لحم الضأن؟ لا لم يطلب دهوناً، هذا صحيح، وطلب فطيرة التفاح والتوت الأسود مع الجبن، ثم عاد لبيته ليقع على درج منزله ويموت فى نفس الليلة. لقد قالوا إن ذلك كان بسبب حزام روبه المنزلى المهترئ. لقد كانت ملابسه دائماً بشعة ـ عتيقة الطراز وغير متناسقة، وبالية، إلا أنه كان يثير جواً خاصاً فى المكان، رغم أنه *مجهول للكافة*! إن لدينا كل أنواع الزبائن المثيرين".

انصرفت النادلة.

وجلس هيركيول يأكل وحيداً.

متسلحاً بتصاريح خاصة من جهات مسئولة، لم يجد هيركيول بوارو صعوبة فى التعامل مع المحقق فى حالات الوفاة بالمقاطعة، والذى قال: "إن المتوفى، السيد جاسكوين، يدفع للفضول، فهو عجوز وحيد غريب

الأطوار. لكن موته جلب قدراً غير اعتيادى من الإثارة".
وكان ينظر نحو زائره ببعض الفضول أثناء حديثه.

اختار هيركيول بوارو كلماته بعناية وقال: "إن هناك ظروفاً متصلة بموته مما يجعل التحقيق فى القضية أمراً مرغوباً فيه".

"حسناً، كيف يمكننى مساعدتك؟".

"مساعدتك لى تكمن، على ما أرى، فى اختصاصك بتقرير مصير ما تجمع لديكم من وثائق إما بالتدمير أو بالحفظ، حسب ما يتراءى لك من المصلحة. فهناك خطاب معين كان قد وُجد فى جيب الروب المنزلى الذى كان يرتديه هنرى جاسكوين، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"هل هذا الخطاب، من ابن أخيه الدكتور جورج رامزى؟".

"بالضبط، وقد تم تقديم الخطاب إلى جهات التحقيق للمساعدة فى إثبات ساعة الوفاة".

"هل لا يزال هذا الخطاب متاحاً؟".

انتظر بوراو على قلق إجابة المحقق. وحين سمع منه أن الخطاب لا يزال متاحاً للفحص ندت عنه تنهيدة ارتياح. كان الخطاب مكتوباً بخط يد سيئ نوعاً ما، واستعمل قلم حبر فى الكتابة. وقد كان الخطاب على النحو التالى:

عمى العزيز هنرى:

إننى جد حزين لإخبارك بأننى قد فشلت فى مسعاى مع عمى أنتونى. فلم يبد حماسة لزيارة منْ قِبلك، إضافة إلى أنه لم يعطنى رداً على اقتراحك بنسيان الماضى والتجاوز عما فات. إنه بالطبع مريض بشدة، ويميل إلى الهذيان أحياناً. وأظن أن نهايته قريبة، فهو بالكاد يذكرك. إننى أكرر أسفى للفشل فى إنجاح الأمر، لكننى أؤكد لك أننى بذلت أقصى ما فى وسعى.

ابن أخيك المحب

جورج رامزى

كان الخطاب مؤرخاً بالثالث من نوفمبر. ولاحظ بوارو ختم البريد على المظروف والذى كان عليه توقيت ٤:٣٠ مساءً.

فغمغم قائلاً: "إنه فى موعده بالضبط، أليس كذلك؟".

كانت كينجستون هيل هى الوجهة التالية لدى بوارو. وبعد مشكلة بسيطة، ومع ممارسة بعض الإلحاح خفيف الظل، استطاع فتح حوار مع إميليا هيل وهى الطاهية ومديرة منزل الراحل أنتونى جاسكوين.

كانت السيدة هيل ميالة إلى الجمود والتشكك فى الغريب الآتى، لكن سرعان ما استطاع سحر لباقته أن يعمل عمله، فبدأت السيدة هيل فى اللين.

وجدت نفسها، كغيرها ممن سبقها من نساء كثيرات، تبدأ فى قص مشكلاتها الخاصة لمستمع متعاطف بشكل حقيقى.

فعلى مدار أربعة عشر عاماً كانت هى مسئولة عن إدارة منزل السيد جاسكوين *وليست* تلك بالمهمة السهلة! بالطبع لم تكن كذلك. فكثيرات كن سينهرن تحت وطأة الأعباء التى كانت تتحملها! وهى الأعباء التى لم يكن ينكرها الرجل المسكين صاحب المنزل، خصوصاً فيما كان يخص ماله ـ فقد كان لديه ما يشبه الجنون به ـ وفيما يخص كونه رجلاً ثرياً وما يترتب على ذلك! لكن السيدة هيل خدمت سيدها بإخلاص وتكيفت مع أساليب حياته، وكانت تتوقع بطبيعة الحال أى حجم من *التقدير*، لكنها لم تجد أياً من ذلك أبداً! حتى إن وصيته القديمة قد أعطت كل شيء لزوجته، فإذا ماتت زوجته قبل أخيه، فيعود كل شيء لأخيه هنرى. وقد وضعت تلك الوصية منذ سنوات، ولم تبد لها عادلة!

وبالتدريج استطاع بوارو أن يخرج بها من الحديث عن إخلاصها الذى لم تكافأ عليه. فقد كان ذلك ظلماً بيناً بلا شك. ولا تلام السيدة هيل على مشاعر الألم والاندهاش مما حدث. لقد كان معلوماً أن السيد جاسكوين بالغ الشح حتى قيل إن الرجل قد رفض مساعدة أخيه الوحيد. والغالب أن السيدة هيل على علم بكل هذه الأمور.

فتساءلت السيدة هيل: "هل كان ذلك هو ما أتى من أجله الدكتور رامزى ليحادث فيه عمه؟ إننى أعرف أنه كان أمراً بخصوص أخيه، لكنى أظن أن الرغبة فى المصالحة كانت من جانب أخيه فقط. فقد كانا متصارعين لسنوات عديدة خلت".

فقال بوارو: "أعلم أن السيد جاسكوين قد رفض ذلك الصلح بشكل مطلق".

فردت السيدة هيل بإيماءة من رأسها: "هذا صحيح".

فسألها بتثاقل: "وماذا عن هنرى؟".

"ماذا به؟ إننى لم أره منذ سنوات عديدة ولا أريد رؤيته. فهو شخص مشاكس، محب للنزاع، هذا كل أمره".

ثم تطرق الحوار إلى أحزان السيدة هيل الخاصة، وشعورها السيئ نحو المحامى الراحل السيد جاسكوين.

وبصعوبة استطاع هيركيول بوارو إنهاء الحوار دون أن يقطع المحادثة على نحو صريح.

وهكذا، وبعد العشاء توجه بوارو إلى اليمكرست، دواست رود فى ويمبلدون، حيث يسكن الدكتور جورج رامزى.

وكان الدكتور موجوداً، فأدخل بوارو إلى العيادة، ومن فوره وافاه الدكتور رامزى الذى كان قد انتهى من تناول عشائه للتو على ما يبدو.

فقال بوارو: "إننى لست مريضاً يا دكتور، وقدومى إلى هنا قد يكون بلا صفة محددة ـ لكننى أؤمن بالطريقة المنبسطة والمباشرة فى التعامل، فأنا لا أهتم بالمحامين وطرقهم الملتوية".

لفتت طريقته هذه انتباه رامزى بالطبع. كان الطبيب رجلاً حليق اللحية متوسط الطول، له شعر بنى، لكن رموش عينه كانت تقترب من اللون الأبيض، مما جعل عينيه تبدوان شاحبتين، وجعل مظهره كمن يفيض بالغضب. كان سلوكه يتسم بالسرعة دون مرح.

فقال وهو يرفع حاجبيه: "محامين؟ وتكرههم! إنك تثير فضولى، سيدى العزيز، فاجلس من فضلك".

جلس بوارو ثم أبرز إحدى بطاقات هويته المهنية وأعطاها للدكتور، فطرفت رموش الطبيب البيضاء حين شاهدها.

مال نحوه بوارو بثقة وقال: "إن كثيراً من عملائى هم من النساء".

فقال الدكتور جورج رامزى بطرفة عين خفيفة: "هذا أمر طبيعى".

فوافقه بوارو، قائلاً: "أمر طبيعى كما تقول. فالنساء لا يثقن فى الشرطة الرسمية. إنهن يفضلن التحقيقات الخاصة. فهن لا يردن عرض مشاكلهن على العامة. لقد جاءتنى منذ أيام امرأة عجوز لاستشارتى، فقد كانت غير سعيدة بسبب زوج تعيش معه فى صراعات ومشاحنات

على مدار سنوات عديدة. وهذا الزوج هو عمك الراحل السيد جاسكوين".

اصطبغ وجه جورج رامزى باللون القرمزى، وقال: "عمى؟ هذا هراء، لقد ماتت زوجته منذ سنوات عدة".

"ليس عمك، السيد *انتونى* جاسكوين، بل عمك الآخر، السيد *هنرى* جاسكوين".

"عمى هنرى؟ لكنه لم يكن متزوجاً!".

فأجابه بوارو وهو يكذب بلا خجل: "أوه، لقد كان متزوجاً. لا شك فى ذلك، حتى أن السيدة أحضرت وثيقة زواجها معها".

فصرخ جورج رامزى وقد اقترب اللون القرمزى فى وجهه إلى لون البلح، قائلاً: "هذا كذب، أنا لا أصدق هذا. إنك لست سوى كذاب أشر".

قال بوارو: "أمر سيئ للغاية أليس كذلك؟ لقد ارتكبت جريمة قتل بلا طائلة".

ارتعد صوت رامزى وبرزت عيناه الشاحبتين رعباً وهو يقول: "جريمة قتل؟".

فقال بوارو: "بالمناسبة، أرى أنك قد عدت لأكل فطائر التوت الأسود مرة أخرى. إنها لعادة سيئة؛ ففطائر التوت الأسود بها الكثير من الفيتامينات، لكنها مميتة من نواح أخرى. وهى فى هذه المناسبة قد تلف حبل المشنقة حول عنق المرء، عنقك أنت يا دكتور جورج".

قال بوارو وهو يسير عبر الطاولة إلى صديقه بهدوء: "أرأيت يا صديقى! تفسيرك الخاطئ كان مبنياً على افتراضك الرئيسى الخاطئ أيضاً. فالرجل الذى يعانى من توتر شديد لا يختار هذا الوقت تحديداً ليفعل ما لم يكن يفعله من قبل، بل إن جميع أفعاله تتبع أنماطاً سهلة لا تتطلب بذل أدنى قدر من الجهد. والرجل الغاضب بسبب شيء ما ربما ينزل لتناول عشائه بملابس النوم لكنه سيرتدى ملابسه هو ـ وليس ملابس شخص آخر.

إن الرجل الكاره للحساء الدسم، وفطائر التوت الأسود والنقانق، لا يأتى فجأة فيطلبها جميعاً فى ليلة واحدة، لكننى ***أرى أن لديه ما يشغل ذهنه، فإنه يتجه تلقائياً نحو الطعام الذى كان يطلبه غالباً.***

هذا جيد، ما هو إذن التفسير الآخر الذى قد يكون موجوداً فى قضية كهذه؟ إننى ببساطة لا أستطيع إيجاد تفسير منطقى. وقد كنت قلقاً! فالحادثة كلها كانت تسير فى الاتجاه الخاطئ.

لقد أخبرتنى بعد ذلك بأن الرجل قد اختفى. وفوت الثلاثاء والخميس لأول مرة مذ سنوات طويلة. وقد لفت ذلك انتباهى، وواتانى افتراض غريب. ماذا لو أننى كنت محقاً بشأن *وفاة الرجل*. فقمت بتحرياتى، واتضح لى أنه قد مات. وقد كان موته دقيقاً ومرتباً للغاية. وبعبارة أخرى كانت السمكة المتعفنة مغطاة بالصلصة الفواحة!.

لقد شوهد فى كينجز رود فى السابعة مساءً. تناول عشاءه فى السابعة والنصف - وبعدها بساعتين مات. وتوافقت كل الأمور - الدليل من محتويات معدته، والخطابات التى كانت فى جيبه. لقد كانت الصلصة كثيرة جداً وليس بإمكانك رؤية السمكة على الإطلاق.

وابن الأخ، الذى يكرس نفسه لعمه، كتب الخطابات، وأوجد لنفسه حجة غياب وقت وقوع الوفاة.

والوفاة ذاتها بسيطة للغاية - سقوط من أعلى درجات السلم. فهل هى حادثة بسيطة، أم أنها جريمة قتل؟ لقد قال الجميع إنها حادثة بسيطة.

إن ابن الأخ الوفى هو القريب الباقى الوحيد فى العائلة. وابن الأخ الوفى هذا هو من سيرث، لكن هل هناك من شيء يورث؟ إن العم فقير تماماً.

بيد أن هناك أخاً آخر لذلك العم. وهذا الأخ قد تزوج فى زمانه من امرأة ثرية وعاشا معاً فى بيت فى كينجستون هيل. فيكون التسلسل كالتالى؛ تترك الزوجة الثرية مالها لأنتونى، ويترك أنتونى المال إلى هنرى، ومال هنرى يذهب إلى جورج - إنها سلسلة كاملة".

فقال السيد بوننجتون: "كل ذلك جيد على المستوى النظرى لكن ما الذى فعلته بالضبط؟".

"بمجرد أن *تعلم*، يمكنك التمسك بما تريد الحصول عليه. لقد مات هنرى بعد ساعتين من تناوله *وجبة عشاء* وهذا يدور حوله جل الأمر، لكن عليك اعتبار الأمر وجبة

غداء وليست وجبة عشاء. ولتضع نفسك مكان جورج فهو يريد المال على نحو ملح. وأنتونى جاسكوين فى حالة احتضار، لكن موته ليس خبراً سعيداً لجورج؛ فموته سيحيل المال إلى هنرى، وهنرى قد يحيا لسنين عدة. فينبغى إذن أن يموت هنرى هو الآخر - وعاجلاً أو آجلاً - لكن ذلك ينبغى أن يكون بعد وفاة أنتونى، وينبغى فى الوقت ذاته أن يكون لدى هنرى دليل نفى. إن عادة هنرى فى تناول عشائه مرتين أسبوعياً وبشكل منتظم فى مطعم تمثل دليل نفى لجورج. ولأنه رجل حذر، فقد جرب خطته أولاً، *وقام بتمثيل دور عمه فى أحد أيام الاثنين*.

قد حدث الأمر دون خطأ، فقد قبله الجميع على أنه العم. وقد اطمأن الآن للأمر. كان عليه فقط أن ينتظر حتى يظهر عمه أنتونى إشارات واضحة على قرب الوفاة وحان وقته. فقام بإرسال خطاب لعمه هنرى فى الثانى من نوفمبر لكنه أرخه بتاريخ الثالث من الشهر، ووصل البلدة بعد ظهيرة اليوم الثالث ثم اتصل بعمه، وقام بتنفيذ الخطة؛ فبدفعة قوية إلى أسفل السلم مات العم هنرى.

وقد عثر جورج على الخطاب الذى أرسله إلى عمه ودسه فى جيبه. فى السابعة والنصف كان فى مطعم جالانت إندافور، باللحية، والحواجب الكثة، وسار الأمر على ما يرام، ثم قام فى غرفة الحمامات بتغيير هيئته وتوجه بالسرعة القصوى عائداً إلى ويمبلدون وظل يلعب البريدج هناك طوال الليل وهذا دليل نفى مثالى".

نظر له السيد بوننجتون وقال: "ولكن ماذا عن خاتم البريد على الخطاب؟".

"أوه. هذا كان أمراً فى غاية السهولة. فالخاتم كان غير واضح اللون، لماذا؟ لأن تاريخه غُير من الثانى إلى الثالث من فبراير باستخدام قلم ملون ولن تلاحظ ذلك إلا إذا بحثت عنه. وأخيراً كانت الطيور السوداء".

"الطيور السوداء؟".

"إنها الطيور السوداء الأربعة والعشرون التى تخبز بها الفطيرة! ولنقل فطيرة التوت السوداء إذا أردنا الدقة. إن جورج مع هذا لم يكن ممثلاً جيداً تماماً. لقد بدا مثل عمه، ومشى بطريقة عمه وتحدث مثل عمه والتحى مثل عمه وجعل حواجبه مثل حواجب عمه. لكنه نسى أن يأكل ما يأكل عمه. فقد طلب الأنواع التى يفضلها هو وليس ما يفضلها عمه.

لقد أدى التوت الأسود إلى تغيير لون أسنانه. لكن أسنان الجثة لم يتغير لونها، رغم أن هنرى جاسكوين قد تناول التوت الأسود فى جالانت إندافور فى تلك الليلة، لكن لم تكن هناك آثار للتوت فى معدته. فقد سألت عن ذلك هذا الصباح. وكان جورج أحمق لتركه اللحية وبقية المكياج الذى قلد به عمه للآن. أوه! وهناك المزيد من الأدلة إذا بحثت عنها. وقد اتصلت بجورج وأربكته وهذا ما أنهى أمره! وقد كان يأكل التوت الأسود مرة أخرى، بالمناسبة. إنه شخص جشع يهتم كثيراً بالأكل. حسناً،

فالجشع هو ما سيودى به لحبل المشنقة، هذا إن لم أكن مخطئاً فى كل ذلك".

قدمت لهما النادلة فطيرة التوت الأسود والتفاح.

فقال السيد بوننجتون: "خذيها بعيداً، فلا يمكن للمرء أن يكون كامل الحذر. أحضرى لى شريحة بسيطة من نقانق الساجو".

محققو الحب

كان السيد ساترثوايت، ضئيل الحجم، ينظر فى وجه مضيفه ملياً. إن الصداقة التى بين هذين الرجلين كانت من نوع غريب. فالكولونيل كان رجلاً ريفياً، الرياضة هى هوايته الوحيدة فى الحياة. والأسابيع القليلة التى قضاها فى لندن للضرورة كانت على غير هواه أو رغبته. أما السيد ساترثوايت فكان على النقيض عصفور مدينة، فقد كان خبيراً فى فنون الطهو الفرنسية، وفى ملابس النساء، وأيضاً فى كل ما راج من فضائح مؤخراً، وكان مولعاً بملاحظة الطبيعة البشرية، وكان خبيراً فى هذا الخط الذى انتهجه فى حياته - وهو أن يكون مراقباً لحياة البشر.

ولهذا فقد بدا أن شيئاً لا يشترك فيه أو يربطه بالكولونيل ميلروز. وذلك لأن الكولونيل لم تكن لديه اهتمامات بشئون جيرانه وكان يشعر برعب شديد تجاه أى نوع من المشاعر. لقد كانت صداقة الرجلين مبنية أساساً على صداقة والديهما من قبل، إضافة إلى أن لهما نفس المعارف من الناس ولديهما ذات النظرة الانفعالية تجاه *الأغنياء الجدد*.

كانت الساعة تقارب السابعة والنصف، وكان الرجلان جالسين فى مكتب الكولونيل المريح، وكان ميلروز يصف سباقاً للخيول أقيم فى الشتاء الماضى بحماسة قناص ماهر. وكان السيد ساترثوايت ـ والذى كانت كل معرفته بالخيول قاصرة علي زيارة صباح السبت لحظائر خيول لا تزال قائمة فى بعض البيوت الريفية العتيقة ـ جالساً يستمع إليه فى أدب جم.

قاطع رنين جرس الهاتف الحاد حديث السيد ميلروز. فاتجه نحو الطاولة والتقط السماعة ليرى من المتصل.

"مرحباً، نعم ـ معك الكولونيل ميلروز ، ما الأمر؟"

كانت هيئته قد تغيرت بالكلية ـ فقد أصبح جامداً ورسمياً. لقد اتخذ هيئة الحاكم فى حديثه، وليس رجل الرياضة.

استمع على الهاتف للحظات ثم قال فى اقتضاب: "حسناً يا كيرتس، سآتى فى الحال" ثم وضع سماعة الهاتف واتجه لضيفه قائلاً: "لقد وُجد السير جيمس دوايتون مقتولاً فى مكتبه".

"ماذا؟"

لقد ذهل السيد ساترثوايت ـ وشعر بالرعب.

"إننى ذاهب الآن إلى آلدرواى. هل تريد الذهاب معى؟".

تذكر السيد ساترثوايت أن الكولونيل هو مأمور شرطة المقاطعة.

فقال فى تردد: "أخشى أن أعطلك ـــ".

"على الإطلاق. لقد كان هذا المحقق كيرتس . إنه رجل طيب وصادق، لكنه لا يملك عقلاً على الإطلاق. سأكون سعيداً إن أتيت معي. لدىَّ شعور بأن هذه الجريمة توحى بأن هناك عملاً بغيضاً وراءها".

"هل وجدوا الفاعل؟".

أجاب ميلروز باقتضاب: "كلا".

ميزت أذن السيد ساترثوايت المدربة شيئاً من التحفظ وراء هذا النفى الجاف. وبدأ يتوالى على ذهنه كل ما يعرفه عن آل دوايتون.

كان الراحل، السير جيمس، عجوزاً متكبراً، وكان جاف الطبع، يجعل من اليسير خلق عداوات تجاهه. كان يناهز الستين من العمر، له شعر رمادى ووجه متورد، وكان معروفاً ببخله الشديد.

ثم سرح ساترثوايت بعقله مفكراً فى الليدى دوايتون. فقفزت صورتها متجسدة أمامه، شابة، ذات شعر أسود مخضب بحمرة، وقدٍ ممشوق. وتذكر أيضاً كثيراً من الشائعات، وبعض أقاويل النميمة الغريبة. هذا إذن ما حدث ـ ولهذا كان الكولونيل ميلروز متجهماً. ثم انتزع نفسه من أفكاره ـ أو خياله الذى كان يذهب به بعيداً.

بعد خمس دقائق كان السيد ساترثوايت قد اتخذ مكانه إلى جوار مضيفة فى كرسى السيارة الخلفي، وانطلقت بهما السيارة فى ظلام الليل.

كان الكولونيل رجلاً قليل الكلام، فقد قطع ميلاً ونصف ميل بسيارته قبل أن يبدأ أى حديث، ثم قال على نحو مفاجئ: "أنت تعرفهم على ما أظن أليس كذلك؟".

"آل دوايتون! إننى أعرف كل شيء عنهم، بالطبع". ومن ذا الذى لا يعرف السيد ساترثوايت كل شيء عنه؟" ثم تابع حديثه قائلاً: "لقد قابلته مرة واحدة، على ما أظن. أما زوجته فقد قابلتها كثيراً".

قال ميلروز: "إنها امرأة جميلة".

فرد ساترثوايت معلناً: "جميلة!".

"ألا تعتقد ذلك؟".

فقال ساترثوايت ممهداً لحديثه: "إنها امرأة تحمل طابع عصر النهضة. إنها تتصرف بتلك الطريقة المسرحية، فى الحفل الخيرى، الذى أقيم الربيع الماضى كما تعلم. لقد كنت مذهولاً. فلا شيء فيها بدا حديثاً، فهى كالآتية من الماضى. إن الواحد ليتخيلها لوحة فى قصر دوج أو يتخيل أنها لوكريزيا بورجيا".

انحرف الكولونيل بسيارته قليلاً، وقد صمت السيد ساترثوايت فجأة وتساءل فى نفسه عن اللعنة التى حلت عليه فجعلته ينطق اسم لوكريزيا بورجيا.

ثم سأل على نحو مفاجئ: "لم يُقتل دوايتون بالسم، أليس كذلك؟".

نظر إليه ميلروز بطرف عينه وقال بفضول: "لماذا تسأل؟".

ارتبك ساترثوايت، ثم قال: "أوه، أنا ـ أنا لا أدرى. لقد ـ لقد خطر الأمر ببالى ليس أكثر".

"حسناً، إنه لم يتعرض للسم، إن كنت تريد معرفة ذلك".

فغمغم السيد ساترثوايت وهو يومئ برأسه على نحو يوحى بالحكمة، قائلاً: "إذن بأداة غير حادة".

"لا تتحدث بلغة القصص البوليسية اللعينة، ساترثوايت. فقد الرجل مات إثر ضربه على رأسه بتمثال برونزى".

فقال ساترثوايت: "أوه" ثم سكت تماماً.

فسأله ميلروز: "وهل تعلم شيئاً عن شاب يدعى بول ديلانجوا؟".

"نعم، ذلك الشاب الوسيم".

فتمتم الكولونيل بضيق، قائلاً: "أرى أن النساء هن من أطلقن عليه هذا اللقب".

"ألا تحبه؟".

"لا، لا أحبه".

"كنت أظن أنك معجب به، فهو ماهر فى ركوب الخيل".

"بل يبدو كالأجنبى فى معرض الخيول، ويأتى بحركات أشبه بحركات القرود".

قاوم السيد ساترثوايت ابتسامته. كان المسكين العجوز ميلروز بريطانياً جداً فى نظرته للأمور. أما السيد

ساترثوايت، الذى يتمتع بنظرة متحررة للأمور، فكان قادراً على إبداء الاستهجان من المنهج المتعصب للحياة.

فسأل: "هل كان قريباً من العائلة فى هذه الأثناء؟".

"كان مستقراً مع آل دوايتون فى آلدرواى. وتقول الشائعات إن السير جيمس قد طرده منذ أسبوع".

"لماذا؟".

"لأنه وجده يخونه مع زوجته، كما أظن. ما هذا الـ ـــ".

انحرف بالسيارة بشدة، محدثاً رجة قوية.

قال ميلروز: "هذا أخطر تقاطع طرق فى إنجلترا. وكان يجب على الشخص الآخر أن ينبهنا بنفيره فنحن على الطريق الرئيسى، وأظن أننا من أحدث به ضرراً".

خرج من السيارة. واقترب شخص من السيارة الأخرى وانضم له. ووصلت أجزاء من الحوار إلى أذن ساترثوايت.

كان الشخص الغريب يقول: "إنه خطئى بالكلية، وأنا أقدم أسفى. لكننى لا أعرف هذه المنطقة من البلاد وليست هناك أى إشارة من أى نوع لتظهر قدومك على الطريق الرئيسى".

هدأ الكولونيل، ورد بشكل مناسب. ومال الرجلان على سيارة الغريب، والتى كان السائق يفحصها بالفعل. واصطبغ الحوار بصبغة فنية شديدة.

قال الغريب: "قد تستغرق نصف ساعة، أنا آسف ولكننى لا أريد أن أؤخرك عن موعدك".

فبدأ الكولونيل حديثه قائلاً: "فى الواقع ـــ". لكنه قوطع.

اضطرب السيد ساترثوايت من شدة إثارته وهو يخرج قفزاً من السيارة كطائر، ويمسك يد هذا الغريب بدفء ويقول وهو فى قمة إثارته: "إنه هو، لقد عرفته، إننى أعرف هذا الصوت. يا لها من مصادفة غير عادية".

فقال الكولونيل ميلروز: "إيه؟".

"هذا هو السيد هارلى كوين، يا ميلروز. إننى على ثقة من أنك سمعتنى أتحدث عنه كثيراً من قبل".

لم يبد على السيد ميلروز أنه يتذكر هذه الحقيقة، لكنه حاول المساعدة فى الأمر بأدب بينما كان السيد ساترثوايت مبتهجاً وهو يقول: "إننى لم أرك منذ ـ دعنى أتذكر ـ".

فقال الآخر بهدوء: "منذ تلك الليلة فى بيلز آند موتلى".

فقال الكولونيل: "بيلز آند موتلى، ماذا؟".

فقال ساترثوايت شارحاً: "إنه فندق".

"يا لها من تسمية غريبة لفندق!".

فقال السيد كوين: "إنه فندق قديم، لعلك تذكر أنه فى حين من الدهر كان فندق بيلز أكثر صيتاً فى إنجلترا مما هو عليه الآن".

فقال الكولونيل ميلروز بغموض: "نعم، أظن ذلك، لا شك عندى فى أن كلامك صحيح قطعاً".

طرف الكولونيل بعينه. وخلال الضوء الباهر ـ ضوء المصابيح الأمامية لإحدى السيارتين والضوء الخلفى للأخرى، بدا السيد كوين وكأنه ارتدى لباساً متعدد الألوان لكن ذلك كان بفعل الضوء فقط.

تابع السيد ساترثوايت، قائلاً: "لا يمكننا تركك هنا على الطريق. يجب أن تأتى معنا، فهناك مكان إضافى يكفى لثلاثة، أليس كذلك يا ميلروز؟".

فقال الكولونيل وقد بدا فى صوته التشكك: "أوه، ولكن العائق الوحيد هو المهمة التى نحن بصددها يا ساترثوايت، أليس كذلك؟".

وقف السيد ساترثوايت صامتاً والأفكار تتقافز وتبرق فى عقله، ثم هز رأسه فى إثارة وصاح، قائلاً:

"كلا، كلا، كان علىَّ أن أفهم ذلك على نحو أفضل! لقد جئت فى الوقت المناسب يا سيد كوين. إن تقابلنا جميعاً على تقاطع طرق كهذا ليس من قبيل المصادفة".

حدق الكولونيل ميلروز إلى صديقه مندهشاً من تصرفه. بينما أخذ هو ذراع الكولونيل وقال له:

"هل تذكر ما أخبرتك به ـ عن صديقنا ديريك كابل؟ وعن دافعه للانتحار الذى لم يستطع أحد كشفه؟ إن من حل لغز ذلك الأمر كان السيد كوين ـ وهناك قضايا عديدة هو الذى حلها. إنه يظهر لك أموراً كانت أمامك طيلة الوقت لكنك لم ترها. إنه رائع!".

فقال السيد كوين مبتسماً: "سيد ساترثوايت لقد أخجلتنى، فهذه الاكتشافات، من نتاج تفكيرك أنت وليس تفكيرى أنا".

فقال ساترثوايت بيقين دامغ: "لقد تم حل هذه الألغاز لأنك كنت موجوداً".

فقال الكولونيل ميلروز وهو يتنحنح فى غير ارتياح: "حسناً، لا يجدر بنا تضييع مزيد من الوقت، فلننطلق".

صعد إلى كرسى القيادة. إنه لا يرتاح بالمرة لاستغلال غريب له من خلال حماسة السيد ساترثوايت له، ولكنه لم يجد مانعاً مقبولاً كى يتحجج به، إضافة لرغبته الملحة فى القدوم إلى آلدرواى بأقصى سرعة ممكنة.

ألح السيد ساترثوايت بأن يأخذ السيد كوين المقعد التالى فيما أخذ هو المقعد الخارجى. وكانت السيارة واسعة فقد استوعبت الثلاثة دون مضايقة أحدهم.

ثم قال الكولونيل محاولاً إظهار كل ما لديه من لطف: "أنت مهتم إذن بأمر الجريمة سيد كوين؟".

"لا، ليس بالجريمة تحديداً".

"فبم إذن؟".

ابتسم السيد كوين وقال: "دعنى أوجه هذا السؤال للسيد ساترثوايت إنه حاد الملاحظة".

فقال السيد ساترثوايت ببطء: "أظن، وقد أكون مخطئاً، لكننى أظن أن السيد كوين مهتم بالعشاق".

واحمر وجهه وهو ينطق الكلمة الأخيرة، وهى كلمة لا يستطيع رجل إنجليزى النطق بها دون أن يكون فى وعى كامل لما يقول. وقد أدلى بها السيد ساترثوايت فى لهجة اعتذارية وأعطى لها إيحاءً بأنها بين قوسين.

قال الكولونيل مذهولاً: "يا إلهى!" ثم صمت.

بدا للكولونيل وكأن الرجل أحد أصدقاء ساترثوايت المعربدين. فرمقه بنظرة جانبية، فبدا له الرجل أهلاً لهذا، فهو شاب هادئ الطباع، يميل للسمرة، لكنه لا يبدو أجنبى الملامح.

ثم قال ساترثوايت باهتمام: "والآن، علىَّ أن أخبرك بجميع تفاصيل القضية".

فتحدث لمدة عشر دقائق. وبينما هو جالس فى الظلام، وتنطلق بهم السيارة فى الليل البهيم، راوده إحساس مسكر بالقوة. ماذا لو لم يكن سوى مراقب للحياة؟ فهو يملك زمام الحديث، ويستطيع رسم نموذج من خلال هذا الحديث - وهو نموذج غريب التكوين عن جمال السيدة لورا دوايتون، وذراعيها البيضاوين وشعرها الأحمر، وعن الصورة المعتمة للسيد بول ديلانجوا، الذى تراه النساء رجلاً وسيماً. واضعاً ذلك فى مقابل خلفية عن آلدرواى - آلدرواى الذى ظل هكذا منذ عهد هنرى السابع، البعض يقول إنه من قبل ذلك، كان آلدرواى منزلاً إنجليزياً حتى النخاع، مع هذه الأشجار المقصوصة دائمة الخضرة. وقبته

القديمة العالية وبركة السمك، التى يصطاد منها أهله أسماك الكارب فى أيام الجمع.

وفى خطوات رشيقة منتظمة انتقل لرسم صورة عن السير جيمس، أحد أفراد أسرة دوايتون، وهو سليل فعلى لآل دوايتون القدامى، وقد كان يعتصر الأرض مالاً، ثم يكنزه سريعاً فى خزائنه، ولهذا ورغم كل من سقطوا فى براثن الفقر فى الأزمات، فإن أسياد آلدرواى ظلوا على حالهم من الثراء.

فى النهاية توقف السيد ساترثوايت. كان على ثقة، وهو دائماً على ثقة، من أنه نال تعاطف مستمعيه. وهو الآن ينتظر كلمة الثناء عليه التى يشتم ريحها. وقد أتت بالفعل.

"إنك فنان سيد ساترثوايت".

"إننى أبذل قصارى جهدى". وقد بدا الرجل متواضعاً بشكل مفاجئ.

كانوا قد استداروا عند كوخ البواب منذ عدة دقائق. واتجهت السيارة الآن نحو الأبواب الأمامية، فهرع ضابط الشرطة لملاقاتهم.

"مساء الخير سيدى. إن المحقق كيرتس فى المكتبة".

"حسناً".

صعد ميلروز درجات السلم فى سرعة وتبعه مرافقاه. وبينما كان الثلاثة يعبرون إلى القاعة الواسعة. اختلس كبير الخدم النظر إليهم فى ترقب، فأومأ له ميلروز، قائلاً:

"مساء الخير مايلز، إنه حادث أليم، ذلك الذى حدث الليلة".

فقال الرجل وهو يرتجف: "إنه كذلك بالفعل سيدى. إننى لا أكاد أصدق، بل لا يمكننى التصديق بأن أحداً يمكنه أن يفكر فى قتل سيدى".

فقال ميلروز مقاطعاً: "نعم. نعم. سأتبادل معك الحديث بعد قليل".

مشى بخطوات واسعة نحو المكتبة. وكان بها محقق ضخم الجثة عسكرى الهيئة، والذى قام بتحية ميلروز باحترام.

"إنه عمل قذر سيدى. أنا لم أغير وضع المكان. لا توجد بصمات على سلاح الجريمة. إن الفاعل أياً كان يعلم ما يفعله جيداً".

نظر ساترثوايت إلى الجسد المنحنى الجالس على طاولة الكتابة الكبيرة، ثم ابتعد ببصره ثانية بسرعة. لقد كان الرجل مصاباً من الخلف، عبر ضربة هشمت عظام جمجمته. لقد كان المنظر سيئاً.

كان سلاح الجريمة ملقى على الأرضية ـ وهو تمثال برونزى يبلغ ارتفاعه قدمين تقريباً، وكانت قاعدته ملطخة بالدماء. وقد مال عليه السيد ساترثوايت بفضول.

قال بصوت هادئ: "إنه تمثال فينوس. لقد قتل بتمثال فينوس إذن".

لقد وجد فى الفكرة صورة شعرية.

قال المحقق: "إن النوافذ كلها كانت مغلقة من الداخل".

ثم توقف عن الحديث.

فقال المأمور: "ما الذى يدل على أن الفاعل أحد الذين يقيمون بالداخل. حسناً ـ حسناً، سوف نرى".

كان القتيل يرتدى ثياب الجولف. وعلى أريكة جلدية كانت حقيبة مضارب الجولف ملقاة بغير ترتيب.

قال المحقق شارحاً: "لقد كان عائداً لتوه من ملعب الجولف فى الخامسة والربع، ثم تناول الشاى الذى أحضره له رئيس الخدم، ثم نادى على خادمه الخاص ليحضر له خفاً. وهكذا يمكننا القول إن الخادم كان آخر من رآه حياً".

أومأ ميلروز برأسه، ثم انتقل بانتباهه فجأة نحو طاولة الكتابة.

كان هناك الكثير من الحلى الأنيقة قد تبعثرت وكسرت. ومن بين هذه الفوضى لفتت الانتباه ساعة سوداء ضخمة مطلية بالمينا، وكانت ملقاة على جانبها فى منتصف طاولة الكتابة بالضبط.

تنحنح المحقق ثم قال: "هذا ما يمكننى تسميته خطأ طيباً، فكما ترى، فإن الساعة متوقفة عند توقيت *السادسة والنصف*. وهذا يحدد لنا موعد حدوث الجريمة، وبمنتهى الدقة".

كان الكولونيل يحملق فى الساعة.

ثم قال: "كما ترى، منتهى الدقة". ثم توقف للحظات وقال: "إن الدقة اللعينة هذه، لا أحبها أيها المفتش".

ثم التفت إلى مرافقيه الآخرين. وبحثت عينه عن عينى السيد كوين واللتين نظرتا نظرة استغاثة.

قال الكولونيل: "كل شيء مرتب بشكل معين. أقصد أن الأمور لا تسير على هذا النحو".

فغمغم السيد كوين قائلاً: "تقصد أن الساعات لا تسقط بهذا الشكل؟".

حدق إليه ميلروز للحظة، ثم عاد إلى الساعة التى حملت مظهراً بريئاً ومثيراً للشفقة متسقاً مع تلك الأشياء التى جردت من كرامتها على حين غرة. وبعناية شديدة أقامها ميلروز على قدميها ثانية. ثم ضرب الطاولة بشدة. فارتجت الساعة لكنها لم تقع. فكرر ضربته، ببطء، وبدون رغبة، فسقطت الساعة على ظهرها.

سأل ميلروز بشكل حاد: "متى تم اكتشاف الجريمة؟".

"فى السابعة تقريباً سيدى".

"ومن اكتشفها؟".

"رئيس الخدم".

فقال المأمور: "أحضره هنا، سأقابله الآن. وأين السيدة دوايتون بالمناسبة؟".

"نائمة فى أسفل سيدى. خادمتها تقول إنها منهكة ولا يمكنها مقابلة أحد".

أومأ ميلروز برأسه، وذهب المحقق كيرتس ليحضر رئيس الخدم. كان السيد كوين ينظر إلى المكتبة متأملاً محتوياتها المدمرة. فتبعه فى ذلك السيد ساترثوايت. نظر ملياً بين قضبان المدفأة لدقيقة أو اثنتين ثم لمح من خلالها شيئاً لامعاً لفت نظره، فمال والتقطه فوجده شريحة زجاجية منحنية.

"هل أردت رؤيتى، سيدى؟".

كان ذلك صوت رئيس الخدم، الذى كان لا يزال مرتعشاً وغير مطمئن، فدس ساترثوايت قطعة الزجاج فى جيب معطفه واستدار.

كان الرجل العجوز متوقفاً فى مدخل الباب.

قال له المأمور بلطف: "اجلس. إن جسدك كله يرتجف. لقد كانت تلك صدمة بالنسبة لك على ما أظن".

"لقد كانت كذلك بالفعل سيدى".

"حسناً. لن أبقيك هنا طويلاً. لقد جاء سيدك إلى هذا المكان بعد الساعة الخامسة مباشرة، أليس كذلك؟".

"نعم سيدى، وطلب إحضار الشاى له هنا. وبعد فترة، وحين عودتى لأخذه، طلب منى أن أرسل له جننجز - وجننجز هو خادمه الشخصى يا سيدى".

"كم كانت الساعة حينذاك؟".

"كانت فى حدود السادسة وعشر دقائق يا سيدى".

"نعم ــ ثم؟".

"أرسلت له جننجز، سيدى. وما كان منى إلا أن عدت هنا كى أغلق النوافذ وأشد الستائر فى الساعة السابعة حتى رأيت ــ".

قاطعة ميلروز، قائلاً: "نعم، نعم، ليس عليك الخوض فى كل هذا. أنت لم تلمس الجثة، ولم تحرك شيئاً من مكانه، أليس كذلك؟".

"أو، بالطبع لا سيدى، لقد انطلقت بأقصى سرعة نحو الهاتف لإبلاغ الشرطة".

"ثم ماذا؟".

"أخبرت جانيت ــ خادمة سيدتى ــ لإطلاعها على الخبر".

"ألم تر سيدتك طوال هذا المساء؟".

كان الكولونيل قد طرح سؤاله هذا بطريقة أرادها عادية، لكن أذن ساترثوايت الحساسة استشعرت قلقاً وراء كلماته.

"لا لم أحادثها سيدى، فقد ظلت سيدتى فى غرفتها منذ وقوع المأساة".

"وهل رأيتها قبل ذلك؟".

كان السؤال حاداً وشعر كل من بالغرفة بتردد رئيس الخدم قبل أن يجيب:

"لقد ــ لقد لمحتها فقط، سيدى، كانت تهبط الدرج".

"هل أتت إلى هنا؟".

كتم السيد ساترثوايت أنفاسه قبل ان يجيبه الخادم:

"أظن ـ أظن ذلك، سيدى".

"ومتى كان ذلك؟".

كان بالإمكان سماع رنين إبرة لو وقعت على الأرض فى هذه اللحظة، وتساءل السيد ساترثوايت إن كان الرجل على علم بما جرى، وما الذى يختبئ وراء إجاباته؟

"كانت الساعة حوالى السادسة والنصف سيدى".

فأخذ الكولونيل ميلروز نفساً عميقاً وقال: "هذا كل شيء، شكراً لك، لكن أرسل لنا جننجز، الخادم الخاص، إلى هنا لو سمحت".

لبى جننجز النداء بحزم. كان رجلاً ضيق الوجه، يسير كقط، وكان به شيء يوحى بالمكر والدهاء.

وفكر السيد ساترثوايت أنه الرجل الذى يمكنه بسهولة قتل سيده إن تأكد أن أمره لن ينكشف.

فأنصت باهتمام شديد لإجابات الرجل عن أسئلة الكولونيل ميلروز، لكن أقواله بدت صادقة إلى حدٍ كافٍ.

فقد قال إنه أحضر لسيده خفاً ورفع الحذاء الذى كان يرتديه.

"ماذا فعلت بعد ذلك يا جننجز؟".

"عدت ثانية إلى غرفة الخدم يا سيدى".

"فى أى ساعة تركت سيدك؟".

"لابد أنها كانت بعد السادسة والربع يا سيدى".

"أين كنت فى السادسة والنصف يا جننجز؟".

"فى غرفة الخدم، سيدى".

فصرفه الكولونيل بإشارة من رأسه، ثم نظر إلى كيرتس نظرة استفهامية.

"صحيح تماماً، سيدى. لقد تحققت من الأمر. وكان بالفعل فى غرفة الخدم من الساعة السادسة والثلث تقريباً وحتى السابعة".

فقال الكولونيل بقدر من الندم: "هذا يجعله خارج دائرة الشبهة، إضافة إلى انتفاء الدافع لديه".

نظر كل منهما للآخر.

فقد كان هناك طرق على الباب.

قال الكولونيل: "ادخل".

فظهرت بالباب خادمة سيدة البيت وهى فى حالة رعب شديد وقالت: "لو سمحتم، إن صاحبة العصمة قد علمت بوجود السيد ميلروز هنا وهى تود مقابلته".

فقال ميلروز: "بالطبع، إننى آت على الفور. هل يمكنك أن ترينى الطريق إليها".

لكنّ يداً امتدت لتنحى الفتاة جانباً. كان القوام الواقف على مدخل الباب الآن مختلفًا تماماً، كانت لورا دوايتون وقد بدت كزائر من عالم آخر.

كانت ترتدى سترة سيئة المنظر تشبه تلك التى كانت تلبسها نساء العصور الوسطى. وكان شعرها مفروقاً من منتصفه ومنسدلاً على أذنيها. ولأنها كانت تدرك أنها فريدة فى هذا الطراز فلم تقص شعرها قط. وكانت تعقده بعقدة بسيطة عند مؤخرة رقبتها. وكان ذراعاها عاريتين.

كان أحدهما ممتداً لتضع نفسها فى مواجهة مدخل الباب، والآخر معلقاً بجانبها، قابضاً على كتاب. وبدت لساترثوايت *مثل عذراء تخرج من خيمة إيطالية قديمة*.

وقفت فى مكانها، تتمايل من جانب لآخر على نحو طفيف. فاتجه نحوها الكولونيل ميلروز مسرعاً.

"لقد أتيت لأخبرك ـــ أخبرك ـــ".

كان صوتها منخفضاً وصافياً. وقد ذهل السيد ساترثوايت بدرامية المشهد الذى كان قد نسى حقيقته.

قال ميلروز وهو يلفها بذراعه مسنداً إياها: "من فضلك سيدة دايتون ـــ"، ثم اتجه بها من القاعة نحو غرفة انتظار صغيرة، ستائر جدرانها باهتة اللون. تبعه ساترثوايت وكوين إلى الغرفة. جلست السيدة دوايتون على أريكة طويلة منخفضة فتوارت فيها، وأسندت رأسها على وسادة صدئة اللون، وأغلقت عينيها. كان الرجال الثلاثة يراقبونها. وفجأة فتحت عينيها ثم وقفت. وتحدثت ببطء قائلة: "*لقد قتلته*، هذا ما جئت لأخبرك به. *لقد قتلته*".

وسرت فى القاعة لحظة من الصمت التام، كاد فيها قلب ساترثوايت يتوقف عن خفقانه.

فقال ميلروز: "سيدة دايتون لقد تلقيت للتو صدمة كبيرة، وأنت بالتأكيد متوترة الأعصاب. ولا أظنك تدرين ما تقولينه على وجه الدقة".

فهل ستتراجع ـ وما زال لديها الوقت لذلك؟

"إننى أدرك بالضبط ما أقوله. أنا التى أطلقت عليه النار".

شهق رجلان فى الغرفة حين سمعا الجملة الأخيرة، أما الآخر فلم يحدث صوتاً قط. ثم مالت لورا دوايتون للأمام أكثر وقالت: "ألا تفهم ما أقول، لقد نزلت إليه هنا وأطلقت عليه النار. إننى أعترف بما فعلت".

انزلق الكتاب الذى كان بيدها وسقط على الأرض. كان بداخله قطاعة ورق تشبه خنجراً ذا مقبض مزخرف. التقطه السيد ساترثوايت ووضعه بشكل آلى على الطاولة. لكنه أثناء ذلك حادث نفسه قائلاً: *إن هذه لعبة خطرة يمكن بها قتل إنسان.*

قالت لورا وقد بدا من صوتها فقدان الصبر: "حسناً. ما الذى ستفعله الآن بهذا الخصوص؟ هل ستقبض علىّ؟ هل ستأخذنى معك؟".

قال الكولونيل ميلروز وهو يجد صعوبة فى الحديث: "إن ما أخبرتنى به أمر جد خطير ياسيدة دوايتون، وأنا الآن أطلب منك التوجه إلى غرفتك حتى أتم ترتيباتى".

فأومأت ووقفت على قدميها. كانت فى هذه اللحظة هادئة تماماً، رزينة وباردة وبينما كانت تلتفت نحو الباب تحدث السيد كوين قائلاً: "ماذا فعلت بالمسدس ياسيدة دوايتون؟".

فسرت فى وجهها لمحة تردد وعدم ثقة ثم قالت "لقد- لقد رميته هناك على أرضية المكتبة. كلا، أعتقد أننى

قذفت به من النافذة ـ أوه، لا أستطيع تذكر ذلك الآن. ثم، ما أهمية ذلك أصلاً؟ إننى بالكاد أذكر ما فعلت. إن أمر المسدس ليس مهمًا، أليس كذلك؟".

فقال السيد كوين: " لا، إنه غير مهم على الإطلاق".

نظرت له فى حيرة وفى عينيها إيحاء بأن شيئاً ما لديها قد انتبه. ثم استدارت مرة أخرى مغادرة الغرفة على نحو مهيب. وسار خلفها السيد ساترثوايت لإسنادها فقد شعر بأنها قد تنهار فى أية دقيقة. لكنها بالفعل قد قطعت نصف طريقها نحو السلم، ولم يبد عليها أى علامة من علامات إعيائها السابق، أما خادمتها التى كانت فى حالة رعب، فكانت تقف عند بداية السلم، فحادثها السيد ساترثوايت بلهجة آمرة: "اهتمى بسيدتك".

فتأهبت الفتاة للصعود خلف سيدتها ذات الرداء الأزرق ثم قالت: "أوه، من فضلك سيدى".

"إنهم لا يشكون فيه، أليس كذلك؟".

"فيمن؟".

"جننجز، سيدى. إنه لا يستطيع إيذاء ذبابة".

"جننجز، بالطبع لا يشكون فيه، اذهبى للاهتمام بسيدتك".

"حاضر يا سيدى".

أسرعت الفتاة فى صعود السلم وعاد السيد ساترثوايت إلى الغرفة التى غادرها لتوه.

قال الكولونيل ميلروز: "إننى فى حيرة، فهناك أسرار فى الحادث أكثر مما يبدو للعيان. إن ما حدث الآن يشبه ذلك الذى يتردد عن أفعال البطلات فى تلك الروايات السخيفة".

فوافقه السيد ساترثوايت بالقول: "إنه غير عادى، يبدو وكأنه مسرحية".

فأومأ السيد كوين برأسه وقال: "نعم، فأنت مغرم بالمسرح، أليس كذلك؟ إنك رجل تقدر الأداء الجيد حين تشاهده".

فنظر له السيد ساترثوايت على نحو جامد.

وأثناء الصمت الذى تلا ذلك ترامى إلى مسامعهم صوت بعيد.

فقال السيد ميلروز: "لعلها إحدى الخادمات جاءت لتؤدى دورها فى المسرحية. أخشى أن تكون كسابقيها - وربما نزلت لترى الأمر. ولم تقترب من الجثة أو تفحصها. فانتهت سريعاً إلى نتيجة أنه قد ــ".

جاء صوت رئيس الخدم، وهو يقف على الباب بشكل اعتذارى ويقول: "إنه السيد ديلانجوا، سيدى".

فقال ميلروز: "إيه؟ ما هذا؟".

"السيد ديلانجوا هنا سيدى، وهو يريد الحديث إليك إذا سمحت بذلك له".

مال الكولونيل ميلروز على كرسيه للوراء وقال مكشراً: "أدخله".

وبعد دقيقة كان بول ديلانجوا واقفاً بباب الغرفة. وكما علق الكولونيل على هيئته، كان به شىء ليس إنجليزياً ــ كرشاقة تحركه، وسمرة وملاحة وجهه، واقتراب عينيه من بعضهما. وبه هو الآخر مسحة من آثار عصر النهضة. إنه ولورا يحملان جواً مشتركاً.

انحنى ديلانجوا بطريقة مسرحية وقال: "مساء الخير أيها السادة".

فقال الكولونيل ميلروز بحدة: "لا أعلم ما الذى تريده بالقدوم إلى هنا سيد ديلانجوا، لكن إذا لم يكن لديك أمر يخص ما نحن فيه ــ".

قاطعه ديلانجوا بضحكة منه وقال: "على العكس إن لدى كل ما يتعلق بالأمر".

"ماذا تقصد؟".

فقال ديلانجوا بهدوء: "أعنى أننى أتيت إلى هنا لتسليم نفسى لقتلى السير جيمس دوايتون".

فقال ميلروز بهدوء "هل تعى ما تقول؟".

"أعيه تماماً" ثم اتجهت عينه نحو الطاولة.

"إننى لا أفهم ــ".

"لاتفهم لماذا أسلم نفسى؟ لك أن تسميه ندماً، أو فلتسمه أى شىء. إننى قد طعنته حتى مات - وربما تكونون قد تأكدتم من ذلك فعلاً"، وأشار برأسه نحو الطاولة ثم تابع: "فلديكم سلاح الجريمة هنا، إنه أداة

يدوية ضئيلة جداً. تركته السيدة دوايتون للأسف في أحد الكتب وصادف أن انتزعته منه".

قال الكولونيل ميلروز وهو يحمل الخنجر عالياً: "انتظر دقيقة، هل أفهم من كلامك أنك تعترف بطعن السيد جيمس دوايتون بهذا الخنجر؟".

"بالضبط. لقد تسللت عبر النافذة، كما تعلم، وكان ظهره في مواجهتي. فكان الأمر سهلاً. ثم غادرت المكان بذات الطريقة".

"من خلال النافذة؟".

"بالطبع، من خلال النافذة".

"ومتى كان ذلك؟".

تردد ديلانجوا ثم قال: "دعني أفكر. لقد كنت أحادث الحارس - كان ذلك في السادسة والربع. سمعت جرس الساعة، ولابد أن ذلك كان في - السادسة والنصف تقريباً".

فبدت ابتسامة متجهمة على شفتي الكولونيل.

ثم قال: "بالضبط، أيها الشاب، كان وقت الجريمة هو السادسة والنصف بالضبط. هل سمعت بذلك قبل مجيئك هنا؟ إن هذه فعلاً جريمة قتل من نوع خاص جداً".

"لماذا؟".

فقال الكولونيل ميلروز: "لأن كل من فيها يعترفون بارتكابها".

فلاحظ الزفرة الحادة لأنفاس محدثه.

فقال ديلانجوا بصوت جاهد ليبقيه متزناً: "من غيري اعترف بهذا الأمر؟".

"السيدة دوايتون".

فعاد ديلانجوا برأسه للخلف وضحك وكأنه يجبر نفسه على ذلك وقال: "إن السيدة دوايتون تصاب بالهيستريا في بعض الأحيان، لا أظنني ألقى لكلامها بالاً لو كنت مكانك".

فقال ميلروز: "لا أظنني سألقى لكلامها بالاً، لكنّ هناك أمرًا آخر غريباً في هذه الجريمة".

"ما هو؟".

فقال ميلروز: "لقد اعترفت السيدة دوايتون بأنها أطلقت الرصاص على السير جيمس، وأنت اعترفت بأنك قد طعنته. لكن لحسن حظ كليكما فالرجل لم يطلق عليه رصاص، ولم يطعن. هل تفهم؟ إن جمجمة الرجل مهشمة".

فصرخ ديلانجوا: "يا إلهي! لكن النساء لا يمكنهن فعل ذلك".

ثم توقف عن الكلام وهو يعض على شفتيه، فهز ميلروز رأسه وعلى وجهه شبح ابتسامة ثم قال له مكملاً: "غالباً ما تقرأ عن ذلك، لكن لا تصادفه أبداً في حياتك".

" وما ذلك؟".

"أن يقوم اثنان من الحمقى باتهام كل منهما لنفسه لأن كلاً منهما يظن أن الآخر هو الفاعل. والآن علينا البدء من جديد ثانية".

صرخ ساترثوايت قائلاً: "الخادم الخاص. لقد قالت الفتاة للتو ـ كيف لم أنتبه للأمر فى حينه".

ثم توقف لينسق أفكاره، ثم تابع: "كانت الفتاة خائفة من اشتباهنا فيه. لابد أن لديه دافعاً ما لفعلته ونحن لا نعلم به، لكنها تعلم".

عبس وجه الكولونيل، ثم دق الجرس. وحين أجيب قال: "من فضلك اطلب من السيدة دوايتون القدوم إلى هنا مجدداً إن كانت تستطيع النزول".

ثم انتظروا فى صمت حتى أتت، وحين رأت ديلانجوا مالت للسقوط ومدت يدها لتحاشى ذلك. فأسرع نحوها الكولونيل لإنقاذها من السقوط وقال:

"الأمر على ما يرام، سيدة دوايتون. من فضلك لا تنزعجى".

"إننى لا أفهم سبب وجود السيد ديلانجوا هنا".

فسار نحوها ديلانجوا وقال: "لورا ـ لورا ـ لماذا فعلت ذلك؟".

"فعلت ماذا؟".

"أعلم أنك فعلت ذلك من أجلى ــ لأنك ظننت *أننى* الفاعل ـ وهذا أمر طبيعى. لكنك تتصرفين كالملائكة".

تنحنح الكولونيل ميلروز فهو رجل لا يحب العواطف ويصاب بالرعب إذا اقترب من أحد هذه المشاهد.

ثم قال: "لو سمحت لى بالحديث يا سيدة دايتون، لقد نجوت أنت والسيد ديلانجوا من هذا الاتهام لحسن الحظ. فقد جاء لتوه ليعترف هو الآخر بأنه من ارتكب الجريمة ـ أوه! إن الأمر الآن على ما يرام، فهو أيضاً لم يرتكب الجريمة، لكن ما نريد معرفته الآن هو الحقيقة، لا نريد مزيداً من هدر الوقت. لقد قال رئيس الخدم إنك دخلت المكتبة فى حدود الساعة السادسة والنصف ـ أليس كذلك؟".

فنظرت لورا إلى ديلانجوا وهزت رأسها.

فقال الكولونيل: "الحقيقة يا لورا، إننا نريد الحقيقة منك الآن".

تنهدت بعمق وقالت: "سوف أخبرك بما جرى".

استقرت على كرسى كان السيد ساترثوايت قد دفعه لها لتوه.

"لقد نزلت، وفتحت المكتبة ورأيت ــ".

ثم توقفت وازدردت لعابها، فمال نحوها السيد ساترثوايت وربت عليها مشجعاً.

فقال: "نعم، نعم. رأيت ماذا؟".

"رأيت زوجى ملقى على طاولة الكتابة. رأيت رأسه ـ والدم ـ أوه".

وضعت يدها على وجهها فمال المأمور نحوها وقال:

"عفواً، سيدة دوايتون. هل ظننت حينها أن السيد ديلانجوا قد أطلق عليه الرصاص؟".

فأومأت بالإيجاب: "سامحنى يا بول، ولكنك قلت ـ لقد قلت ـــ".

فقال ديلانجوا بتجهم: "لقد قلت إننى سأطلق عليه الرصاص كالكلب، وأذكر أن ذلك كان فى اليوم الذى علمت فيه أنه يسىء معاملتك".

فعاد المأمور بالحديث إلى لب موضوعه وقال:

"أفهم من ذلك سيدة دوايتون، أنك صعدت ثانية، ثم ـ ثم لم تقولى شيئاً. ونحن لسنا بحاجة لمعرفة السبب. ألم تلمسى جثته أو تقتربى من طاولة الكتابة؟".

فارتعدت.

"لا، لا لقد جريت خارج الغرفة فوراً".

"أفهم، أفهم. لكن فى أى وقت كان ذلك تحديداً؟ هل تعلمين؟".

"لقد كانت الساعة السادسة والنصف حين عدت إلى غرفتى".

"إذن لنقل إنه فى الساعة السادسة والثلث كان السيد جيمس قد مات بالفعل". ثم نظر إلى رفقائه وقال: "فهذه الساعة إذن كانت مخادعة؟ وقد شككنا فى الأمر طوال الوقت. فليس أسهل من يحرك أحدهم العقارب إلى الوقت الذى يريده. لكن من فعل ذلك ارتكب خطأ إسقاط الساعة على جانبها. حسناً، هذا يحصر الأمر فى رئيس الخدم

والخادم الخاص، ولا أظن أنه رئيس الخدم. أخبرينى سيدة دوايتون هل كان لدى هذا المدعو جننجز ضغينة ناحية زوجك؟".

رفعت لورا وجهها من بين يديها وقالت: "ليست ضغينة بالتحديد لكن ـ حسناً، لقد أخبرنى جيمس هذا الصباح فقط أنه سيطرده لأنه اكتشف سرقته".

"آه! الآن بدأنا نصل. جننجز كان سيطرد من العمل بشكل مشين. وهو أمر خطير بالنسبة له".

قالت لورا: "لقد ذكرت شيئاً عن ساعة ما. هناك فرصة لتحديد الوقت إن أردت ذلك. إن جيمس كان يحمل بالتأكيد ساعته الخاصة بالجولف معه، وربما انكسرت هى الأخرى حين ارتمى للأمام؟".

فقال الكولونيل ببطء: "فكرة جيدة لكنى أخشى يا كيرتس!".

فأجابه المحقق بإيماء من رأسه فى فهم سريع لرئيسه وغادر الغرفة، ثم عاد بعد دقيقة وفى راحة يده ساعة فضية صممت على شكل كرة جولف، وهى من ذلك النوع الذى يباع للاعبى الجولف ليضعوها دون رباط مع الكرات فى جيوبهم.

فقال كيرتس: "هذه هى الساعة، سيدى، لكنى لا أظن أنها قد كسرت فهذه الساعات من نوع متين".

أخذ الكولونيل الساعة من يده ووضعها على أذنه.

وقال: "يبدو أنها متوقفة على أية حال".

ثم ضغطها بيده فانفتح غطاء الساعة وبالداخل كان زجاج الساعة مكسوراً.

ثم قال مبتهجاً: "أوه".

لقد كان عقرب الساعة يشير إلى السادسة والربع تماماً.

قال السيد كوين: "كأس برتغالية رائعة يا كولونيل ميلروز".

كانت الساعة التاسعة والنصف حين أتم الرجال الثلاثة عشاءً متأخراً فى منزل الكولونيل ميلروز. كان السيد ساترثوايت أشهد الثلاثة ابتهاجاً.

ضحك قائلاً: "لقد كنت على حق تماماً. لا يمكنك إنكار هذا الآن سيد كوين. لقد أنقذت الليلة حياة شابين متهورين اقتربا من التهلكة".

قال السيد كوين: "أنا؟ بالطبع لا. فأنا لم أفعل شيئاً على الإطلاق".

فوافقه السيد ساترثوايت بالقول: "لم تكن فى حاجة لفعل شيء بعد وضوح القضية، لقد كانت لمسة واحدة. إننى لن أنسى أبداً اللحظة التي قالت فيها السيدة دوايتون "لقد قتلته" إننى لم أر شيئاً بهذه الدرامية على المسرح".

فقال كوين: "إننى أميل للاتفاق معك".

فقال الكولونيل معلناً ربما للمرة العشرين: "لم أكن أظن أن شيئاً كهذا يحدث خارج نطاق الروايات".

فقال كوين: "وهل حدث؟".

فحدق إليه الكولونيل وقال: "اللعنة لقد حدث الليلة".

تدخل السيد ساترثوايت، قائلاً: "لو سمحت لى، لقد كانت السيدة دوايتون رائعة هذه الليلة، كانت رائعة بحق، إلا أنها ارتكبت خطأ واحداً. وهو أنه لم يكن يجدر بها أن تقفز مباشرة للاستنتاج بأن زوجها قد قتل بالرصاص. والأمر ذاته ينطبق على ديلانجوا، فقد كان حمقاً منه أن يزعم بأنه قد طعنه لمجرد أنه رأى الخنجر موضوعاً على الطاولة أمامنا. لقد كان أمراً عرضياً أن يسقط من كتاب السيدة دوايتون".

فقال كوين: "هل كان عرضياً حقاً؟".

فتابع السيد ساترثوايت: "والآن، لو أنهما قد اكتفيا بالقول فقط بأنهما قد قتلا السير جيمس دون تحديد الكيفية فما كان الوضع ليكون حينها؟".

قال السيد كوين بابتسامة غريبة: "ربما تم تصديق روايتيهما".

قال الكولونيل: "الأمر كله يشبه أحداث الروايات".

فقال السيد كوين: "يظهر أنهما قد أخذا الفكرة من الروايات بالفعل".

فوافقه السيد ساترثوايت قائلاً: "محتمل، إن أشياء يقرؤها المرء تحدث له شخصياً بأغرب الوسائل"، ثم نظر

ناحية كوين وقال: "بالطبع، لقد بدا أمر الساعة مثيراً للشك منذ البداية. فالمرء لا ينسى قط، كم أنه من السهل تغيير عقارب الوقت تقديماً أو تأخيراً".

أومأ السيد كوين برأسه مكرراً الكلام: "تقديماً"، ثم توقف قبل أن يقول: "أو تأخيراً".

كان فى صوته شىء مشجع. كانت عيناه السوداوان البراقتان، مثبتتين نحو السيد ساترثوايت.

قال السيد ساترثوايت: "لقد كانت عقارب الساعة مقدمة، كلنا يعرف ذلك".

فقال كوين: "هل كانت كذلك؟".

حدق إليه ساترثوايت وقال ببطء: "هل تقصد أنها الساعة الأخرى التى تم تأخيرها. هذا لا يعنى شيئاً. هذا مستحيل".

فغمغم كوين بالقول: "ليس مستحيلاً".

"حسناً، هذا سخف. فلمصلحة من يتم هذا؟".

"إنه يفيد فقط، حسب ظنى، من له حجة غياب فى هذا التوقيت".

فصاح الكولونيل: "يا إلهى! إن هذا هو الوقت الذى قال ديلانجوا إنه تحدث فيه إلى الحارس".

فقال ساترثوايت: "لقد قال ذلك بالتحديد".

فنظر كل منهما للآخر وكأن الأرض تدور من تحت أقدامهما. وتداعت حولهما الحقائق، ملوحة بوجوه جديدة

وغير متوقعة. ووسط هذا التداخل ظل وجه كوين الأسمر الباسم فى المركز.

ثم بدأ ميلروز بالحديث: "لكن فى هذه الحالة - فى هذه الحالة -".

فأتم ساترثوايت جملته بكياسة وقال: "فى هذه الحالة ينقلب الأمر رأساً على عقب. إن المكيدة كما هى - لكن المكيدة ضد الخادم الخاص. أوه! لكنّ هذا مستحيل فقد اتهم كل منهما نفسه بارتكاب الجريمة".

فقال السيد كوين: "نعم، وقد زال اشتباهكما بهما منذ أن اعترفا، أليس كذلك؟".

واستمر فى الحديث بصوت بدا هادئاً وحالماً: "كما لو كانت خطة أخذت من رواية كما قلت بالضبط أيها الكولونيل. لقد حصلوا من الكتاب على الفكرة، فكرة يقوم بتنفيذها البطل والبطلة فى الروايات. وبالقطع جعلك هذا تصدق أنهما بريئان - لقد كانت تدفعهما قوة التراث. لقد كان السيد ساترثوايت يردد طيلة الوقت أنه شىء يشبه العمل المسرحى. لقد كان كلاكما على صواب. فما كان ما يحدث حقيقياً. لقد كنت طيلة الوقت تقول ذلك دون أن تدرى. لقد حبكوا القصة بشكل غاية فى الاحتراف".

نظر إليه الرجلان بلا حيلة.

فقال السيد ساترثوايت: "هذا تخطيط ذكى إذن، ذكى على نحو شيطانى، وإننى أذكر الآن شيئاً آخر. لقد قال

رئيس الخدم إنه توجه للمكتبة فى السابعة لإغلاق النوافذ، هذا يعنى أنها كانت مفتوحة".

قال السيد كوين: "وقد دخل ديلانجوا بهذه الطريقة. فقتل السيد جيمس بضربة واحدة ثم قاما معاً بفعل ما يتوجب عليهما فعله ـــ".

ثم نظر إلى السيد ساترثوايت، مشجعاً إياه بإعادة ترتيب المشهد ثانية وهو ما قام به ساترثوايت لكن بتردد.

"قاما بتحطيم الساعة ووضعاها على جانبها. نعم لقد غيرا توقيت الساعة وحطماها، ثم عاد هو للخروج من النافذة، وثبتت هى الوقت من بعده. لكنّ هناك شيئاً مازلت لا أفهمه. لماذا اهتما بأمر ساعة جيبه، لماذا لم يؤخرا عقارب ساعة المكتب ببساطة؟".

فقال كوين: "لأن ساعة المكتب أكثر وضوحاً للعيان".

"وأى شخص يمكنه رؤية الوقت من خلال هذا الجسم الشفاف".

"لكن ساعة جيبه قطعاً كانت بعيدة المنال. وهذا ما جعل ثلاثتنا لا يفكر فى أمر ساعة الجيب".

قال كوين: "لا، لقد كان هذا اقتراح السيدة. أتذكر؟".

فحدق إليه ساترثوايت وهو فى حالة ذهول.

ثم تابع كوين بصوته الحالم: "بقى أن الشخص الوحيد كما تعلم، الذى لن يغفل وضع ساعة الجيب هو الخادم الخاص. فالخدم هم أكثر الناس معرفة بما يحمل أسيادهم فى جيوبهم. فإذا غير سيده توقيت ساعة

المكتب، فإن الخادم سيغير توقيت ساعة جيب سيده أيضاً، هذان الشخصان لا يفهمان الطبيعة البشرية، لا يفهمانها كما تفعل أنت سيد ساترثوايت".

فهزّ السيد ساترثوايت رأسه.

وقال بصوت منخفض متواضع: "لقد كان ظنى كله خطأ، لقد اعتقدت أن قدومك كان مصادفة لإنقاذهما".

فقال كوين: "وقد فعلت، ليس هذان الاثنان بالقطع ـــ بل الآخران ـــ لعلك لم تلاحظ خادمة السيدة، إنها لم تكن ترفل فى ثوب أزرق مطرز. ولم تكن تتصرف على نحو درامى مصطنع، لكنها بحق فتاة جميلة جداً. وأظن أنها تحب جننجز هذا حباً شديداً. وأظن أنك قادر على إنقاذ رجلها من الشنق".

فقال الكولونيل ميلروز بتثاقل: "إننا لا نملك دليلاً من أى نوع".

فقال كوين باسماً: "لكن السيد ساترثوايت يملك الدليل".

فقال ساترثوايت فى دهشة: "أنا؟".

فاتبع السيد كوين حديثه قائلاً: "إن لديك دليلاً يؤكد أن ساعة جيب السّير جيمس لم تحطم فى جيبه. فلا يمكن تحطيم ساعة كتلك إلا إذا رفع غطاؤها. جرب ذلك وسترى. إن شخصاً ما أخذ الساعة وفتحها، وأخر العقارب، ثم حطم الغطاء الزجاجى، ثم أغلقها وأعادها

حيث كانت ولم يلاحظ أبداً أن جزءاً من حطام الزجاج قد فقد".

فصاح السيد ساترثوايت قائلاً: "أوه" ثم دفع بيده لجيب معطفه. فأخرج قطعة زجاج مقوسة.

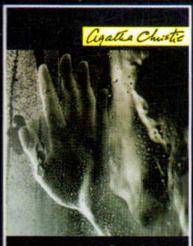
وكانت تلك لحظته.

فقال السيد ساترثوايت باهتمام: "من خلال هذه القطعة سأتمكن من إنقاذ شخص من الموت".

تمت بحمد الله و توفيقه

أجاثا كريستي Agatha Christie

ثلاثة فئران عمياء
وقصص أخرى



ضمن سلسلة رواياتها البوليسية المثيرة، تقدّم الكاتبة العالمية الأشهر في هذا النوع من الروايات، أجاثا كريستي، هذه المجموعة القصصية «ثلاثة فئران عمياء، وقصص أخرى».

وهذه المجموعة مكوّنة من تسع قصص مشوّقة، تدور كلها في اطار بوليسي مثير، حول وقوع جريمة ما، قتل أو خطف، أو غير ذلك، وتتعدّد دوافع مرتكب الجريمة في كل قصة، وتتشابك الخيوط، حتى يتم في النهاية حلّ اللغز واكتشاف مرتكب الجريمة.

اذا كنت ترغب في الاستمتاع بجو تشويقيّ بالغ الروعة والاثارة، فعليك باقتناء هذه المجموعة القصصية.



